

رجل المستحيل

روايات
مصرية للجيب

أسير الثلوج

د. نبيل فاروق

سلسلة
الأعداد
الخاصة



Looloo

www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه قلة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من الممسك إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجابته التامة لسئلات لغات حية ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الفواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة تلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - رحلة تدريبية ..

ضمت (منى توفيق) باقتى معطفها فى إحكام ، وهى تغادر سيارتها الصغيرة ، فى ساحة مبنى المخابرات العامة المصرية ، وأسرعت الخطا نحو المبنى ، وتحت وابل من الأمطار الغزيرة ، وهى تتمتع .

- باللهول !.. إنه أسوأ شتاء رأيته ، منذ عدة أعوام . هزت رأسها فى قوة ، وهى تضغط زر المصعد ، لتنفذ عن شعرها قطرات المطر ، وهى تستطرد مبتسمة :
- ولكنه أفضل بالتأكيد من ذلك الشتاء الذى قضيته بالمستشفى ، فى الاتحاد السوفيتى سابقاً (*) .

سمعت من خلفها صوتاً يقول فى مرح :
- بالطبع .. مازلت أذكر ذلك الشتاء .
التفتت بسرعة إلى مصدر الصوت ، ولم تكد عيناها تقعان على وجه صاحبه ، حتى وجدت نفسها تبسم ، وهى تهتف فى حرارة :
- صباح الخير يا (قبرى) .. كم يسعدنى أن يكون وجهك هو أول ما أراه فى الصباح .
فهقه (قبرى) ضاحكاً ، وهو يقول :

(*) راجع الأجزاء الثلاثة (العين الثالثة) ، (القضبان الجديدة) ، و (لهيب الثلج) ، من سلسلة (رجل المستحيل) ، أرقام (٤١) ، (٤٥) ، (٤٦) .

- يا إلهي !.. أنا وسيم إلى هذا الحد ؟

شاركته مرحة وضحكه ، واستقلا المصعد معاً ، وهي تقول :

- بل أنت أفضل صديق عرفته ، في حياتي كلها يا (قدرى) .

وضع كفيه على صدره ، وهتف بلهجة مسرحية هزلية :

- رباه !.. أنا أفضل صديق لجمعية الجميلات .. سيتوقف قلبي

المسكين عن النبض ، من فرط سعادتي .

ضحكت لأسلوبه ، قبل أن يسألها هو في خبث :

- ولكن عجباً !.. لو أنني أفضل صديق ، فماذا يكون (أدهم

صبرى) ؟!

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وارتبكت وهي تحاول تغيير دفة

الحديث ، قائلة :

- لقد شاركنا تلك المغامرة .. أليس كذلك ؟

لاحظ محاولتها للفرار من مناقشة الأمر ، فابتسم قائلاً :

- بالطبع .. هل نسيت بطولاتي حينذاك ؟

وأطلق ضحكة أخرى ، قبل أن يستطرد :

- ولكن هذا لم يكن الشتاء القارص الوحيد ، الذي قضاه (أدهم)

في الاتحاد السوفيتي .

قالت بسرعة :

- أتقصد تلك المهمة ، التي سافرت فيها معه لأول مرة ، إلى

(موسكو) ؟ (*) .

(*) راجع قصة (الجليد الدامي) ، من سلسلة (رجل المستحيل) .. المغامرة رقم (٥) .

ابتسم وهو يهز رأسه نفياً ، ويقول :

- بل أقصد عملية أخرى ، قبل هذا بكثير .. قبل حتى أن تنضمي

إلينا يا (منى) .

هتفت في فضول :

- حقاً ؟!

ضحك وهو يعلم أنه قد أشعل فتيل فضولها ، وقال :

- ما رأيك في تناول قدح من الشاي في حجرتي ، وأنا أروي لك

هذه القصة ؟

هتفت في حرارة :

- هل تسألني ؟!

لم تمض دقائق ، حتى كانا في حجرتي ، وأشعل هو موقده

الصغير ، ووضع فوقه إناء الشاي ، ثم جلس أمامها ، وقال

مبتسماً :

- والآن ، ما الذي تريدني معرفته ؟

أجابته بسرعة :

- كل شيء بالطبع .. من اللحظة الأولى ، وحتى النهاية .

أطلق ضحكة طويلة ، ارتج لها جسده كله ، قبل أن يقول :

- يا للنساء !.. حسن يا عزيزتي (منى) .. أعلم أنك لن ترضي

بأقل من هذا ، فليكن يا عزيزتي .. سأروي لك كل شيء .

واعتدل متابعاً في اهتمام :

- كان ذلك بعد حرب السادس من أكتوبر ، عام ألف وتسعمائة

وثلاثة وسبعين ، بعام أو نحو ذلك ، وكان (أدهم) حديث العهد إلى

خذ ما يعمل المخابرات ، مما استلزم حصوله على دورة تدريبية ،
تبعاً لروتين العمل .

- قالت (منى) فى دهشة :

- دورة تدريبية ؟ .. وهل كان (أدهم) بحاجة إلى هذا ؟

أجابها فى بساطة :

- لن يتم استنناؤه لأى سبب .. الجميع يحصلون على مثل هذه
الدورات التدريبية ، عند التحاقهم بالمخابرات العامة .

ثم ابتسم ، مستطرداً :

- ولكن (أدهم صبرى) وحده ، يمكنه تحويل دورة تدريبية
عادية إلى كارثة .

شحن هذا القول انتباهها واهتمامها ، فاعتذلت تسأله :

- لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

اعتدل فى مجلسه بدوره ، وقال :

- سأخبرك بكل شيء .

وبدأ القصة .

.. (أدهم صبرى) فى خدمتك ياسيندى ..

رفع مدير المخابرات العامة عينيه ، يتطلع إلى (أدهم صبرى) ،

ثم وضع القلم الذى يمسك به ، فوق الأوراق التى كان يطالعها ، وقال
فى هدوء :

- اجلس يا (أدهم) .

ثم تراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يتطلع

إليه فى صمت ، بعد أن جلس على المقعد المقابل لمكتبه ، وقال :

- هل سبق لك أن سافرت إلى (موسكو) ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. سافرت مرة مع والدى (رحمه الله) ، لتطوير معرفتى
باللغة الروسية .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

- لست أقصد هذا ، بل أقصد هل حصلت على دورات تدريبية فى

(الاتحاد السوفيتى) ، منذ التحقت بالجيش ؟

ابتسم (أدهم) بدوره ، وهو يقول :

- ثرى كيف يجيب ملهى عن هذا السؤال يا سيندى ؟

مط مدير المخابرات شفتيه ، وكأنما لم يرق له هذا الجواب ، وقال

فى صرامة :

- فليكن .. مادمت لم تفعل ، فقد حان وقت حصولك على دورة

تدريبية هناك .

سأله (أدهم) فى حيرة :

- أما تزال لدينا دورات تدريبية فى (الاتحاد السوفيتى)

ياسيندى ؟ .. كنت أتصور أن هذا الأمر قد انتهى ، منذ طرد الرئيس

(أنور السادات) الخبراء السوفيت ، قبيل حرب أكتوبر !

أوما مدير المخابرات برأسه إيجاباً ، وقال :

- هذا صحيح إلى حد كبير ، والواقع أن الدورة التى ستذهب إليها

ليست (حدى) الدورات الرسمية ، التى كانت تحدث فى الماضى ، ففى

هذه المرة نحن وحدنا سنطلق عليها اسم (دورة تدريبية) ، أما

السوفيت ، فهم فى الواقع يجهلون كل شيء عن هذا الأمر .

بدت نظرة تساؤل في عين (أدهم) ، فراجع مدير المخابرات في مقعده ، وهو يتابع :

- فمن الناحية الرسمية ، ستمافر إلى (موسكو) كأي شخص عادي ، وهناك ستحاول جمع بعض المعلومات ، دون أن تعرض نفسك للخطر ، ثم تعود إلى هنا بعد أسبوعين .

بدت الدهشة على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

- عجباً !.. أي تدريب هذا ؟

أجاب المدير في هدوء :

- هذا التدريب أهم مما تتصور يا (أدهم) ، فأنت ستعتاد التواجد في قلب (موسكو) ، وستختبر وسائل جمع المعلومات ، وأساليب التعامل مع رجال الأمن السوفيت ، بكل عنفهم وشكوكهم وبيروقراطيتهم ، وستحسن لفتك الروسية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- فهمت ، ولكن السفر إلى (موسكو) ، في نهاية ديسمبر ، ليس

بالشيء الطريف .

قال المدير في حزم :

- هذا أيضاً جزء من تدريبك ، فمن الضروري أن تعتاد التعايش مع درجات البرودة المنخفضة .

ثم تطلع إلى ساعته ، قبل أن يستطرد :

- ستجد جواز سفرك في مكتب الأمن ، وبه تأشيرة صحيحة

لزيرة (الاتحاد السوفيتي) ، وستقلع طائرتك إلى (موسكو) بعد منتصف الليل بنصف الساعة ، وهذا يعني أن أمامك وقت كاف لنحزم حقائبك .

نهض (أدهم) ، وهو يقول :

- حقيبتى معدة دائماً .

واتجه لمغادرة الحجرة ، ولكن المدير استوقفه بحزم :

- (أدهم) .

التفت إليه (أدهم) ، فأضاف في صرامة :

- تذكر دائماً أنها مجرد رحلة تدريبية ، وليست عملية من الدرجة

الأولى .. لا تريد أية مخاطر أو تعقيدات .. مفهوم ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

- سأحاول .. فلنأمل هذا .

قالها وغادر الحجرة ، فاعتقد حاجباً مدير المخابرات ، وهو

يغمغم في توتر :

- نعم فلنأمل هذا .

وانطلقت من حلقه زفرة حارة .

★ ★ ★

لم يشعر (أدهم صبرى) في حياته كلها بالملل والضجر ، مثلما

شعر بهما في الأسبوع الأول ، الذي قضاه في (موسكو) .

كان كل شيء يسير بالنسبة إليه آلياً ، تقليدياً ، رتيباً ، على نحو

كان يصيب حواسه بالخمول ، ويرفع في عروقه دماء السخط

والغضب ..

لقد أقام في أحد فنادق (موسكو) ، بجواز سفر يحمل اسمه

الحقيقي ، مع وظيفة تاجر عادات ، وقضى أيامه يتجول في

العاصمة السوفيتية ، ويجمع المعلومات التي طلبها المدير ، كجزء

من التدريب ، حول نظم الأمن السوفيتية ، والمناطق المحظورة
الاقترب منها ، وتوزيع الأنشطة العسكرية ، ويعمل على تحسين
لغته الروسية ، واكتساب لهجات جديدة .

كل هذا في طقس شديد الرداءة ، تبلغ البرودة فيه ثلاثين درجة
تحت الصفر ، ونظرات شك من كل المحيطين به ، وعشرات
الاستمارات التي يتبقى لكل سائح توقيعتها وملء بياناتها .

وفي اليوم الأول من الأسبوع الثاني ، كان الملل في أعماقه قد
بلغ ذروته ، وهو يقف في حجرته بالفندق ، ليراقب كرات الجليد
المتساقطة من السماء ، والتي أضافت إلى الطرق طبقة جديدة من
الجليد الأبيض ، جعلتها أشبه بحقول قطن ممتدة إلى ما لا نهاية ،
وغمغم في ضيق :

- لن أحتمل هذا طويلا ، وأظنني سأصاب بكل أمراض الحياة
المتربة ، لو لم أدفع بعض التشايط والحرارة إلى عروقي .

أطلق زفرة متوترة ، ثم ألقي نظرة بعيدة ، إلى مبنى
(الكرملين) (*) ، الذي تبدو أبراجه من بعيد ، ثم التفت معطفه
وارتداه ، وغادر حجرته ، وهبط إلى بهو الفندق ، ورفع موظف
الاستقبال حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

(*) الكرملين : اسم يطلق على عدد من القلاع القديمة ، في عدد من المدن الروسية .
ويشير تحديدًا إلى حصن قديم في (موسكو) ، يتكون من عدة مباني ، أعاد السوفيت
تجديده ، ليصبح مبناه الرئيسي مقرًا لمجلس السوفيت الأعلى ، ومبانيه الأخرى تتبع جهات
أمنية ، أو تحوي مكاتب ومسكن بعض كبار المسؤولين .

- إلى أين أيها الرفيق (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) في لامبالاة :

- سأجول قليلًا في المنطقة .

هتف الرجل في دهشة عارمة :

- تجول !؟ .. في مثل هذا المناخ !؟

ولكن (أدهم) تجاهله تمامًا ، وغادر الفندق تحت الجليد
المنهمر ، فارتفع حاجبا موظف الاستقبال ، حتى كادا يمتزجان بشعر
رأسه ، قبل أن يهز رأسه مغفغا في دهشة واستنكار :

- ياله من رجل غريب !

انعقد حاجبا زميله ، وهو يقول :

- بل قل : ياله من رجل مريب !

التفت إليه الأول في قلق ، وهو يقول :

- ماذا تعني ؟

نوح الرجل بكفه مدعورا ، وهو يقول :

- لا .. لست أعني شيئا .

وأسرع يبتعد ، وكأنما رأى شيئا في عيني زميله ، الذي تمنم
لنفسه :

- نعم .. إنه رجل مريب .

ثم التفت سماعة الهاتف ، وتلفت حوله في حذر ، قبل أن يطلب
رقما خاصا ، ويهمس في حذر :

- مساء الخير أيها الرفيق (شلينكو) .. إنه أنا (رابينوف) ..

لدينا هنا شيء ، رأيت من واجبي أن أبلغكم إياه .

واصل (رابينوف) حديثه مع ذلك المدعو (شلينكو) ، في حين كان (أدهم) يقطع طرقا (موسكو) شبه الخالية ، في خطوات سريعة ، تحت الجليد المنهمر ، متجها نحو الساحة الواسعة ، أمام مبنى (الكرملين) ، وهناك وقف لحظات يتأمل مقر الحكم السوفيتي ، ثم ابتسم في سخرية ، وهو يتعمق :

- يا أيها (الكرملين) .. كم من المؤامرات تحاك داخلك !

قالها وتحرك عبر الشارع الواسع ، المجاور للمبنى ، وهو يختلس النظر إلى مبنى آخر ، بدا بأبوابه ونوافذه المغلقة ، التي لا يطل منها بصيص ضوء واحد ، أشبه ببناء مقفر ، أو بيت للأشباح ، وابتسم هامسا لنفسه :

- وما هو ذا العقل المدبر .

كان هذا المبنى هو مبنى المخابرات السوفيتية (كي . جي . بي) ، الحصن الحصين ، والقلعة المنيعه ، لكل أجهزة المخابرات الشرقية الشيوعية (*) .

ولم يكن (أدهم) يدري بالضبط ، ما الذي جعله يغادر حجرته الدافئة ، ويسعى إلى رؤية مبنى الـ (كي . جي . بي) ، في مثل هذا الطقس .

(*) الشيوعية : مصطلح يصعب تحديد معناه بصورة قاطعة ، ولكنه في معيظه نظام اجتماعي ، تكون فيه الملكية للمجتمع بأكمله ، والشيوعية بمعناها المتعارف عليه حاليا ، ظهرت مع البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ م . ودعت بزعامة (لينين) ، إلى ثورة عاجلة ، للقضاء على النظام الرأسمالي ، وانتصرت مع الثورة البلشفية عام ١٩١٧ ، ثم انتشرت في أوائل التسعينات .

ربما هو الملل .

أو الرغبة في دراسة أرض العدو .

أو كلاهما .

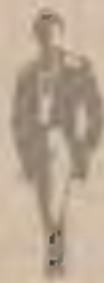
المهم أنه الآن أمام مبنى المخابرات السوفيتية ، و ... وفجأة ، توقفت أفكاره كلها ، وتسمرت عيناه على سيارة روسية الصنع ، توقفت أمام مبنى المخابرات ، وهبطت منها فائتة سوفيتية ، ومعها رجلان ، كان أحدهما هو (تينو فاسيلوف) ، مدير فرع الشرق الأوسط في الـ (كي . جي . بي) . أما الآخر ، فكان بالتحديد سبب كل ذلك الاهتمام ، الذي سرى في عروقي (أدهم) .

كان رجلا قصير القامة ، نحيل الجسد ، أصلع الرأس ، له نظرة ثاقبة ، وأنف أشبه بمنقار الصقر .

وكان (أدهم) يحفظ شكله عن ظهر قلب ، على الرغم من أنه لم يلتق به شخصيا قط .

إنه (أندريه رابين) .. أخطر رجل في جهاز المخابرات .

المخابرات الإسرائيلية ..



٢ - التحالف ..

أشعل (بوريس شلينكو) ، رجل المخابرات السوفيتي سيجارته ، ذات الرائحة النفاذة ، ونفث دخانها الكثير في قوة ، وهو يطالع الأوراق التي أمامه ، قبل أن يتم بصوت مسموع ونبرة باردة :
- اسمه (أدهم صبرى) .. مصرى الجنسية ، جاء إلى هنا كسائح .. لا بأس .. أريد تقرير المراقبة الخاص به .

أوما الرجل الواقف أمامه برأسه إيجابيا ، وأخذ يراجع عدة تقارير بسرعة ، ثم التفت من بينها التقرير الذى يحمل اسم وصورة (أدهم) ، وهو يسأل :

.. ولكن ما الذى أثار شكوكك بشأنه ، أيها الرفيق (شلينكو) ؟
مط (شلينكو) شفتيه ، وهو يقول :

- إلى أشك فى كل من يأتى إلينا فى الشتاء ، أنا كانت ميرزاته ، فليس من المعتاد أن يلقى أى شخص عاقل بنفسه وسط ثلوجنا ، التى هزمت الجيوش النازية ، وأجبرتها على التراجع ، فى الحرب العالمية الثانية(*) .. نحن وحدنا يمكننا احتمال هذه البرودة

(*) أثناء الحرب العالمية الثانية ، غزت الجيوش النازية (روسيا) ، فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ م ، وحطت نجاحا كبيرا فى غزوها ، حتى أصبحت على بعد كيلو مترات قليلة من العاصمة (موسكو) ، ثم حل فصل الشتاء ، وانخفضت درجات الحرارة بشدة ، وهنا لم يتحمل الألمان ذلك المناخ ، الذى يعتاده السوفيت ، وهاجمهم هؤلاء فى شراسة ، مما اضطرهم للتراجع ، حتى هزموا فى (ستالينجراد) عام ١٩٤٢ م ، وكانت بداية نهايتهم .

القارصة يارجل .. ومن حسن الحظ أننا نراقب كل سائح يصل إلينا ..
أضف إلى هذا شكوك رجلنا فى الفندق (رابينوف) .
سأله الآخر فى اهتمام :

- وعلام تعتمد شكوك (رابينوف) ؟

رفع (شلينكو) عينيه إليه ، وقال :

- لقد غادر ذلك الرجل الفندق ، وسط عاصفة جليدية ، بحجة التجول فى المكان .

هتف الثانى فى دهشة :

- حقا ؟!

لم يجب (شلينكو) مباشرة ، وإنما انهمك بضع لحظات فى مراجعة تقرير المراقبة ، وانعقد حاجباه بشدة ، قبل أن ينفث دخان سيجارته مرة أخرى ، ويقول فى اهتمام بالغ :

- عجباً !.. يبدو أن جولات هذا المصرى مثيرة للشك بحق .
سأله زميله :

- لماذا ؟.. ما الذى تجده فى تقريره ؟

أجابه (شلينكو) ، وهو يعتدل فى اهتمام شديد :

- إنه لم يلتزم ببرنامج سياحى محدود ، وإنما كان يتحرك فى حرية مريبة ، ومعظم جولاته كانت بالقرب من مواقع أمنية أو عسكرية .

انتقل اهتمامه إلى زميله ، وهو يقول :

- وهل التفت بعض الصور ؟

أجابه (شلينكو) بصوت أقرب إلى الزمجرة :

.. لن يمكنه هذا .

ثم نهض واقفاً ، فبدت قامته الفارحة ، وهو يستطرد في صرامة :

.. ولكنه يستحق أن توليه بعض الاهتمام .

قالها ، واتجه نحو باب الحجرة ، فسأله زميله :

.. ماذا ستفعل ؟

استدار إليه (شلينكو) بوجهه البارد وعينيه الضيقتين ، وقال في اقتضاب :

.. المعتاد .

وعلى الرغم من أن زميله هذا ينتمى بدوره إلى الـ (كى . جى . بي) ، إلا أن قشعريرة باردة سرت في جسده ، وجعلت الدماء ترتجف في ضلوعه .

هذا لأنه يعرف جيداً ما تعنيه هذه الكلمة ، المكوّنة من سبعة حروف .

كلمة (المعتاد) .

★ ★ ★

لم تكذ عينا (أدهم) تفعان على (أندريه رابين) ، حتى انطلق عقله يعمل بكل قوته وسرعته ، لاسترجاع كل ما يخرّنه من معلومات ، عن هذا الرجل ، وكل ما قرأه أو سمعه (أدهم) عنه ، منذ التحق بالمخابرات العامة المصرية .

اسمه (أندريه مولان رابين) .. واحد من كبار مؤسسى جهاز المخابرات الإسرائيلى (الموساد) ، وكبير خبراء التعامل مع أجهزة

المخابرات الشرقية ، والمسئول الأول عن كل العمليات الإسرائيلية ، التى تتم فى الدول العربية .

ولكن ما الذى يعنيه تواجده الرسمى والصريح ، فى مبنى المخابرات السوفيتية ؟ ..

توقف (أدهم) لحظات ، لبحث عن تفسير منطقى لهذا الأمر ، ولم يجد منطقه سوى جواب واحد لهذا السؤال .

.. هناك نوع من التعاون ، تم بين المخابرات السوفيتية والإسرائيلية .

وهذا يطرح سؤالاً ثالثاً ، وثالثاً ، ورابعاً .

مامدى هذا التعاون ؟

والى من يوجه ؟

وكيف ؟

لم يعد باستطاعته الوقوف ساكناً ، بعد ما رآه ، وراحت الدماء تلتهب فى عروقه ، وهو يفكر فى الأمر ويدرسه ، ويقلّبه فى رأسه عدة مرات .

لا .. لا مجال للتريد .

لا بد له أن يسعى للحصول على معلومات فى هذا الشأن .

أية معلومات .

وبأية وسيلة .

لم يكذ يبلغ بتفكيره هذه النقطة ، حتى تردت ، فى رأسه عبارة مدير المخابرات الأخيرة :

.. تذكر دائماً أنها مجرد رحلة تدريبية ، وليست عملية من الدرجة

الأولى .. لا تريد أية مخاطر أو تعقيدات .
ولكنه هز كتفيه ، قائلاً :

- ولماذا لم يخبر المخاطر نفسها بهذا ؟

ثم شد قامته ، والنقط نقطة عميقاً ، ثم اتجه مباشرة نحو بوابة مبنى المخابرات السوفيتية ، ورأى جندي الحراسة ، يتحفظ في حذر ، فتقدم منه ، وقال في ثبات ، وبلغة روسية سليمة :

- أريد مقابلة أحد المسؤولين هنا .

حدق الجندي في وجهه بدهشة ، وهو يتساءل في أعماقه عن ذلك المجنون ، الذي جاء بقدميه إلى هذا الجحيم ، ثم قال في توتر :

- لماذا أيها الرفيق ؟

تلقت (أدهم) حوله ، متظاهراً بالقلق ، ثم همس :

- لدى معلومات هامة .

بدا الاهتمام على وجه الجندي ، وهو يسأله :

- معلومات عن ماذا ؟

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول في حزم :

- معلومات بالغة السرية ، لن أبلغها إلا للرفيق ، الذي دخل إلى المبنى الآن .

قال الجندي في آلية :

- الجنرال (فاسيلوف) ؟

ثم لم يلبث أن شعر بالندم ، لأنه أفضى سرّاً حريماً رهيباً كهذا ، فعاد إلى توتره ، وقد أضاف إليه الكثير من السخط والغضب ، وهو يقول :

- أبلغ ما لديك لدائرة الأمن .. لا يمكنني أن أسمح لك بالدخول .
قال (أدهم) في صرامة :

- فليكن أيها الرفيق .. سأرحل عن هنا ، ولكن تذكر أنك أنت الذي منعني من نقل ما لدى من معلومات عن الأمريكيين إلى المسؤولين هنا .

لم يكذب على ذكر الأمريكيين ، حتى احتقن وجه الجندي ، ورفع فوهة مدفعه الآلي في حركة حادة نحو (أدهم) ، والتقى حاجباه في شدة ، وهو يقول في حزم :

- انتظر .

ثم التفت سماعة الهاتف المجاور له ، وقال دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) :

- صلني بالرفيق (ليونيد) .

صمت لحظة ، ثم قال :

- مساء الخير أيها الرفيق العقيد .. هناك رجل يطلب مقابلة أحد المسؤولين هنا ، ويقول : إن لديه معلومات شديدة الأهمية عن الأمريكيين .. لا أيها الرفيق .. لم يذكر شيئاً عن طبيعة هذه المعلومات .. لا .. لا أعتقد أنه أحد مواطنينا .. صحيح أنه يتحدث الروسية بطلاقة ، ولكن معطف المطر الذي يرتديه يبدو رأسالياً للغاية .

ابتسم (أدهم) في سخرية للعبارة الأخيرة ، ففقد الجندي حاجبيه أكثر ، وهو يقول في صرامة :

- نعم أيها الرفيق .. سأرسله إليك على الفور .
وأعاد السماعة إلى موضعها ، وهو يستطرد :

• - انتظر لحظات .. سيحضرون لاصطحابك .

قال (أدهم) فى هدوء :

- هل تعلم ؟ .. لو انتهى الأمر كما ينبغي ، سأهدى إليك معطفى هذا .

هتف الجندى فى لهفة :

- حقا ؟

ثم لم يلبث أن تراجع فى سرعة ، وقال فى حدة

- لست أبالى بهذه الكماليات الرأسالية العفنة .

ابتسم (أدهم) مرة أخرى فى سخرية ، وهو يقول :

- حقا ؟

لم يكذب ينطقها ، حتى ظهر عملاقان سوفيتان عند الباب ، وقال

أحدهما وهو يرمى (أدهم) بنظرة نارية :

- أهذا هو ؟

أجابه الجندى ، وصوته يحمل شيئا من الشماعة

- نعم .. إنه هو .

طل (أدهم) هادئا ، يتطلع إلى الرجلين بلا اهتمام ، فى حين قال

ثانيهما ، وهو يشير إليه فى صرامة :

- تقنم .

دلف (أدهم) فى هدوء إلى مبنى المخابرات السوفيتى ، ولم يكذب

الجندى يغلق الباب خلفه ، حتى قال أحد العمالقين فى صوت مخيف :

- ارفع يديك عالنا .

رفع (أدهم) يديه ، وهو يقول فى هدوء :

- هل ستقوم بتفتيشى ؟

تجاهل الرجل عبارته ، وراح يفتشه فى سرعة ، ثم قال لزميله .

- إنه نظيف .

قال (أدهم) ساخرًا :

- بالتأكيد ، فأنا استحم يوميا .

رمقه الرجلان بنظرة صارمة ، دون أن يعلق أحدهما بحرف

واحد ، ثم اصطحباه عبر أروقة المبنى الصامتة الطويلة ، وصعدا

به إلى الطابق الثالث ، وهناك طرق باب حجرة مغلقة ، فارتفع من

داخلها صوت يقول :

- ادخل أيها الرفيق .

وهنا فتحا الباب ، ودفعا (أدهم) داخل الحجرة ، ثم دخلا خلفه ،

وأغلقا الباب خلفهما فى إحكام .

كانت الحجرة دافئة إلى حد كبير ، وبها مكتب واحد ، ومقعد واحد

خلفه ، يجلس فوقه رجل مفتول العضلات ، أسود الشعر ، حاد

النظرات ، نطلع إليه بعينين فاحصتين ، فى حين قال أحد

العمالقين :

- ها هوذا الرجل أيها الرفيق (ليونيد) هل نبقى أم نذهب ؟

مط (ليونيد) شففيه ، وقال :

- انتظرا ، فربما ساعدتما ضيفنا على الإدلاء بكل مالدبه .

كان (أدهم) يدرك مايعنيه (ليونيد) بهذه العبارة ، إلا أنه ظل

هادئا ، حتى سأله (ليونيد) فى صرامة :

- أنت سوفيتى ؟

هز (أدهم) رأسه نفيا ، وهو يقول :

- كلا .. أنا أمريكي ، أعمل في السفارة الأمريكية هنا .

انعقد حاجبا (ليونيد) في شدة ، وهو يقول -

- تعمل في السفارة الأمريكية ؟ عجباً ! .. (إنني أحفظ أسماء

ووجوه العاملين في السفارة الأمريكية ، من السفير حتى أصغر

عامل بسيط ، ولست أذكر قط أنني رأيتك .. ولكم تتحدث اللغة

الروسية بمنتهى الإتقان . أين تعلمت لغتنا ؟

أجاب (أدهم) في سخرية :

- في روضة الأطفال .

انعقد حاجبا (ليونيد) في غضب ، واعتدل قائلاً :

- اسمع يا هذا (إنك إما مجنون أو مغامر ، والاول وحده يمكنه

أن يدخل إلى هنا بإرادته ، ثم يجد في نفسه القدرة على السخرية

هل تعلم ما الذي يمكننا أن نفعله بك هنا ؟ كل شيء تقريباً (إننا

نحن نستطيع ان نقتلك ، ونمزقك إرباً ، ثم نلقى جثتك لكلابنا ، دون

أن يشعر بك مخلوق واحد خارج المبنى .

قال (أدهم) متهاكماً :

- يا إلهي ! لقد أرعبتني ساعترف سأذكر لك الحقيقة

كلها .

قال (ليونيد) في عصبية :

- هذا أفضل لك ، فحين ستحصل على هذه الحقيقة ، إن عاجلاً

أو أجلاً ، وأنت وحدك ستدفع ثمن التأخير .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- التأخير هو آخر شيء أفكر فيه أيها الرفيق (ليونيد) .. (إنني

على العكس ، أريد إتمام كل شيء بقصى سرعة

بنت الحيرة على وجه (ليونيد) ، وهو يقول :

- ما الذي يعنيه هذا ؟

أجاب (أدهم) :

- سأخبرك بكل شيء .. الواقع أنني كنت أمر من هنا ، وعرفت

أن هذا هو مبنى الـ (كي . جي . بي) العظيم ، الذي ترتجف لسماع

اسمه قلوب المواطنين المساكين هنا ، واستأبتي رغبة عارمة في

روية ما يحدث في بيت الجحيم هذا ، وسألت نفسي عما يمكن أن

أفعله ، لأحقق هذه الرغبة ، ولم أجد أمامي سوى أن أفعل ما فعلت ..

مارأيك في هذا الأمر ؟

تفجر الغضب في ملامح (ليونيد) ، وصرخ فحاة

- لقنوه درساً بهئبه ، ويعيد إليه عقله .

لم يكذ ينطقها ، حتى انقضى العملاق على (أدهم) ، و ..

.. وانفتحت أبواب الجحيم .

٣ - قلب الجحيم ..

كان طول كل من العملاقين السوفيتيين يقترب من المترين ، وحجم الواحد منهما يبلغ ضعف حجم (أدهم) على الأقل ، مما جعل انقضاضتهما عليه أشبه بهجوم فيلين شرسين على فهد رشيق ولكن هذا الفهد لم يكن فهذا عالياً .

نقد كان (أدهم) .

(أدهم صبرى) .

وفي نفس اللحظة التى انقضت فيها العملاقان ، وثب (أدهم) جانباً ، ودار حول نفسه فى رشاقة ، وهو يقول ساخرًا .
- رائع أيها الخرتيتان .. هذا ما كنت أنشده بالضبط .

وهوت قبضته كمطرقة من الصلب ، على موخرة عنق أحدهما ، قدفعه إلى الأمام ، ليرتطم بمكتب (ليونيد) ، ويندفع به نحو (ليونيد) نفسه ، ثم يسقط الاثنان أرضاً ، وفى نفس اللحظة انحنى (أدهم) ليتفادى لكمة من العملاق الثانى ، وعاد يقفز إلى أعلى ، ويركل أنفه ركلة كالقنبلة .

وتراجع العملاق الثانى ، فى حين هب الأول واقفاً ، وصاح بهما (ليونيد) فى غضب ، وهو يحاول النهوض بدوره :

- اقتلاه .. لا أريده على قيد الحياة .

ولكن (أدهم) دار حول نفسه دورة مدهشة ، وركل العملاق

الأول فى أنفه ، ثم لكمه فى أسنانه وصدره وعنقه .

وانقض العملاق الثانى على (أدهم) من الخلف ، وهو يهتف :

- أمسكت به أيها الرفيق (ليونيد) .

كان يتصور هذا ، ولكنه وجد نفسه فجأة يطبق على الهواء

بذراعيه ، ثم سمع صوت (أدهم) الساخر يقول :

- استمع إليه أيها الرفيق (ليونيد) .

وهوت على فك العملاق صاعقة هائلة ، ألقتة فأقعد الوعى إلى

جوار رفيقه ، و (أدهم) يتابع متهمًا :

- فهى عبارته الأخيرة .

اتسعت عيناه (ليونيد) فى ذهول ، عندما رأى عملاقه وقد تكوَّما

أرضاً ، ككومة من الخرق البالية ، وهتف :

- مستحيل !!

ثم اندفع محاولاً النقاط مسدسه من درج مكتبه ، ولكن (أدهم)

عبر المكتب بقفزة واسعة ، ودفعه فى صدره بقوة الصقته بالحائط ،

ثم اختطف المسدس من درج المكتب ، وألقى فوهته بأسفل ذقن

(ليونيد) ، وهو يقول ساخرًا :

- مارأيك يا عزيزى الرفيق (ليونيد) ؟ .. هل كان الأسلوب الذى

اتبعته ، لدخول مبنى المخابرات السوفيتية مبتكرًا وفعالاً ؟

قال (ليونيد) فى عصبية :

- أنت مجنون .

هز (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

- بالتاكيد .. لم يكن هناك اسلوب اخر ، بوصفنى الى ما ابتغى ،
سوى القيام بحركة مجنونة ، لا يمكن أن يتوقعها أبرع خبراء الامن
لديكم .

قال (ليونيد) فى انفعال وحدة :

- الدخول الى هنا ليس نهاية العطاف يارجل ، فالخروج اكثر
صعوبة من الدخول .. الا تعلم ما يردده السوفيت عن هذا المبنى ؟ .
إنهم يقولون ان الاحياء والعقلاء لا يمكن ان يغادروا مبنى (كى
جى بى) .. تعرف لماذا ؟ لان اندى يعادر المبنى اما ميت او
مجنون .. لا أحد يغادر هذا المبنى حيا وسليما مدفى ، على الرغم
مننا

رفع (ادهم) حاجبيه ، وهو يقول فى سخرية :

- يا للمصارعة ! اننى احمل بالفعل هذا الاسم

قال (ليونيد) فى توتر :

- أى اسم ؟

جذب (ادهم) إبرة مسننه ، وهو يقول :

- اسم (لا أحد) .

هتف (ليونيد) منزعجا :

- ماذا ستفعل ؟ .. هل تقتلنى ؟

قال (ادهم) فى صرامة :

- هذا يتوقف على تعاونك .

بدا الاضطراب على وجه (ليونيد) ، وهو يقول فى عصبية .

- هل تتوقع الحصول على أية معلومات منى ؟

سأله (ادهم) فى حزم :

- أين مكتب الجنرال (فاسيلوف) ؟

بدت الدهشة فى عينى (ليونيد) ، وهو يقول :

- مكتب (فاسيلوف) ؟ ..! هل فعلت كل هذا ، لتعرف أين مكتب

(فاسيلوف) ؟

كرّر (ادهم) سؤاله ، وهو يضغط قوهة المسدس أكثر :

- أين مكتبه ؟

شعر (ليونيد) بالآثم ، وبدأ له الموت أقرب إليه من حبل

الوريد ، فقال فى سرعة :

- فى الطابق الثانى . ثالث مكتب الى اليمين .. إنه . إنه أسفل

الحجرة التى تجاورنا مباشرة .

سأله (ادهم) :

- وماذا عن الحجرة التى تقع أسفل تماما ؟

أجابه فى عصبية :

- إنها مخزن الملفات الخاص به .. مجرد ملفات قديمة ، يهمه

الحفاظ عليها ، ولكن كل الملفات الهامة فى مكتبه .. (إنه لا يفتح الباب

الذى يصل ما بين الحجرتين تقريبا ، إلا فى أثناء الجرد المستوى

ثم اعتدل فجأة ، وتطلع إلى نقطة ما خلف (ادهم) ، هاتفًا

- اضربيه يا (بورى) .. اقتله .

ومع هتافه ، انتبه (ادهم) إلى الشخص الذى ينقض عليه من

الخلف ..

ولكن بعد فوات الأوان ..

لقد أحاطت ذراعا أحد العمالقين بصدرة ، وراحتا تعتصرانه في قوة ..

وقاومه (أدهم) ، ولكن الذراعين كانتا ككلايتين من الصلب ، تفيدان حركته تماما ، في حين اختطف (ليونيد) مسدسا آخر من مكتبه ، وهتف وهو يرفع فوهته نحو (أدهم) :
- اقتله .. اقتله .

وأصبح من الواضح أن حياة (أدهم) تتعرض للخطر ..
الخطر الداهم .

★ ★ ★

ازدرد موظف الاستقبال (رابينوف) لعبه في صعوبة ، وهو يتطلع في قلب إلى حجرة (أدهم) بالفندق ، التي قلبها (شلينكو) رأسا على عقب ، وغمغم مرتبكا :

- اعتقد أنه من العسير أن نعيد الحجرة إلى ما كانت عليه . أيها الرفيق (شلينكو) .

تطلع إليه (شلينكو) بنظرة باردة ، وهو يقول :

- وماذا نفعل أيها الرفيق ؟ .. هذا حقنا . الذي يكفله القانون ..

راودنا الشك بشأن أجبي ، فعمدنا إلى تفتيش حجرته .. من يمكنه أن يلومنا على هذا ؟ .. إنه واجبنا .

تمتم (رابينوف) في خفوت شديد ، كأنما يخشى أن يسمعه (شلينكو) :

- ولكنني لم أبلغ الرفيق المدير .

قال (شلينكو) في برود صارم :

- هذا لا يهم .

حاول (رابينوف) أن يخبره أن المدير سيشعر حتما بالغضب ، عندما يعلم ما فعله هو ، ثم أنه سيكشف أمر عمله لحساب جهاز المخابرات ، وسيخفى عنه أسرارها فيما بعد ، (لا أنه لم يجرؤ على النفوذ بحرف واحد ..

كان يشعر دائما بالخوف والرهبة ، كلما وقف أمام (بوريس شلينكو) ، بقمته الفارحة ، ومتكبيه العريضين ، ووجهه البارد الصارم ، وعينيه الضيقتين ، اللتين تخفيهما رموش شقراء طويلة ، تكاد تتنافس شعره الأشقر القصير ..

وفي لا مبالاة ، تجاهله (شلينكو) تماما ، وهو يسأل أحد رجاله :
- هل عثرتم على شيء ؟

هز الرجل رأسه نفيا ، وأجاب :

- كلا . كل شيء يبدو بسيطا وعاديا ، ومقتنيات لا تختلف عن مقتنيات أي سائح عادي قليل من الثياب ، وفرشاة أسنان ، وأدوات حلاقة .

اعتقد حاجبا (شلينكو) في شدة ، وهو يقول :

- ربما تحوى هذه الأشياء أسلحة سرية ، أو ...

قاطعه رنين الهاتف المجاور للفراش ، فالتقط سماعته في اليد ، وقال :

- هنا (شلينكو) -

وصمت لحظات ، يستمع إلى محدثه ، قبل أن يغمغم :
.. عجبنا ... كلا .. لا تتوقف عن المراقبة .. انتظره حتى يخرج ،
وواصل مراقبته .

ثم أعاد السفاغة ، هر يقول في سرود ، وكأنه يتحدث إلى نفسه :
- لماذا يذهب إلى مبنانا ؟

سأله (رابينوف) في حيرة :
- ماذا ؟

استعاد (شلينكو) صرامته وبروده ، وهو يقول :
- ليس هذا من شأنك .

ثم استدار إلى أحد رجاله ، وقال في حزم :

- صابروا كل هذه المقتنيات ، واطلبوا من رجال المعامل لدينا
فحص كل جزء منها بمنتهى الدقة ، وبالذات أدوات الحلاقة ، ولستم
التحفظ على الحجرة ، واترك رجلين مسلحين لحراستها ، وعندما
يعود هذا الرجل ، أريده في مكتبي على الفور

وبدا على شفتيه شبح ابتسامة ، قبل أن يضيف :
- هذا لو عاد حياً .

وكان على حفي في استدراكه ، فهم سيحاولون بالتأكيد إلقاء
القبض على (أدهم) .
لو عاد حياً من هناك .
من قلب الجحيم .

★ ★ ★

هل جربت مرة أن تمارس ألعاب الفيديو ، في مباراة مزدوجة ؟ .
لو أنك فعلت ، فأنت تعرف بالتأكيد أن الفوز ، في هذه المباريات
ذات اللاعبين ، يعتمد على سرعة الاستجابة والحركة ، وليس على
قوة اللاعب وعضلاته ..

وهذا لا ينطبق على ألعاب الفيديو وحدها ، بل وأيضاً على أنواع
شتى من الصراع والقتال الحر ، عندما تحتم الظروف ضرورة
الحروح عن التقنيات ، وارتحال أساليب تناسب الظروف
المحيطة ..

و (أدهم صبرى) أستاذ في هذا المجال .

لقد شعر بدراعين فولاذيتين تطوقانه من الخلف ، ورأى
(ليونيد) يصبوب إليه مسدسه ، ويهم بإطلاق النار ، ودرس عقله
الموقف كله بسرعة خرافية ، ثم وضع جسده كله في حالة تأهب ،
ونقله دفعة واحدة إلى مرحلة التنفيذ ..

وبسرعة تثير الدهشة والإعجاب ، ارتفعت قدما (أدهم) تركلان
(ليونيد) في وجهه وصدره ، في نفس الوقت الذي أدار فيه راسه
يده اليمنى ، وأمال فوهة المسدس إلى الخلف ، وأصقها بلخذه
العملاق ، ثم ضغط الزناد ..

وانطلقت الرصاصة لتخترق فخذ العملاق ، الذي اتسعت عيناه في
ألم رهيب ، وتراخت ذراعاه ، اللتان تحيطان بصدر (أدهم) ،
فانزلق هذا الأخير في مرونة ، ثم استدار ، وحطم انف العملاق

بلكمة كالقنبلة ، ثم أطاح باثنين من أسنانه الأمامية بلكمة ثانية كالصاعقة ، في نفس اللحظة التي اعتدل فيها (ليونيد) ، وأقبضته ما تزال ممسكة بمسدسه ، وهو يهتف :

- يا للشيطان !

ولكن جسد (أدهم) دار حول نفسه كمروحة عملاقة ، فأطاحت قدمه اليسرى بالمسدس من يد (ليونيد) ، ثم وضعت قبضته اليمنى حداً للقتال ، وهي تكسر أنف هذا الأخير ، وتسقطه فاقد الوعي . وبسرعة ، انحنى (أدهم) يلتقط المسدس الثاني ، ومن المسدسين في حزامه ، وهو يقول :

- معذرة أيها السادة .. لن يمكنني قضاء وقت أطول معكم ، فالواجب يناديني .

كان من المفروض أن يفقد الرجال الثلاثة ، إلا أنه لم يهتم كثيراً بهذا ، فقد أضاع الكثير من الوقت ، وعليه أن يعمل بأقصى سرعة ، حتى يمكنه الاستفادة مما تبقى منه .

وبحركة سريعة ، فتح نافذة حجرة (ليونيد) ، وشعر بالهواء المثلج يرتطم بوجهه ، ولكنه حاول أن يتجاهل هذا ، وهو يتطلع إلى الطريق ، الذي خلا تماماً من المارة ، في تلك الساعة المتأخرة ، وذلك الطقس الشديد البرودة ، ثم عبر النافذة ، وتعلق بأفريزها ، وترك جسده يتأرجح لحظة ، في المسافة التي تفصله عن النافذة السفلى ، وبعدها وثب ..

كانت وثبة شديدة الجراءة ، هبط بعدها جسده في سرعة ، ثم

تحركت بداه في خفة ، ليتعلق بحاجز النافذة السفلى .

كانت أصابعه تكاد تتجمد من شدة البرودة ، ولكنه دفع جسده إلى أعلى ، وصعد إلى الأفريز المقابل للنافذة ، وألقى نظرة أخرى على الطريق ، ليتأكد من أن أحداً لم يشعر بما حدث ، ولكن الطريق بدا له خالياً ، هادئاً ، مما أشعره بالاطمئنان ، فانحنى بعالج رتاج النافذة في سرعة ومهارة ، بوساطة مدية سويسرية صغيرة ، حتى فتحه ، ودفع زجاجها الداخلي في حذر ، ثم وثب داخل مخزن الملفات القديمة ، المتصل بحجرة (فاسيلوف) .

وكان (ليونيد) محظاً في وصف هذه الحجرة .

إنه بالفعل مخزن قديم ، اكتظ بالأوراق والملفات ، وله نافذة واحدة ، هي التي عبرها إليه ، وباب واحد ، يتسلل الضوء من عتيقه ، ليعلن عن وجود (فاسيلوف) وضيغه الإسرائيلي في مكتب الأول ..

وانحنى (أدهم) يتطلع إلى الحجرة ، عبر ثقب المفتاح ، ورأى أمامه مباشرة الجنرال (فاسيلوف) ، يجلس خلف مكتبه ، وإلى جواره تلف تلك الشفراء اللاتئة ، ذات العينين الزرقاوين ، اللتين تحملان برودة أشد من الجليد ، وهي صامتة ساكنة كتمثال من الثلج ، ولم يكن (أندريه رابين) في مجال رؤيته ، ولكنه سمعه يقول بالانجليزية :

- تعاوننا أمر حتمي هذه المرة يا جنرال (فاسيلوف) .
فالمصريون نبذوا وجودكم ، ومن الواضح أن رئيسهم (أنور

السادات) يعيل إلى التعامل مع الأمريكيين . وهذا يعنى أن وجودكم في المنطقة سيتقلص كثيرا .

ضم (فاسيلوف) حاجبيه ، وهو يقول بالانجليزية أيضا :
- حديثك هذه الليلة يدهشنى يا عزيزى (أندريه) ، فما مصلحة دولتك في عدم تقلص وجودنا في المنطقة ؟^{١٢} .. ألسنم الطفل المدلل للولايات المتحدة الأمريكية . عدونا اللدود ؟^{١٣} من صديقتكم الحقة .. هي أم نحن ؟

أجابه (أندريه) :
- إننا أصدقاء لكل من يمكنه إفدة وجودنا بإجنرال (فاسيلوف) .. إننا سنتعاون معكم ، مادام هذا في مصلحتنا .

هز (فاسيلوف) رأسه ، وقال :
- كلام . كلام . أنت تتحدث طوال الليل يا (أندريه) ، دون أن تمنحنى قليلا واحدا على حسن نيتكم . كيف أتى بأن ماستحصلون عليه منا من معلومات ، لن يصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

بدا صوت (أندريه) أكثر وضوحا ، وهو يقول :
- صدقتى بإجنرال . كنا نتوقع هذا منكم ، ولهذا أتيتك بهدية خاصة ، ستثبت لك حسن نيتنا .

راه (أدهم) يدخل نطاق رؤيته ، ويضع علبة صغيرة أمام (فاسيلوف) ، الذى سأله في دهشة :
- ماهذا بالضبط ؟

أشعل (أندريه) سيجارته ، وهو يقول مبتسما :
- قائمة صغيرة ، تحوى أسماء كل عملاتكم في (مصر) بلا استثناء ، مع عدد من الأفلام المصغرة (الميكرو فيلم) ، تحوى صور كل العملاء .
انعقد حاجبا الغاتنة الشفراء ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، في حين احتلن وجه الجنرال (فاسيلوف) ، وهو يقول في عصبية وتوتر :

- كيف حصلتم على مثل هذه القائمة ؟
لوح (أندريه) بكفه ، وقال :
- أنت تعرف كفاءة جهاز مخابراتنا بإجنرال .
ضرب (فاسيلوف) سطح مكتبه بقبضته في غضب ، وهو يقول :

- ليس هذا مكانا لأبواق دعايتكم .. أريد أن أعرف كيف أمكنكم الحصول على قائمة أسماء عملائنا ؟ .. من من رجال مكنا^{١٤} الخاص يعمل لحسابكم ؟

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (أندريه) ، وهو يقول :
- هذه هي هديتنا الثانية بإجنرال .
قبل أن يتم عبارته ، ارتفع فجأة رنين هاتف (فاسيلوف) الخاص ، فالتقط سماعته في عصبية ، وهو يقول :
- ألم آمركم بعدم إزعاجى إلا لا ...

يتر عبارته جعنة ، واتسعت عيناه في دهشة بالغة ، وهب واقفا ، وهو يتطلع إلى الباب الذى يختفى خلفه (أدهم) مباشرة ، وهتف في ذهول واستنكار :

.. ماذا تقول ؟ وكيف حدث هذا ؟ ..

وقبل أن يسمع جواب محدثه ، أشار إلى الباب ، هتفا .
.. (ناديا) .

وهنا تحركت تلك الفتاة الشقراء بسرعة مذهشة . فاستلّت
مسدسها ، واندفعت نحو الباب ، الذي يقف خلفه (أدهم) ، في حين
صرخ (فاسيلوف) ، وهو يعيد سماعة هاتفه الخاص إلى
موضعها :

.. إنه يقف هناك .. خلف الباب مباشرة .

وبسرعة عجيبة ، تلفت (ناديا) العبارة ، وفهمت ما تعنيه ، ثم
تصرفت ..

وجاء تصرفها على هيئة ضغطة قوية من سباتها ، على زناد
مسدسها .

وانطلقت رصاصات المسدس الآلى ..

انطلقت نحو الباب مباشرة ، واحترقته إلى الجانب الآخر .
حيث يقف (أدهم) .

★ ★ ★

٤ - الشقراء ..

انعقد حاجبا (شلينكو) في شدة ، وهو يستمع عبر الهاتف ، إلى
الرجل الذي كلفه مهمة مراقبة (أدهم) ، وهتف في دهشة بالغة :
.. ماذا تقول ؟.. أنت واثق من هذا يا رجل ؟

تطلع إليه زميله في حيرة ، من كل تلك الدهشة التي كست
ملامحه ، قبل أن يقول في حدة ، بدت وكأنها لا تنتمي قط إلى طبيعته
الباردة :

.. بالطبع .. لا تترك مكانك قط يا رجل . أريد معرفة الأخبار أولاً
فأولاً .

وأعاد السماعة إلى موضعها ، وهو يتمتم ذاهلاً :

.. مستحيل .. أي شيطان هذا ؟

سأله زميله ، وقد اكتسبت حيرته بالكثير من القلق :

.. ماذا حدث ؟

التفت إليه (شلينكو) ، وتطلع إلى وجهه لحظة في صمت
وشرود ، قبل أن يهتف بغتة :

.. تلك المسائح .. هل تصدق ما فعله ؟

أجابه زميله في حذر :

.. تقول : إنه ذهب إلى المبنى الرئيسي لإدارتنا .. أليس كذلك ؟

هتف (شلينكو) :

أجابه في حزم غاضب :

.. إلى المبنى الرئيسى .. لن يفوتنى هذا الحدث التاريخى .
ثم أضاف وهو يصفق الباب خلفه فى عنف :
.. مهما كان الثمن .

★ ★ ★

على الرغم من جمال (ناديا مينوفيتشى) ، الحارسة الخاصة
للجنرال (فاسيلوف) ، إلا أن التدريبات الشاقة التى تلقاها ، منذ
نعومة أظفارها ، عندما التحقت بمدرسة المخابرات السوفيتية ، قبل
أن تتجاوز السادسة عشرة من عمرها ، كانت قد صنعت منها آلة
باردة كالثلج ، تقتصر مهمتها على حماية الشخصيات الهامة ، دون
عواطف أو مشاعر أو أحاسيس ..

ودون نرة واحدة من التردد أو الخوف ..

باختصار ، كانت آلة للقتل بلا رحمة أو هوادة ..

وفى إطار المهمة التى أعذت لها ، اندفعت (ناديا) نحو الباب
بسرعة كبيرة ، وهى تطلق رصاصات ممدسها القوى نحوه ، وقبل
أن تبلغه ، كانت قد أبطأت برتاجه ، قبل أن تدفعه بقدمها بكل
قوتها ، ثم تثب داخل مخزن الملفات ، وتغطى مصاحته كلها
برصاصاتها الضيقة ..

ثم توقفت ..

توقفت ، وانعقد حاجباها الرقيقان فى دهشة ، وهى تدبر عينيها
الجميلتين فى المكان بسرعة ، حتى استقرتا على النافذة المفتوحة ،
بعد أن جابتا الحجرة ، التى خلت تماما من أى أثر لـ (أدهم صبرى) .

.. ليت الأمر يقتصر على هذا .. لقد رآه رجلنا يقفز من نافذة
حجرة (ليونيد) ، إلى نافذة مخزن أوراق الجنرال (فاسيلوف) ،
فى الطابق السفلى ، ثم يفتح النافذة من الخارج ، ويقفز داخل
المخزن .

انتقل ذهوله إلى زميله ، الذى هتف :

.. بالشيطان !.. لم أسمع فى حياتى عن عمل بهذه الجرأة !

قال (شلينكو) فى عصبية :

.. بل قل : بهذه الحماسة !

هز زميله رأسه ، وكأنه ما يزال عاجزا عن تصديق ما حدث ، ثم
سأله فى اهتمام :

.. وماذا فعل رجلنا ، عندما رأى هذا ؟

أجابه (شلينكو) فى شيء من السخط :

.. اتصل هاتفيا بجهاز أمن المبنى الرئيسى ، وأخبرهم مآراه ،
وترك مسئولى مواجهة الأمر لهم ، وأمرع يتصل به ، ليبلغنى
ما حدث .

اعتدل زميله ، وهو يقول فى انفعال :

.. ترى كيف سيواجهون هذا الأمر ؟.. أراهنك أنهم سيعدمون

خمس من مسئولى أمن المبنى على الأقل .

قال (شلينكو) فى عصبية ، وهو ينهض ملتقظا مسدسه .

.. ليس هذا هو المهم الآن .

رأه زميله يسرع لمغادرة الحجرة ، فاستوقفه ليسأله :

.. إلى أين ؟



وخطه روح آخر

رتاج نافذة (فاسيلوف) ، الذي شفق في دهشة وذعر ، عندما رأى
(أدهم صبرى) يقفز عبر النافذة المحطمة ، ويدور جسده حول

وفي اللحظة نفسها ، ارتفع دوى رصاصات أخرى ..
وتحطم رتاج آخر ..

رتاج نافذة (فاسيلوف) ، الذي شفق في دهشة وذعر ، عندما
رأى (أدهم صبرى) يقفز عبر النافذة المحطمة ، ويدور جسده حول
نفسه دورة رأسية بهلوانية مذهشة ، قبل أن يقول في سخرية .
- معذرة أيها السادة .. هل أفزعتكم زيارتى المفاجئة *

تراجع (اندريه) في حركة حادة ، وقفزت يده إلى مسدسه ،
الذى يستقر في جيب سترته ، وهو يهتف :
- بالشيطان !

ولكن قدم (أدهم) ركلت المسدس في عصف ، وصاحبها يقول
ساخرًا :

- لا داعى للمجاملات أيها الوغد .

ثم وثب (أدهم) نحو مكتب (فاسيلوف) ، واختطف العلبة التى
تحتوى قائمة أسماء العملاء السوفيت ، وأفلام الميكروفيلم ، وهو
يستطرد :

- سأكتفى بهذه الهدية البسيطة .

صرخ (فاسيلوف) و (اندريه) في وقت واحد .

- لا .. لا هذا .

وفي اللحظة نفسها عادت (ناديا) إلى الحجرة مدفعة ، وهى
تهتف :

- ابتعدا .

ثم أطلقت رصاصات مسدسها في غزارة ..

ولكن جسد (أدهم) قفز مرة أخرى إلى الأمام ، ودار حول نفسه نفس الدورة الرأسية البهلوانية ، ولكنه هبط في هذه المرة خلف مكتب (فاسيلوف) ، وأحاط عنق هذا الأخير بذراعه ، وهو يلصق فوهة مسدسه بصدغه ، قائلاً :

- هيا يا عزيزتي (ناديا) .. لا تترددي . أطلقى النار على جسد رئيسك بلا هوادة .

اتفق حاجبا (ناديا) في صرامة ، وبدت سيابقتها متوترة متحيزة ، على زناد مسدسها ، وهي تنظر إلى (أدهم) و (فاسيلوف) ، في حين نوح هذا الأخير بذراعيه ، هاتفا في زعر - لا .. لا يا (ناديا) .. لا تطلقى النار .

لم يكذب يطلق هتافه ، حتى اقتحم رجال أمن المبنى حجرة مكتب (فاسيلوف) ، وارتفعت فوهات أسلحتهم نحو (أدهم) ، وهتف قائدهم مبهوراً :

- كيف وصل هذا الرجل إلى هنا ؟

صرخ (فاسيلوف) في غضب وتوتر :

- هل تسألني ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

- هيا أيها السادة .. إننى أقدر لكم قدومكم لتحيتنى ، ولكننى أفضّل

البقاء هنا وحدى ، مع صديقى (فاسيلوف) ، وعزيزتنا (ناديا) ، وذلك الوغد (أندريه) .. غادروا المكان بسرعة إذن ، قبل أن أنسف رأس رئيسكم أمام أعينكم .

شمل التوتر وجوه الجميع ، وتطلع قائد الأمن الداخلى إلى

(فاسيلوف) . وكأنه يسأله رأيه ، وينتظر أوامره ، فقل (فاسيلوف) - (أدهم) فى عصبية :

- (إنك تركب أكبر خط فى حياتك يا رجل . لست أعلم كيف نجحت فى الدخول إلى هنا ، على الرغم من كل احتياطات الأمن التى نتبعها ، ولكن كيف تتوقع الخروج من هنا . بعد هذه المواجهة الصريحة ؟

قال (أدهم) فى لهجة تهكمية :

- يانها من مشكلة عويصة . يا إلهى ! - (تنى أرتجف رعباً قال (فاسيلوف) فى حدة ، وذراع (أدهم) القوية تخنق الكلمات فى حلقه :

- حاول أن تفهم الأمر على حقيقته . (إنك سجين هنا يا فتى ، مهما فعلت أو حاولت .

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- وماذا لو أجبرتكم على إخراجى من هنا ؟

اختلق صوت (فاسيلوف) ، وهو يقول :

- مستحيل ! لن يطيع أحدهم أوامرى . لو طلبت منهم هذا . أنت لا تعرف القواعد هنا . إنهم سيطلقون النار علينا مغا حينئذ ، ثم يصرفون معاشنا محترفاً لأرملتى .

جذبت (ناديا) إبرة مسدسها ، وهي تقول فى برود

- فكرة لا بأس بها .

وكان (أدهم) يعلم أن (فاسيلوف) لا يكذب

إنهم لن يسمحوا له بالفرار قط ، وهو يحمل قنعة باسماء كل

عمالئهم في (مصر) ، مهما كان الثمن ، حتى ولو اضطروا لقتل
(فاسيلوف) نفسه ..

ومما زاد الطين بلة ، أن (أندريه رابين) هتف في حدة :

- هذا الرجل يحمل أسراركم كلها في جيبه .. احترسوا .

وهنا كان على (أدهم) أن يجد وسيلة للفرار من هذا كله ..
ولا ...

وفجأة ، أدار (أدهم) فوهة مسدسه بعيدا عن صدغ

(فاسيلوف) ، وهو يقول :

- أخبروني أيها السادة . هل سبق لكم أن اختبرتم وسائل
العصفان ؟

ومع عبارته انطلقت من مسدسه رصاصة ، عبرت باب الحجرة
المفتوح ، وهشمت مصباح المعمر ، ثم دارت فوهة مسدسه ،
وأطلقت رصاصة ثانية ، قطعت أسلاك الثريا المعلقة بالسقف ،
فهوت لتتجذر في منتصف الحجرة بدوى أشبه بالقنبلة ..
وساد ظلام تام ..

وفي انفعال ، صرخ (فاسيلوف) :

- لقد تركنى .. أوقفوه قبل أن يفر من هنا .

ارتبك طاقم الأمن ، أمام تلك المبادرة غير المتوقعة ، وسادهم
اضطراب شديد ، ولم يستطع أيهم إطلاق رصاصة واحدة ، وسط هذا
الظلام الدامس ، خشيّة أن يصيبوا (فاسيلوف) نفسه ، الذي هتف -

- أغلقوا الباب ، ولتقفوا جميعكم أمامه - لن نسمح له بالفرار

قال (أندريه) في توتر :

- ألا توجد وسيلة للإضاءة ؟

لم يسمع جوابا ، فقال في قلق :

- (فاسيلوف) .. أين أنت ؟

ارتفع صوت (فاسيلوف) فجأة ، من الركن المجاور للباب :

- ها هوذا .. إلى يارجال .. أنا أمسك به .

اندفع الجميع نحو مصدر الصوت ، وساد الهرج والمرج ، في
حين عقدت (ناديا) حاجبيها ، مضغمة .

- وماذا عن النافذتين المفتوحتين ؟

أسرعت تشغل قداحتها ، ورأت على ضونها رجال الأمن ، وقد
تشابك بعضهم ببعض ، في ركن الحجرة المجاور للباب ، في حين
سقط (فاسيلوف) على مكتبه فاقد الوعي ، فأسرعت نحوه ، وهي
تهتف :

- توقفوا أيها الأغبياء .

وراحت تهزه في عنف ، قائلة :

- رفيق (فاسيلوف) . استيقظ أيها الرفيق الجنرال .

فتح (فاسيلوف) عينيه ، هتفا :

- أين أنا ؟ ماذا حدث ؟ .. لماذا يسود الظلام ؟

سألته متوترة .

- كيف فقدت وعيك ؟

أجاب متوترا

- اه . تذكرت - لقد أطلق ذلك الرجل النار على الثريا ، ثم

أفقدني الوعي

تراجعت هاتفة فى دهشة :

- ماذا ؟ من الذى كان يتحدث إن من قنيل ؟

ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تهتف :

- اللعنة !

وانطلقت تعدو نحو النافذة ، وتطلعت منها ، وكادت تطلق صرخة

غضب هائلة ..

كان (أدهم) امامها مباشرة ، فى الفناء الخلفى للمبنى ، الذى

تطل عليه نافذة حجرة (فاسيلوف) ، وقد اشتبك مع حارسى

الفناء ، ولكم أحدهما لكمة ساحقة ، أسقطته فاقد الوعي ، فى حين

تفادى ضربة من بندقية الثاى ، وأسقطه بلكمة مباشرة فى انفه

وبكل العصب فى أعماقها ، صوبت (ناديا) مسدسها إلى

(أدهم) ، وأطلقت النار ..

ولكن (أدهم) كان - فى هذه اللحظة بالدات - يعدو عبر الفناء .

وطاشت رصاصتها ..

وهتف قائد الأمن ، عبر جهاز لاسلكى :

- هناك جاسوس فى الفناء الخلفى اوقفوه باى ثمن .

وفى اللحظة نفسها ، كان (أدهم) قد بلغ نهاية الفناء ، ووجد

أمامه بوابة يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار ، وتتصل بها من أعلى عدة

أسلاك دقيقة ، أدرك ما تعنيه على الفور ، وهو يتمتم .

- يالها من نهاية ! بوابة مكهربة امسى ، وانعدو من خفى .

فأين المفر ؟

ثم يكذب بتم عبارته ، حتى رأى خمس دراجات بخارية تنطلق عبر

باب المبنى ، وتعبير الفناء نحوه ، فهتف :

- لماذا قتلها يا (أدهم) ؟.. لقد جاء العدو من خلفك بالفعل .

انطلق يعدو إلى جوار الجدار ، والدراجات الخمس تطارده ،

وأطلق قائد الأمن من نافذة الطابق الثاى ، وهو يصيح :

- لا تقتلوه .. أريده حيا .. لا بد أن نعرف من وراء هذا الرجل .

ابتسم (أدهم) ، عند سماعه هذه العبارة ، وغمغم وهو يعدو :

- أشكرك يا رجل .. لا يمكنك أن تتصور حجم الخدمة ، التى قدمتها

إلى .

ثم اندفع مباشرة نحو أحد جدران الفناء ، والدراجات البخارية

خلفه ، فعقدت (ناديا) حاجبيها ، وهى تراقب هذا المشهد ،

ممتمة :

- ترى ماذا يقصد بفعلته هذه ؟

ارتفع حاجباها فى دهشة ، عندما وثب (أدهم) نحو الجدار ،

ودفعه بقدميه ، ثم قفز فى الهواء ، ودار بجسده دورة رأسية

خلفية ، تجاوز بها أقرب الدراجات المطاردة إليه ، وهبط خلفها ،

ليركل قائدها فى مؤخرة عنقه ، هاتفا :

- مفاجأة !

كست الركبة عنيفة ، والمناورة كلها مدهشة مباغتة ، فسقط

الرجل عن دراجته ، التى انزلت فوق الجليد ، و (أدهم) يعدو

حفا

وبسرعة ومهارة مدهشتين ، فوجئ الجميع بـ (أدهم) يلتقط الدراجة ، ويرفعها على إطارها ، ثم يثبت على مقعدها ، وينطلق بها في ثانية واحدة ..

واستدارت الدراجات الأخرى لمطاردته ، ولكنه اندفع نحوها ، بدلا من أن يفرز منها ، وأطلق رصاصة من مسدسه على إطار الدراجة الوسطى بالذات ، فانسحب الإطار ، وانزلت الدراجة أرضا ، ورأى الجميع (أدهم) ينطلق نحوه بأقصى سرعة ، فهتف قائد الأمن :

— ما الذي سيفعله هذا الرجل ؟

أما (ناديا) ، فقد امتزج حاجباها الجميلان ، وهي ترافق ذلك التوقيت المدهش والتناسق الرهيب ، عندما ارتطم الإطار الأمامي للدراجة (أدهم) بالدراجة المنزلة ، في نفس اللحظة التي عبرت فيها على مسافة ثلاثة أمتار من البوابة المكهربة ، ثم جذب (أدهم) مقود الدراجة في اللحظة نفسها ، فارتفع الإطار الأمامي ، ثم وثبت الدراجة كلها ، مع تلك السرعة ، وحلقت في سماء الفضاء لحزء من الثانية ، قبل أن تعبر البوابة ، في مشهد لن ينمحي قط . من دهن كل من رآه ، حتى آخر لحظة في عمره ..

لقد وثبت فوقها ، ثم هبطت مرة أخرى خلفها ، واستقرت إطاراتها على الجليد ، ثم انزلت في عنف ، ومالت براوية محيفة . وبدأ للجميع وكأنها مستقلب رأسا على عقب ، (إلا أن (أدهم) سيطر عليها بمهارة خرافية ، وأجبرها على مقاومة الانزلاق ، والاعتدال مرة أخرى ، فشهِق قائد الأمن ، هاتفا في تنقائية

— مستحيل !

٥٠

في حين غمغمت (ناديا) في سخط :
— اللعنة !

وصاح (أندريه) :

— جنرال (فاسيلوف) هل ستسمح له بالفرار ؟

هتف (فاسيلوف) :

— مستحيل ! لا يمكننا المخاطرة بهذا .

رفع قائد الأمن جهاز اللاسلكي إلى فمه ، وهتف برجاله :

— طاردوه .. لا تتوقفوا قبل أن تظفروا به .

وبضغطة زر ، انفتحت البوابة ، وانطلقت الدراجات النارية الثلاث خلف دراجة (أدهم) .

وبدأت مطاردة جديدة في شوارع (موسكو) ، تحت الجليد المنهمر ..

وفي هذه المرة أيضا ، أثبت (أدهم صبرى) أنه فارس لا يشقى له غبار ..

كان يتحكم في دراجته النارية بشكل مدهش ، لم يسبق له مثيل ، على الرغم من طبقة الجليد الرقيقة ، التي تغطي كل شوارع المدينة ، فيميل يمينًا ويسارًا ويحاور ، ويناور ، وينحرف من طريق إلى آخر ، ورجال المخابرات الثلاثة يلهثون خلفه ، ويبدنون طاقة هائلة ، لمجرد الحفاظ على المسافة التي تفصلهم عنه ..

ثم هتف أحدهم عبر اللاسلكي :

— مستحيل أيها القائد !! لا يمكننا أن نظفر بهذا الشيطان حيًا .

صاح بهم الرجل :

- اقتلوه إذن .. المهم ألا تصحوا له بالفرار .

شعر الرجال الثلاثة بالارتياح لهذا الأمر ، فأخرجوا مسدساتهم ، وصوبوها إلى (أدوم) ، إلا أن هذا الأخير انحرف فجأة إلى شارع آخر ، قبل أن تنطلق رصاصاتهم نحوه .

ولكن هذه الاحتواء لم تمن نجاة التامة ، وهو ينطلق بهذه السرعة الكبيرة ..

لقد وجد نفسه فجأة أمام سيارة روسية قوية ، تسد الطريق كله عن عمد ..

سيارة تحمل ايضاً شعار الـ (كى جى بى) ، ويقودها ضابط من ضباطه ..

الصابط (شلينكو) ..

(بوريس شلينكو)

★ ★ ★

٥ - أريد هذا الرجل ..

بدأ الجنرال (فاسيلوف) شديد التوتر والعصبية ، عندما أشعل رجال الأمن مصباحاً جديداً فى حجرته ، فى حين راح قائد الأمن يقول :

- لقد خدعهم هذا الشيطان ، وطلب مقابلة أحد المسؤولين هنا ، وعندما قدوه إلى (ليونيد) ، هاجمه بغتة ، ثم تسلل إلى هنا صاح (فاسيلوف) محنقاً :

- هاجمه بغتة ، ثم تسلل إلى هنا . ياله من قول سهل لفعل مشين ! .. وكيف نجح فى فعل هذا أبها العبقرى ؟ . أين كان رجلك ؟ .. ألم تضع قريباً من العمالقة ، لحراسة المبنى من الداخل ؟ انعقد حاجباً قائد الأمن ، وهو يقول :

- كان هناك اثنان منهما بالفعل ، فى حجرة (ليونيد) .

هتف (فاسيلوف) :

- لماذا لم يمنعاه إذن ؟

أشاح الرجل بوجهه فى توتر ، وهو يجيب :

- لقد .. لقد أفقدهما الوعي .

انعقد حاجباً (ناديا) ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وارتفع حاجباً

(أندريه) فى دهشة ، فى حين قال (فاسيلوف) مبهوئاً :

- أفقدهما ماذا ؟ قل لى يا رجل هل تخدعنا بعمالقة من

ورق ؟

لَوْح قائد الأمن بذراعه ، هاتفا :

- هذا الرجل ليس عاديا .. لقد رأيت بنفسك ياسيدى ماذا يفعل ، وكيف خدعنا جميعا بصوت يستحيل تمييزه عن صوتك شخصيا صرخ (فاسيلوف) ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته .
- هراء .. هذا الرجل يحمل الآن سرا من أخطر أسرارنا ، ولو نجح فى تهريبه إلى خارج الاتحاد السوفيتى ، فسيفنى هذا أن نخسر عددا من أقوى شبكاتنا فى (مصر) .. بل كل رجالنا هناك على وجه الدقة .

ارتفع حاجبا قائد الأمن ، وهو يهتف :

- إلى هذا الحد ؟

تتحنج (أندريه) ، وقال :

- لو أردت رأى باجنرال ، فـ ...

قاطعه (فاسيلوف) فى غضب :

- كلا .. لا أريد رأيك يا (أندريه) .. لا أريد حتى سماع صوتك ..

هل نسيت أنك المسئول الأول عن كل هذا ؟ .. لو لم تحضر تلك القائمة ، لما كانت هناك مشكلة الآن .

صاح (أندريه) :

- وكيف لى أن أعرف أن ...

قاطعه (فاسيلوف) فى ثورة :

- قلت لك أصمت .

ثم تابع فى عصبية شديدة :

- إننا نجهل كل شيء عن هذا الشيطان .. لا نعرف حتى هويته ، وإلى أية دولة ينتمى .

تردد (أندريه) لحظة ، ثم قال :

- أعتقد أنه أمريكى .

التفت إليه (فاسيلوف) فى حدة ، وقال :

- ومن أدراك ؟

ارتبك (أندريه) لحظة أخرى ، ثم قال فى حسم :

- أسلوبه يشير إلى هذا .

لَوْح (فاسيلوف) بذراعه ، هاتفا :

- هراء .. هراء .

ثم أرفف فى سخط :

- الوسيلة الوحيدة لمعرفة هذا ، هى الإيقاع بذلك الشيطان

قال قائد الأمن بسرعة :

- رجالنا بطاردونه الآن ياسيدى .

قال (فاسيلوف) فى حدة :

- كما فعلوا هنا .. أليس كذلك ؟ .. ثم إنك أمرتهم بقتله أيها

الغيبى .

احتقن وجه قائد الأمن ، وهو يقول :

- كان هذا أفضل من هروبه أيها الرفيق الجنرال .. ثم إننى أحتج

على مخاطبتى بهذا الأسلوب ، فى حضور رجالى

صرخ فيه (فاسيلوف) :

- اصرفهم من هنا إذن .. لست أرى فائدة لهم هنا .

ثم نوح في وجهه بسبابته ، مستطرذا في حدة :

- وحاول أن تتبع إجراءات الطوارئ القصوى هذه المرة . اطبع
نشرة بأوصاف هذا الرجل ، وارسلها إلى كل مراكز الحدود ، وأطلق
رجالنا كلهم خلفه .

ودق سطح مكتبه بقبضته مرة أخرى ، صارخا :

- أريد هذا الرجل .. أريده بأي ثمن ..

وتحطم زجاج المكتب تحت قبضته .

★ ★ ★

لم يكن وجود (بوريس شلينكو) ، رجل المخابرات السوفيتي ،
في نفس الشارع الذي انحرف إليه (أدهم) ، محض مصادفة في
الواقع ..

بل كان مقصودا ..

ولكى يمكننا فهم هذا ، واستيعاب ماحدث ، فمن الضروري أن
ندفع عقارب الساعة إلى الخلف ، لخمس دقائق فحسب ، قبل أن
نواصل روايتنا ..

فقبل هذه الدقائق الخمس ، كان (شلينكو) ينطلق بسيارته ، في
طريقه إلى مبنى المخابرات الرئيسي ، عندما ضغط زر جهاز
الاتصال اللاسلكي المباشر ، وهو بغمغم .

- أراهن أنهم يتبادلون الآن فيضا من الرسائل اللاسلكية ، كما
يفعلون في كل مرة ، تفلت فيها الأمور من بين أصابعهم .
كان فضوله يشتعل بشدة . لمعرفة مايدور ، ولم يكذب بضغط

الزر ، حتى أثار صوت قائد الأمن ، عبر موجة الاتصال الخاصة ،
وهو يبلغ أوامره لرجاله ، قائلا :

- حاصروا ذلك الرجل .. التفتوا حوله ، و ...

قاطعه أحد راكبي الدراجات البخارية في حلق :

- الأفضل أن نصل إليه أولا .. إنه ينطلق بسرعة خرافية ، وكأن
دراجته تفوق دراجاتنا ، على الرغم من أنها واحدة منها .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال قائد الأمن في عصبية :

- فليكن .. أين هو الآن ؟

أجاب راكب الدراجة النارية :

- في شارع (ستالين) ، ونحن نحاول الاقتراب منه .

انعقد حاجبا (شلينكو) في شدة ، عندما بلغ هذه النقطة ،
وانطلق عقله بعمل بسرعة خرافية ، وهو يضغط دواسة الوقود ،
لوزيد من سرعة سيارته .

إن ذلك الرجل في شارع (ستالين) الآن ، وهذا الشارع ينتهي
بشريط مترو عريض ، ثم يتفك كبير ، وهذا يعني أنه لن يواصل
انطلاقه فيه حتى النهاية ..

سينحرف حتما إلى أحد الشوارع الجانبية ، التي تتيح له حرية
الانطلاق بأقصى سرعة ..

إما شارع (الثورة) ، أو شارع (بودجورني) .

وبسرعة ، اتخذ (شلينكو) قراره ، وانحرف إلى شارع
(الثورة) ، ثم دار بسيارته ربع دورة ، ليقتل بها الشارع ، وهو
يهتف لنفسه :

.. كل ما نحتاج إليه هو ضربة حظ ..

لم يكذب بتم عبارته ، حتى رأى (أدهم) ينحرف إلى شارع
(الثورة) بسرعة رهيبية ، فهتف في انفعال جارف -
- ها هوذا .

أما (أدهم) ، فقد فوجئ بالسيارة تعترض طريقه ، وأدرك أنه
ليس من الممكن أن يتوقف الآن ، فوق هذا الجليد الزلج ، كما أنه
لا توجد نقطة قفز ، تتبع له الوثب عبر السيارة ..
لم يكن هناك سوى حل واحد ..

لقد مال بالدراجة إلى أقصى اليمين ، وقفز بها فوق الأفرز ،
محاولاً تجاوز السيارة ، عبر ذلك الشريط الضيق ، الذي يفصلها عن
جدار المبنى المقابل ..

ولكن (شلينكو) استل مسدسه بسرعة كبيرة ، وراح يطلق
رصاصاته في انفعال وغزارة ..

وعلى الرغم من هذا ، استطاع (أدهم) عبور ذلك الشريط
الضيق ، وهو ينحنى لتفادي رصاصات (شلينكو) ، و ..
وبالأسف ...

ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..

لقد تجاوزت الدراجة ذلك الفراغ بالفعل ، إلا أن واحدة من
رصاصات (شلينكو) فجرت إطارها الأمامي ، في اللحظة ذاتها ،
فاختل توازنها ، وانزلقت فوق الجليد في عنف ، وسقط جسد
(أدهم) عنها ، وهي تواصل طريقها متخبطة .

وصرخ (شلينكو) من فرط إحساسه بالتصر ..

لقد نجح وحده في الظفر بذلك الشيطان ، الذي أذل ناصية الجميع
في المبنى الرئيسي ..

وفي سرعة وحزم ، صوب (شلينكو) مسدسه ، عبر نافذة
سيارته ، إلى (أدهم) الساقط أرضاً ، وهو يهتف :
- انتهت اللعبة !.. أنت الآن في قبضتي .

ولكن الدراجات المارية الثلاث ، التي يقودها رجال المخابرات
السوفيتية ، وصلت في هذه اللحظة بالذات ، وهي تنحرف إلى حيث
انحرف (أدهم) ، ووجد قادتها سيارة (شلينكو) أمامهم ، فصاحوا
في أن واحد :
- اللعنة !

حاولوا إيقاف دراجاتهم ، إلا أن الأرض الجليدية الزلقة لم تسمح
لهم بهذا ، فاندفعت الدراجات إلى الأمام ، وارتطمت بسيارة
(شلينكو) في عنف ، وتطاير عنها راكبوها ، في حين فقد
(شلينكو) توازنه ، مع ذلك الاصطدام المباغت ، واندفع جسده إلى
الأمام في عنف ، ولم يكذب بعتدل ، حتى رأى (أدهم) واقفاً على
قدميه أمامه ، وهو يقول :

- معذرة يا صديقي لن يمكنك قتلي اليوم .

ثم هوت قبضته كالقنبلة على أنف (شلينكو) ..

ولثوان ، لم يشعر (شلينكو) بشيء مما يحدث حوله ، وبدأ
وكأنه قد فقد الوعي ، ولكنه لم يلبث أن استعاد هذا الوعي بسرعة ،

فوجد نفسه ملقى أرضاً ، و (أدهم) ينطلق بسيارته مبتعداً ، ورجال الدراجات النارية الثلاثة يطاردونه فى استماتة بدراجاتهم ، بعد أن استعادوا توازنهم وتوازنهم ..

وتفجّر غضب هائل فى أعماق (شلينكو) ، فنهض ملوّحاً بقبضته ، وهو يصرخ :

- لن تذهب بعيداً .. سأظفر بك ، حتى ولو ذهبت إلى الجحيم نفسه ..

ولكن أحداً لم يسمعه ..

لقد ابتعد الجميع ..

وانتقلت المطاردة إلى مضمار آخر ..

وبكل مهارته وحنكته ، انطلق (أدهم) بسيارة (شلينكو) فوق ثلوج (موسكو) ، وبأقصى سرعة ممكنة ..

ولكن الدراجات النارية كادت تلحق به هذه المرة ، فعقد حاجبيه ، وهو يراقبها فى مراة السيارة ، معمفاً :

- إنك تثير اهتمامى حقاً يا رجل الأمن . كيف تمتلك سيارة كهذه ، يكاد محركها يتقدم بطلب لإحالة إلى التقاعد

كان يدرك أن هذه السيارة لن تحتل مطاردة طويلة .. لذا فقد قرّر اللجوء إلى مناورة غير متوقعة .

وفجأة ، ضغط فرامل السيارة ..

ضغطها بشكل مدروس ، جاء مباغتاً بالنسبة لقائى الدراجات النارية ، فارتطم بها أحدهم فى عنف ، ووجد نفسه يطير متجاوزاً إليها ، ثم يسقط فوق الجليد ، وينزلق فوقه طويلاً ، قبل أن يستقر فاقد الوعي ..

ومع انخفاض السرعة المبالغت ، دار (أدهم) بسيارته دورة سريعة ، أربكت قائدى الدراجتين الآخرين ، فأنحرفا عن مداريهما ، واختل توازنهما ، وسقطا .. وقيل أن يقفز الرجلان مرة أخرى إلى دراجتيهما ، كان هو قد انطلق بالسيارة مبتعداً ، فى طريق آخر ..

ولكن الرجلين لم يستغرقا أكثر من لحظات معدودة ومحدودة ، ثم كانا يطاردانه مرة أخرى ..

ولاحت لهما السيارة من بعيد ، فهتف أحدهما ، وهو يصوب إليها مسدسه الآلى :

- ها هى ذى . انصفها قبل أن يجد الوقت لمغادرتها .

ولم يكن رفيقه بحاجة إلى مثل هذا الهتاف ، فقد صوب مسدسه بالفعل إلى السيارة ، وراح ينفس زميله ، فى غزارة إطلاق النيران نحوها ..

وتلقى جسم السيارة عشرات الرصاصات ، ثم اخترقت إحداها خزان الوقود ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، هز الشارع بأكمله ، ولكن أحداً من سكان (موسكو) لم يفتح نافذته .

صحيح أن كل القاطنين فى الشارع قد اختلسوا النظر ، بوسية أو بأخرى ، عبر فرجات النوافذ ، إلا أن أحداً لم يجرو على الإفصاح عن ذلك .

كانوا جميعاً يدركون أنها عملية تخص (كى . جى . بى) ، وأنه
من الأفضل - والأسلم - ألا يتدخل أحدهم فيما يدور فى الشارع ..
أما رجلا المخابرات ، فقد اتجها مباشرة نحو السيارة المحترقة ،
وتوقفا امامها ، ثم قال أحدهم فى شك وقلق :
- لقد كانت متوقفة .

سأله الآخر :

- ماذا تعنى ؟

- لم يجب الرجل مباشرة ، وإنما راح يتلفت حوله فى توتر ، قبل
أن يشير إلى الجليد ، هاتفا فى حدة :
- انظر هناك .

أدار زميله عينيه بسرعة إلى حيث يشير ، ورأى آثار أقدام
مطبوعة على الجليد ، وتبعد عن السيارة لعدة أمتار ، قبل أن
يخفيها الجليد المتساقط ، فهتف :

- اللعنة !.. لقد هرب قبل نصف السيارة .

انطلقا بعدوان ، وهما براقبان ويتتبعان الآثار ، ثم توقفا فى
حنق ، عند نقطة تلاشت عندها آثار الأقدام ، وصاح أحدهما فى
حنق :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

كانا محققين فى دهشتهمما بالفعل ، فقد كانت آثار الأقدام تنقطع
فجأة ، فى منتصف الطريق ، كما لو أن (أدهم) قد تلاشى فجأة ،
فهتف الثانى :

- ماذا فعل بالضبط ؟.. هل طار إلى السماء ؟

رفعا عيوتهما معا إلى أعلى ، وكأنهما يبحثان عنه فى السماء
بالفعل ، وارتسم مزيج من الدهشة والغضب على وجهيهما ، وهما
يبحثان عن تفسير منطقي لانقطاع آثار الأقدام المبالغت هذا ..

والعجيب أن الدهشة كانت تختص بهما وحدهما ، دون سكان
الشارع ، الذين رأوا ماحدث ولكن أحدهم لم يجرؤ على التدخل ..
وهذا الكهل بالذات ، الذى يقطن المنزل المواجه تماماً لمنطقة
انقطاع الآثار ، كان يمكنه أن يروى لهم - وبأدق التفاصيل - ماذا
حدث بالضبط ، ولكنه كان يعلم مايمكن أن يجره إليه هذا ، من
أسئلة ، وتحقيقات ، واستجوابات ، ووسائل ضغط ، وتعذيب ،
وامتهان ..

بل وربما ينتهى الأمر إلى اتهامه بالتواطؤ وخيانة الحزب ..
إنه لم ينس بعد شقيقه ، الذى كتب رسالة مختصرة إلى جريدة
(برافدا) ، منذ عشرة أعوام ، ينتقد فيها عمال المترو ، ومن
يومها وهو يقطع الأخشاب فى (سيبيريا) ، حتى يومنا هذا ..
هذا الكهل بالذات كان يطل على الطريق ، ويراقب تساقط الجليد ،
عندما رأى (أدهم) يعدو عبر الشارع ، ثم يتوقف فى منتصفه ،
ويشب وثبة مدهشة ، تجاوز ارتفاعها المترين ، ليتعلق بحاجز شرفة
المبنى المواجه له ، ثم يشب منها إلى شرفة أخرى ، ويتسلق المبنى ،
ثم يخفى عند سطحه ..

ومن حسن حظ (أدهم) ، أن هذا الكهل لم يدل بشهادته هذه ،
فقد بلغ (أدهم) سطح المبنى ، وقفز منه إلى سطح مبنى مجاور ،
ثم إلى سطح ثالث ، ورابع ، وخامس ..

كان يعدو من سطح إلى سطح ، ليبتهق بقدر الإمكان عن المكان ،
وليفقد مطارده أثره ..

وفي ذهنه ، تما سؤال بالغ الأهمية ..

ما الخطوة التالية ؟ ..

لقد حصل على قائمة أسماء العملاء السوفيت في (مصر) ،
وأفلام (الميكرو فيلم) ، التي تحوى صورهم ، ومن الطبيعي أن
يسعى لنقل كل هذا إلى (مصر) ، بأسرع وسيلة ممكنة ..

ولا توجد وسيلة سوى معادرة الاتحاد السوفيتي كله ، فكل شيء
في ذلك المكان ، يخضع لرقابة شديدة وعنيفة ..
البريد .

وسائل الاتصال .:

الفتادى ..

المواصلات ..

وحتى حفلات المسرح والسينما ..

إنه لا يستطيع العودة إلى فندقه ، بعد أن واجههم هكذا بوجه
مكتشف ..

من المؤكد أنهم يحتفظون بسجل لكل سائح دخل إلى بلادهم ،
وسيمكنهم تعرفه بعد قليل .

أين يذهب إذن ؟

وكيف يغادر (موسكو) كلها على الأقل ؟ ..

كانت هذه الأسئلة تملأ رأسه ، عندما قفز إلى سطح جديد ، و
وفجأة ، تهاوى ذلك السطح تحت قدميه ..

وتعالى صوت زجاج يتحطم ..

ثم هوى جسده ..

هوى من ارتفاع خمسة أمتار ، ثم ارتطم بالأرض الصلبة في
عنف ، وترننت في أذنيه صرخة أنثوية مذعورة ، ونباح كلب ،
و ...

وغاب عن الوعي تمامًا ..

في قلب (موسكو) .

★ ★ ★



٦ - رجل واحد ..

« اختلى ١٢ .. »

احتلن وجه الجنرال (فاسيلوف) فى شدة ، وهو ينطق هذه الكلمة ، حتى خيل للجميع أن الدماء التى تملأ جسده كله قد تجمعت فى وجهه ، وهو يستطرد فى ثورة :

- أى قول سخيف هذا ؟ كيف بنجح رجل فى دخول مباننا الرئيسى ، ومعرفة أسرارنا أمام أعيننا ، ثم يهرب ، ونعجز عن اقتناصه ١٢ .. هل يمكنكم تفسير هذا للزعماء فى (الكرملين) ؟

انعقد حاجبا قائد الأمن ، وهو يقول :

- لقد بذل رجالى قصارى جهدهم أيها الرفيق الجنرال ، ولا يمكنى اتهامهم بالنقصير .

صرخ (فاسيلوف) :

- لا يمكنك ماذا ؟.. أى لفظ تصف به ما حدث إذن .. لقد خرج خمسة من راكبي الدراجات النارية ، من أفضل رجالنا ، لمواجهة رجل واحد ، فى فناء المبنى الخلفى ، فماذا كانت النتيجة ؟

قال قائد الأمن فى حدة :

- لا أحد يعلم كيف اختلى .. لقد انقطعت آثار قدميه على الجليد فحسب .

أشار (فاسيلوف) إلى رأسه ، وقال فى غضب :

- لا أحد يعلم : لأن أحدا لم يحاول البحث رجالك أيها العقيد محرد ثيران ، نتمى عضلاتهم ومهاراتهم ، ولكننا نهمل عقولهم . قال قائد الأمن فى غضب :

- رجالى هم الفصل طاقم أمن لدينا ، بها الرفيق الجنرال ، ولو أنهم فشلوا فى مهمتهم ، فالخطا ليس خطاهم . كان يمكن اقتناص ذلك الرجل بكل بساطة . لولا أنه تمكن من السيطرة عليك تتحنج (أندريه) ، وقال :

- سيذى الجنرال ، اسمح لى بعرض رغبتنا ، فى المساعدة على ..

قاطعه (فاسيلوف) فى عنف :

- اصمت .

ثم التفت إلى قائد الأمن ، مستطرذا :

- ابن فانت تتهمنى باسئ السبب فيما حدث أيها الرفيق العقيد . شد قائد الأمن قامته ، وقال :

- نعم . إننى اتهمك بهذا رسميا أيها الرفيق الجنرال ، وأطرح تساؤلا يروج بالشك . فكيف تاتى أن تحتفظ فى مكتبك الشخصى بقائمة تحوى أسماء كل عملائنا فى (مصر) ؟ الا يتعارض هذا تماما مع أبسط قواعد الأمن ؟

احتقن وجه (فاسيلوف) مرة أخرى ، وألقى نظرة غاضبة على (أندريه) ، الذى تتحنج فى حرج ، فقال الجنرال فى توتر بالغ :

- هل تنوى طرح هذا الشك على النطاق الرسمى ؟

شعر قائد الأمن بقوة موقفه ، فشد قامته أكثر ، وعقد حاجبيه ،
وهو يقول في صرامة :
- بالتأكيد .

ران على الحجرة صمت ثقیل ، بعد هذه الكلمة المقتضية ، ثم
جلس (فاسيلوف) خلف مكتبه في بطم ، وقال لقائد الأمن :
- أنت تحلم بمقعدى هذا من زمن طويل أيها الرفيق العقيد .. أليس
كذلك ؟

ارتسمت على شفتى قائد الأمن ابتسامة ظافرة ، واثقة ، دون أن
ينهم بهنت شفة ، فتابع (فاسيلوف) :

- وطرح هذه الشكوك بكلى بالطبع ، طبقاً للنظام المتبع ، لطردى
من هنا شر طردة ، وحرمانى من كل امتيازاتى ، بل وربما أذى إلى
اعتقالى فى ثلوج (سيبيريا) .. وعندئذ يخلو مقعدى ، ويصبح
منصبى شاغراً .. فمن أفضل منك ، وأكثر خبرة ، لشغل منصب
كهذا ؟

قال قائد الأمن فى صرامة ، لم نخل من رنة شامة :

- لا شيء يبقى على حاله أيها الرفيق الجنرال .

هز (فاسيلوف) رأسه مؤيذاً ، وهو يقول فى خفوت :
- هذا صحيح .

ثم رفع رأسه فجأة ، وقال فى صرامة :

- (ناديا) .

كانت (ناديا مينوفيتشى) تقف طوال الوقت فى ركن الحجرة ،

صامتة ساكنة ، كتشمال من المرمر الوردى ، وعيناها الزرقاوان
تراقبان كل شيء فى حذر ، ولكن لم يكد الجنرال ينطق اسمها ، حتى
دبت الحياة بغتة فى كل خلية من خلاياها ، وانقضت دون تردد أو
إنذار على قائد الأمن ، الذى تراجع مذعوراً ، وانتزع مسدسه ،
هاتفاً :

- ماذا ستفعل ؟

ولكن (ناديا) وثبت فى رشاقة وقوة ، وأطاحت بمسدسه بركلة
واحدة ، ثم دفعت قدمها اليسرى فى ضلوعه ، وتراجع (أندريه
رابين) فى اشمزاز ، عندما انبعثت من ضلوع الرجل قرقة
مخيفة ، وهو يندفع إلى الخلف فى عنف ، ثم يهتف بصوت مختلق :
- ستدفع ثمن هذا يا جنرال .

لم يعلق (فاسيلوف) على عبارته ، وإنما ظل صامئاً ، معقود
الحاجبين فى صرامة ، فى حين انقضت (ناديا) مرة أخرى على
الرجل ، وحطمت أنفه وفكه بلكمتين سريعتين عنيفتين ، تفجرت
لهما الدماء ، لتغطى وجه قائد الأمن ، الذى سقط أرضاً ، فوثبت
(ناديا) نحوه ، وأمسكت جانبيه رأسه فى قوة ، ثم التفتت إلى
(فاسيلوف) ، وكأنها تنتظر أوامره ..

وأدار (أندريه) رأسه فى سرعة ، ليرى رد فعل (فاسيلوف) ،
وانعقد حاجباه فى اهتمام ، عندما أوماً هذا الأخير برأسه فى بطم ،
علامة الإيجاب ..

وعندئذ أدارت (ناديا) ذراعيها بحركة عنيفة قوية سريعة ..

وانبعثت قرقعة أخرى مخيفة ..

ولم تكن قرقعة ضلوع قائد الأمن هذه المرة .

بل عنقه ..

وجحظت عينا الرجل في ألم هائل ودهشة رهيبة ، وندفقت الدعاء من فمه ، ثم انهار رأسه على صدره ، وسقط جثة هامدة وفي هدوء ، ألقته (نانيا) أرضا ، ثم نهضت تعدل زينها العسكري ، وعادت تنف هادئة ساكنة صامتة ، في ركن الحجرة ، وكأنها لم تقتل رجلا اعزل مند ثواب معدودة .

وهنا استدار (فاسيلوف) ، منتظعا إلى (أندريه) ، الذي قال بسرعة :

- كان يستحق هذا .

مط (فاسيلوف) شففيه ، دون ان يحيب ، وضغط زرا فوق مكتبه ، فاندفع أحد رجال الامن إلى الداخل ، وهو يقول .

- أوامرك أيها الرفيق الجنرال .

ولكن بصره وقع على قائده الصريع ، فمد عنقه إلى الامام ، واتسعت عيناه في دهشة ، لولا أن قل الجنرال (فاسيلوف) في صرامة :

- التحقيقات أثبتت أن العقيد (ميكالوف) هو المسؤول ، عن تسلي ذلك الجاسوس إلى هنا ، وعند اتهامه حاول الاعتداء علينا ، والفرار من المكان ، لولا أن تصدت له حارستى الخاصة ، وحاولت منعه ، ولكنه لجأ إلى القوة ، واضطرها إلى القضاء عليه .

بقى الجندي لحظة يحرق في جسد قسده الصريع ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، قائلا :

- بالتأكيد ياسيدى الرفيق الجنرال .

أشار إليه (فاسيلوف) في حزم ، قائلا بلهجة صارمة امرة .

- أخرجوا جثته من هنا ، فلدينا عمل تنجزه .

- أدى الجندي التحية العسكرية ، وغادر الحجرة دقيقة واحدة ، عاد بعدها مع اثنين من رفاقه ، وحملوا جثة قائد الأمن خارجا ، ثم أدى التحية العسكرية أمام (فاسيلوف) ، وقال :

- هل نضع تقريرا رسميا بهذا ؟

أجاب (فاسيلوف) على الفور :

- بالطبع . كل شيء ينبغي ان يسير طبقا للقانون .. سنشرح الأمر كله في تقرير وسمى ، وسيوقع عليه صديقنا (أندريه) وحارستى (نانيا) كشاهدين .

ابتسم (أندريه) ، وقال :

- بالطبع يا جنرال .. انسى مستعد للتوقيع على ورقة بيضاء

رمقه الجندي بنظرة جاسبية ، ثم اعتدل في وقفته العسكرية ، وقال :

- العقيد (بوريس شلينكو) ، مدير فرع مراقبة الأجانب ، يطلب مقابلتك أيها الرفيق الجنرال .

هز (فاسيلوف) رأسه موافقا ، وقال :

- فليكن .. امنحنى خمس دقائق لترتيب أوراقى ، ثم اسمح له بالدخول .

أدى الجندي التحية الرسمية في حزم ، وأسرع يغادر الحجرة ،
ويخلق بابها خلفه ، فاتسعت ابتسامة (أندريه) ، وحملت الكثير من
الخبث والدهاء ، وهو يقول :

- عظيم .. الأمور عندكم تسير بشكل أقل تعقيداً ، وأكثر حسناً .
ألقى عليه الجنرال نظرة بادرة ، دون أن يعلق على عبارته ،
وجلس خلف مكتبه في هدوء ، قائلاً :

- هل تعلم أي مازق وضعنا فيه يا (أندريه) ؟
قال (أندريه) بسرعة :

- بل قل - أي مازق وضعنا فيه الظروف ياسيدي .

عقد (فاسيلوف) حاجبيه في حدة ، وقال في عصبية :

- لقد اختلف هذا الرجل ، ونحن نجهل من هو ، وأين يمكن أن
ينجيه ، وكيف يعمل .. ولا يمكننا - في الوقت نفسه - أن نسمح له
بالفرار ، وهو يحمل هذه الوثائق .. إننا مسعود عشر سنوات إلى
الوراء ، لو انكشف أمر كل عملاتنا في (مصر) .

هز (أندريه) كتفيه ، وقال :

- لو أنك وافقت على قيام التعاون بيننا ، فربما ..

قاطعه (فاسيلوف) في صرامة :

- ومن ذا الذي يحتاج إليكم ؟

ثم التفت إلى (ناديا) ، وقال :

- (ناديا) .

- أدارت عينيها الزرقاوين إليه ، فضاف في حزم :

- أريد هذا الرجل .. سأمنحك صلاحية مطلقة .
خيل لـ (أندريه) أنه قد لمح بريفا مموياً ، يتألق في عيني الفاتنة
الموفيتية الشقراء ، ورأى شبح ابتسامة على شفثيها الجميلتين ،
وهي تقول :

- أوامرك يا جنرال .

كانت تنطقها ببرودها التقليدي ، إلا أنه استشف في العبارة لمحة
جدل ، جعلته يتطلع إلى الفتاة في اهتمام بالغ ، في نفس اللحظة التي
انفتح فيها باب حجرة (فاسيلوف) ، وظهر على عتبة
(شلينكو) ، وهو يؤدي تحيته العسكرية ، قائلاً :

- العقيد (شلينكو) في خدمتك أيها الرفيق الجنرال .

أشار إليه (فاسيلوف) بالدخول ، وهو يقول :

- ماذا ورايك يا (شلينكو) ؟

لم يجب (شلينكو) مباشرة ، وإنما رمق (أندريه) بنظرة
حنرة ، فنهض هذا الأخير ، وتحنح قائلاً :

- أظن أن الوقت قد حان ، لأعود إلى سفارتي باصديقي الجنرال .

أجابه (فاسيلوف) ببرود :

- إلى اللقاء أيها الرفيق (أندريه) .

أوماً (أندريه) برأسه محبباً ، ثم اتجه إلى الباب ، وتوقف لحظة
ليقول بابتسامته الصفراء ، التي تشع بالخبث والمكر والدهاء :

- أكرر عرضي بالمساعدة يا جنرال .

أجابه (فاسيلوف) ببرود صارم :

- إلى اللقاء .

هز (أندريه) كتفيه ، وغادر الحجرة في هدوء . فنقل

(شلينكو) نظرة الشك إلى (ناديا) ولكن (فاسيلوف) ، قال في حزم :

- (ناديا مينوفيتشى) حارستى الخاصة ، ولست أخفى أمرا عنها .

مط (شلينكو) شفتيه ، وكأنما لا يروق له هذا ، ولكنه قال بنهجة عسكرية هاسمة :

- لدى معلومات عن ذلك الجاسوس ، الذى اقتحم المبنى .

اعتدل (فاسيلوف) فى اهتمام شديد ، وهو يهتف .

- حقا ؟! هل عرفت من هو وأين اختفى ؟

قال (شلينكو) :

- لست أعلم أين اختفى أيها الرفيق العقيد ، ولكننى أعرف أشياء

أخرى .. إنه سانح مصرى ، يحمل جواز سفر صحيح ، باسم (ادوم

صبرى) ، ومهنته رجل أعمال وتاجر ، وتقارير المراقبة الخاصة

به ، فى الأسبوع الذى قضاه هنا ، تقول إنه لا يلتزم ببرنامج سياحى

محدود ، أو حتى ببرنامج عمل ، وإنما يقضى وقته فى التحوال ،

والمرور بالمناطق العسكرية والأمنية .

قال الجنرال (فاسيلوف) فى غضب :

- وعلى الرغم من هذا ، فقد تركتموه يواصل جولاته بمطلق

الحرية ، حتى وصل إلى عقر دارنا .

قال (شلينكو) فى توتر :

- إنه لم يكن يفعل أكثر من التجول ، ولم يلتقط أية صور ، أو

بدون ملاحظات ، أو ...

قاطعه (فاسيلوف) فى حدة

- اهذا مالفنوك إياه ، فى مدرسة المخابرات ، أيها الرفيق

العقيد ؟ . هل أخبروك أن الجاسوس سيحمل آلة تصوير كبيرة ،

ويلتقط صوراً تذكارية ، مع مناطقنا العسكرية والأمنية ؟!

تزايد توتر (شلينكو) ، وهو يقول :

- لقد فتشنا حجرته ، أيها الرفيق الجنرال ، ولم نعثر على ما يمكن

أن يثير الشبهات .

هتف (فاسيلوف) :

- حقا ؟! بالبراعة ؟ وماذا تنتظر منى الآن أيها الرفيق

العقيد ؟! وسام الشجاعة من الطراز الأول ؟!

اعتقد حاجبا (شلينكو) فى غضب ، فقد أحس أنه يعامله الجنرال

بهذا الأسلوب ، وأن يخاطبه بهذه الحدة أمام (ناديا) ، وهو الذى

كان يتوقع ترقية استثنائية على الأقل ، لما بحمله من معلومات

قيمة ، وقال فى عصبية :

- لست أنتظر وساما أيها الرفيق الجنرال كل ما أشده هو أمر

رسمى ، بمنابذة هذه العملية .

قال (فاسيلوف) بسرعة وحدة

- كلا يا (شلينكو) . هذه العملية لاتناسبك .

ارتفع حاجبا (شلينكو) فى دهشة بالغة ، وهو يقول

- لاتناسبنى ؟! كيف أيها الرفيق الجنرال ؟! . إننى المسئول

عن مكتب مراقبة الأجانب ، و ...

قاطعه (فاسيلوف) :

- واصل عملك إذن ، فثم تخلص بلادنا بعد من كل الأجانب ، واترك

لنا مهمة العثور على ذلك الرجل وتصفيته .

التقى حاجبا العقيد في غضب شديد ، ولكن (فاسيلوف) تجاهل هذا تماما ، وهو يشير إليه بيده في صرامة ، قائلا :

- هيا .. عد إلى مكتبك ، وسأوصي بمنحك سيارة جديدة ، بدلا من تلك التي تسببت باهمالك في تدميرها .

رمقه (شلينكو) بنظرة غاضبة ، ولكنه لم يملك سوى أن يقول ، وهو يؤدي التحية العسكرية :

- كما تأمر يا جنرال .

تابعه الجنرال (فاسيلوف) ببصره ، حتى غادر الحجرة ، ثم انقلت إلى (ناديا) ، وقال في توتر :

- هل سمعت هذا ؟ .. ذلك الجاسوس مصرى الجنسية ، وهذا يجعل

الأمر أكثر تعقيدا . من المؤكد أن الاسم الذي بحمله جواز سفره ليس

اسمه الحقيقي ، ولكنني أمنتك سلطات واسعة يا (ناديا) .. كل

السلطات التي تحتاجين ، اليها .. ستحصلين تفويضا عاما مني ،

بإصدار كل ما يعينك من أوامر ، والاستعانة بأية إمكانيات يمكن

توفيرها .. المهم أن تظهرى بهذا الرجل .

وامتزج حاجباه في صرامة ، وهو يضيف :

- حطمي هذا الرجل يا (ناديا) .. حطميه بأي ثمن ، ولكن

لا تسمحى له بمغادرة الاتحاد السوفيتى ، وهو يحمل ما حصل عليه .

تألفت عينا (ناديا) مرة أخرى ، بذلك البريق الدموى المخيف ،

وهي تقول :

- أمرك يا جنرال .

وغادرت الحجرة في برود شديد ، لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع .

مرحلة صموية .

★ ★ ★

٧ - بوشكا ..

تردد نباح كلب حاد ، فى أننى (أدهم) ، ففتح عينيه دفعة واحدة ، وقد استعاد عقله ووعيه بفتة ، واعتدل جالسا فى تحفز ، وأصابه تنقبض استعدادا للقتال ..

ولكن فجأة ، قفزت الدهشة لتزيح كل تلك المشاعر جانباً ، وتحتل فى نفسه موقع الصدارة ..

لم يكن محاطاً بالأعداء والخصوم ، كما صور له عقله ، عندما

سمع نباح الكلب ، وإنما كان يرقد على فراش وثير ، وفوق أغطية

من الحرير الوردى الناعم ، المزدان عند أطرافه بنقوش صينية ،

من الخيوط الحريرية الملونة ، داخل حجرة واسعة أنيقة ، يشق كل

ركن فيها عن الثراء ورقة الذوق ، وفى ركنها مسبح صغير ،

تترقرق فيه المياه بخير خافت ، عبر فتحات جانبية من النحاس

الأصفر ، الذى بدا وكأنه بخيل ، على الحجرة التى اصطبغ كل شيء

فيها باللونين الأبيض والوردى ..

حتى ذلك الكلب الصغير ، الذى ينبع فى وجهه ، بهذا الصوت

الحاد ، كان شاهق البياض ، ضئيل الحجم ، حتى ليبدو أشبه بالقط ،

منه بالكلب ..

وشعر (أدهم) بالحيرة .

- ما الذى يعنيه وجوده فى هذا المكان ؟

ثم كيف يمكن أن يوجد مكان بهذه الأناقة ، وهذا الثراء ، فى قلب

(الاتحاد السوفيتى) الشيوعى لمتكشف رسميا ١٥
 قطع الكلب أفكاره ، وهو يتقدم نحوه ، وينبح فى وجهه بحدة ،
 فابتسم وهو يداعبه مخمفما :

- كفى يا صغيرى ، نباحك الحاد هذا يزيد عطف الصراخ ، الذى
 يكتنف رأسى .

أتاه صوت أنثوى يقول :

- بل قل يا صغيرتى .. إنها أنثى .

التفت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم ارتفع حجابها فى دهشة
 عارمة ..

كانت أمامه امرأة باهرة الحسن والجمال ، شقراء الشعر ، زرقاء
 العينين ، لها أجمل وأرق ملامح راها فى حياته ، وكانت ترتدى
 معطفًا منزليًا من الفراء ، لا يكاد يبلغ ركبتيها ، وهى تنخل إلى
 الحجرة ، مستطردة :

- إذن فقد استعدت وعيك هل تدرك ما فعلته بسقف حجرة
 المعيشة ؟

كانت تتحدث بنهجة عجيبة ، امتزج انصبب فيها بالكثير من
 الدلال والرقّة ، حتى انه لم يدرك حقيقة مشاعر ها جيدا ، وهو يبتسم
 مجيبًا :

- معذرة ياسيدتى .. لم أكن أرغب حقًا فى هذا .

هتفت :

- لماذا قفرت إلى السطح إذن ؟ هل تهوى التشرّد فوق الاسطح ،
 عندما ينهمر الحليب ١٤ لقد كنت أفضى ليلة هادئة أول ليلة هادئة



كانت أمامه امرأة باهرة حسن وجمال ، شقراء شعر ، زرقاء لعين ، لها أجمل
 وأرق ملامح راها فى حياته

منذ فترة طويلة ، عندما وجدتك تسقط من السقف أمامي .. هل تدرك
كم أفرغتني ؟ .. ثم إن حجرة المعيشة تغطت كلها بالجليد ، ولم تعد
أجهزة التدفئة تعمل جيدا ، وأنت الممنول عن كل هذا .
كانت تتحدث بسرعة ، فانتظر حتى توقفت لالتقاط أنفاسها ، ثم
قال :

- حسن .. إنني أعتذر عن كل هذا ، ولكن أين معطفي ؟
أشارت إلى ركن بعيد ، وقالت في بساطة ، وكأن غضبها كله قد
تلاشى بقلعة :
- هناك .

ثم أضافت بسرعة :
- ولكنه ليس معطفا وطنيا .. قل لي : من أين حصلت على معطف
مطر أمريكي الصنع مثله ؟ .. إنك لا تبدو لي كأحد كبار رجال
الحزب .. أليس كذلك ؟

نهض بسرعة بفحص معطفه ، وشعر بالارتياح ، عندما وجد
العلبة الصغيرة داخل جيبه ، فالتفت إليها قائلا :
- كلا .. لست أحد كبار أو صفار رجال الحزب .. إنني لا أنتمي
إليه قط .

هتفت :
- وماذا عن هذا المعطف ؟
هز كتفيه ، وقال وهو يرتدي معطفه :
- لقد ابتعته من موطنه من الولايات المتحدة الأمريكية
نفسها .

شهقت هاتفة :

- الأعداء ؟ !

ابتسم وهو يقول :

- نعم .. الأعداء الرأسماليين الأوغاد .. أليس هذا ما يلقنونكم
إياه ؟ ! لا بأس بأسيتي .. إنني أعتذر مرة أخرى عن كل ما فعلته ،
من تحطيم سقف حجرة المعيشة ، وإفساد ليلتك الهادئة ، ولكنني
مضطر الآن للانصراف .

هتفت بسرعة :

- لا .. ليس الآن .

ثم تراجعت هامسة :

- إنهم يملئون الطرقات .

انعقد حاجباه ، وهو يتمتم

- من هؤلاء ؟

تلفتت حولها ، ثم همست في توتر :

- رجال الأمن .

لم تكذب تأني على ذكركم ، حتى نبحت كلبتها الصغيرة في حدة ،
وكانها تشاركها توترها ، في حين تطلع إليها (أدهم) لحظة ، ثم
عاد يجلس على طرف الفراش ، وهو يسألها :

- سيدي .. هل تعرفين من أنا ؟

هزت كتفها ورأسها في ان واحد ، ثم ابتسمت في جنل ، قائلة :

- كلا .. ولكن الأمر لا يحتاج إلى الكثير من الذكاء . إنهم

يطاردونك .

بقي صامتا ، معقود الحاجبين ، يتطلع إليها في شيء من الحذر
والتساؤل ، في حين تابعت هي في حماس طفولي جنل :

- عندما سقطت من السقف أمامي ، أصابني رعب حقيقي ، وكدت
أهرع لطلب رجال الشرطة .

سألها في حذر :

- ولماذا لم تفعلين ؟

أجابته بلهجتها المعتزجة بالدلال :

- رأيته وسيفاً للقاية ، ولم أتخيلك هناك .

غمغم :

- أين ؟

مالت إلى الأمام ، وهمست في انفعال :

- في (سيبيريا) (*) .

انعقد حاجباه مرة أخرى ، دون أن يعنى ، في حين تراجعت هي ،
وتابعت :

- ثم لم تمض نصف الساعة ، حتى كنت أرقدك على فراشي ، بعد

أن بذلت جهداً رهيباً لجذبك إلى هنا . هل تعلم أنك كدت تصيبني
بانتزاع غضروفي ؟ ..

ابتسم متهاكماً ، وهو يقول :

- سأحاول اتباع نظام حمية قاس ، في المرة القادمة

(*) سيبيريا الاسم الشائع للجزء الآسيوي من جمهورية (روسيا) السوفيتية
الاتحادية الاشتراكية ، ويبلغ مساحتها ١٢٧٥٣١١٩ كم^٢ ، وهي تمتد من جبال (الأورال)
حتى المحيط الهادئ ومن المحيط القطبي حتى (منغوليا) و (منشوريا) . تنتشر
السهول في الجزء الغربي منها ، في حين تمتد سلاسل جبلية ضخمة في الجزء الشرقي ،
والمناخ فيها شديد التطرف ، من حمسين تحت الصفر إلى خمسين فوق الصفر ، ولكنها
شديدة البرودة في معظم أيام السنة .

انعقد حاجباها في غضب ، وهي تقول بصوتها الرقيق ، ولهجتها
ذات الدلال :

- كنت أتوقع شكراً .

هز كتفيه ، وقال مبتسماً :

- أنت تستحقينه .

تهللت أساريرها ، وهي تهتف :

- حظاً ؟

ثم عاد حاجباها بانعقدان في سرعة مذهشة ، وهي تستطرد :

- المهم أنهم حضروا إلى المنطقة ، قبل حتى أن أتم نقلك إلى

الفراش ، وهم يفتشون كل الأماكن والمنازل ، منذ ما يقرب من
نصف الساعة ، وأعتقد أنهم يحاصرون المنطقة كلها .

وسألته في شغف :

- ولكن ماذا فعلت ، حتى تثير غضبهم إلى هذا الحد ؟

بدت الجدية على ملامحه ، ومال نحوها ، وكأنه سيذيع سرّاً بالغ

الخطورة ، فأمرعت تميل نحوه في لهفة وفضول ، وسمعته يجيب :

- لقد عضضت إصبع رئيس الحزب الشيوعي نفسه :

انعقد حاجباها في شدة ، وتراجعت في حدة ، هاتفة :

- هل تسخر مني ؟

نهض قائلاً في حزم :

- كلا ، ولكنني أعتقد أن الوقت لا يكفي لأروي مآلدي ، فهم

يحاصرون المكان كما قلت ، ويفتشون كل المنازل والأماكن ، ولن

يلبثوا أن يصلوا إلى هنا ، ولن يكون من الطريف أن أبقي في ضيافتك ، حتى يجدوني ، فهذا قد يدفعهم لاستضافتك طويلاً في (سيبيريا) معي .

ارتفع حاجباها ، وأطلقت ضحكة قصيرة ، قبل أن تقول :
- هل تظن هذا ؟.. هل تتصور أنهم يستطيعون تفتيش منزلي ، دون موافقة صريحة مني ؟.. من الواضح أنك لا تعرف من أنا .
ثم ضمت كلبتها الصغيرة إلى صدرها ، وأضافت في شيء من الزهو :

- أنت ترى الآن أشهر اسمين في (روسيا) كلها .. (بوشكا) و (ميلا) .

ابتسم (أدهم) ، ومد يده يداعب الكلبة ، مغمغماً :
- حسن .. إنك أطرف كلبة رأيتها يا (بوشكا) .

هتفت المرأة في غضب رقيق :
- أيها الوقح .

رفع عينيه إليها متسانلاً ، فأضافت :
- هي (ميلا) .. أنا (بوشكا) .

تراجع هاتفاً في مخزية :

- حقاً ؟!.. كم يدهشني هذا ، فاسم (بوشكا) يناسبها أكثر .
انعقد حاجباها في شدة ، وقالت :

- هل تسعى لمعاندتي ، أم أنك حقاً تجهل من أنا ؟

تطلع إليها لحظة ، محاولاً تذكر ما إذا كان قد رآها من قبل ،

ولكنه أيقن أكثر ، من أنها أول مرة يراها فيها ، في حياته كلها ، فغمغم :

- وهل من المفروض أن أعرفك فور رؤيتك ؟

تطلعت إليه لحظة في غضب ، ثم نهضت ، واتخذت وقفة مسرحية ، وهي تقول في زهو :
- أنا (بوشكا) .

ابتسم متمتماً :

- تشرافنا .

أدركت أنه لم يعرفها بعد ، فهتفت :

- (بوشكا) .. ألا تعرف (بوشكا) ؟ (طلبة في الطلام) ..
(مصرع طاغية) .. (الحب الوحشي) .. (عذراء الجزيرة) .. ألم تشاهد فيلمًا واحدًا من أفلامي ؟

رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يبتسم قائلاً :
- اه .. أنت ممثلة .

هتفت في غضب ، مقلدة أسلوبه :

- اه .. أنت ممثلة .. كلا أيها الوسيم . لست مجرد ممثلة .. أنا (بوشكا) . الممثلة الأولى في (الاتحاد السوفيتي) كله ، والحاصلة على وسام الفنون ، وعضو الشرف في مجلس الحزب ، و ..
قاطعها رنين جرس الباب ، فانعقد حاجباها ، في حين تحرك (أدهم) بمرعة ، وهو يقول :

- لقد وصلوا .

قالت في حدة :

- إنها كارثة .

قال مبتسما :

- ألم أقل لك ؟

هتفت في حلق :

- لقد أسأت فهمي . الكارثة هي أن اليوم إجازة الخدم .

وسأضطر لفتح الباب بنفسي .

قالتها واستدارت مغبرة الحجرة ، وهو يتابعها في دهشة ، قبل

أن يغمغم وهو يهز رأسه :

- يا للنساء !!

أما هي ، فقد اتجهت إلى الباب مباشرة ، وقالت في حدة وثبات :

- من بالباب ؟

أتاها صوت صارم ، يقول :

- الأمن العام .. افتحي الباب .

قالت في غضب ، وهي تفتح الباب :

- وماذا تريدون مني ، يا رجال الأمن العام ؟

ففر الرجل فاه مبهوئا ، وهو يحدق في جمالها الأخاذ ، ثم لم يلبث

أن تمالك جأشه ، وهو يقول :

- معذرة أيتها الرفيق (بوشكا) إننا نفتش كل المساكن في

المنطقة .

قالت في حدة :

- لست أظن هذا ينطبق على منزلي .

ازدرد لعابه ، وهو يقول :

- الأوامر تقول : الجميع بلا استثناء .

هتفت غاضبة :

- باللوفاة ! . لن أسمح بهذا أبدا .. سأتصل بأصدقائي

المهمين : لأمنكم من تلويث منزلي البظيف ، بأقدامكم التي تحمل

طنا من الثلوج ، خاصة وأن اليوم هو إجازة الخدم .

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

- سيدي .. إتنى أنفذ الأوامر .

اعتذلت في اعتداد ، وهي تقول :

- (بوشكا) دائما فوق الأوامر والقانون .

اصطرب الجندي أكثر ، ولم بدر مايفعله ، وكاد يتراجع بالفعل ،

لولا أن أتى من خلفه صوت صارم بارد ، يقول :

- لا أحد فوق الأوامر والقانون .

تطلعت غاضبة إلى (شلينكو) ، الذي تجاوز رجاله ، ودفع الباب

في عنف ، وهو يقول :

- سيتم تفتيش المنطقة كلها ، دون أية استثناءات

نظرت لحظة إلى عيبيه الباردتين الصارمتين ، ثم أفسحت

الطريق ، وهي تشير إلى الداخل ، قائلا في حدة غاضبة :

- فليكن أيها الرفيق . افعل مبدأ لك ، ولكمك ستحمل النتيجة

كلها ، أمام صديقي رئيس الحزب .

كاد (شلينكو) يفتح المكان بالفعل ، ويأمر رجاله بقلبه رأسا

على عقب ، لولا أن تذكر أنه ، بقيادته الفريق التفتيش هذا ، يخالف

بالفعل تعليمات الجنرال (فاسيلوف) ، وأن أي تحقيق رسمي

سيدينه بلا هوادة ، فتراجع قائلا ، في صرامة أبي ان يتخلى عنها :

- إننا نبحث عن جاسوس طويل القامة ، عريض المنكبين ، وسيم

الملاح إلى حد ما .. وهو بالغ الخطورة ، فهل رأيت من يشبه هذا الوصف النيلة .

أجابته في حدة :

- ولا في الليالي السابقة .. حتى الجواسيس لا يجرءون على اقتحام منزل (بوشكا) .

كظم غيظه في صعوبة ، وقال :

- فليكن .. أبلغنا لو لمحت من يشبهه .

قالت في عصبية :

- سأفعل .

تراجع (شلينكو) ورجاله ، وأغلقت هي بابها وهي تهتم في زهو ، متممة :

- كنت أعلم أن أحدا لن يجرؤ على هذا .

وأسرعت عائدة إلى حجرة نومها ، وهتفت :

- لقد رحلوا .

ثم توقفت في دهشة ، وهي تدبر عينيها في المكان كله ، قبل أن يرتفع حاجبها إلى آخر مدى .

لقد بدت لها الحجرة خالية ، وقد اختفى منها (أدهم) اختفى تماما .

لم يكد (أندريه رابين) يذلف إلى حجرته ، في مبنى السفارة الإسرائيلية في (موسكو) ، حتى قال لحارسه الخاص في اهتمام :

- كيف حال السفير ومعاونيه . هل استملأوا للنوم مبكرا كما انتهما ؟

ابتسم حارسه الخاص (إيزاك) ، قائلا :

- نعم . من الواضح أن وجودك يحققهما ياسيدي فلقد أجرى السفير عدة اتصالات بوزارة الخارجية ، وبإدارتنا في (تل أبيب) .

ضحك (أندريه) في خبث ، وقال :

- هذا أمر طبيعي .. إنه رجل ديپلوماسي ، ونحن رجال قتال .

ثم سأله في اهتمام :

- ولكن هل تعرف فحوى اتصالاته ؟

ابتسم (إيزاك) ، وهو يقول :

- لقد سجلتها كلها .

أطلق (أندريه) ضحكة قصيرة ، ورهت على ظهره ، قائلا .

- عظيم .. عظيم يا (إيزاك) .. أنت تثبت في كل مرة أنني

أحسن الاختيار ، عندما انتحيتك من بين الطاقم كله ، لتصبح حارسي الخاص .

قال (إيزاك) في هدوء :

- أنا رهن إشارتك ياسيدي .

تأمله (أندريه) لحظة ، ثم قال :

- الواقع أنني أحتاج إليك ، في مهمة شديدة الخصوصية يا (إيزاك) .

تطلع إليه (إيزاك) في اهتمام ، فتابع في حسم .

- في البداية ، ينبغي أن تعرف القصة كلها

روى له بسرعة كل ما دار في تلك الليلة ، منذ اقتحم (أدهم)

حجرة (فاسيلوف) ، وحتى اختفى في قلب (موسكو) ، واستمع

إليه (إيزاك) بكل اهتمام وانتبه . حتى أنه انتهى من روايته ، وقال -
ولو اختفى هذا الرجل ، وهو يحمل قائمة العملاء السوفيت في
(مصر) ، وصورهم كلهم ، ستتوثر العلاقة كثيرا ، بيننا وبين
الجنرال (فاسيلوف) ، الذي يقود جهاز المخابرات السوفيتي كله .
وسيعنى هذا فشل البرنامج الذي وضعناه ، لتبادل الخبرات
والمعلومات مع الـ (كى جى بى) .. وأنت تعلم ما الذى سيعنيه
هذا بالتعبية .. أليس كذلك ؟

أوماً (إيزاك) برأسه إيجاباً ، دون أن يتكلم ، فتابع (أندريه) :
- لقد كلف (فاسيلوف) حرسه الخاصة (ناديا مينوفيتشى) ،
مهمة العثور على ذلك الرجل ، واستعادة الوثائق ، ولكنك تعلم جيداً
أننى لائق بالنساء ، وخاصة بعدما رأيت من قدرات هذا الرجل
ومهاراته ، لذا فأنا أرى أنه من الأفضل أن يتولى رجل هذه المهمة .

ورمى (إيزاك) بنظرة طويلة ، قبل أن يضيف :

- رجل أثق به تماماً .

اعتدل (إيزاك) ، وقال فى حزم :

- أنا رهن إشارتك يا سيدى . متى تحب أن أبدأ عملى ؟
أجابه بسرعة :

- الآن .. الآن يا (إيزاك) .

قالها وعيناه تهرقان بهريق مخيف .

بريق وحشى .

★ ★ ★

٨ - الحملة ..

تطلعت (ناديا مينوفيتشى) طويلاً فى صمت ، إلى البقعة التى
اختفت عندها اثار أقدام (أدهم صبرى) ، وأدارت عينها حولها .
وهى تبحث عن تفسير منطقي لما رواه رجال المطاردة ، بعد أن
أخفى الجليد الذى يواصل الاتيهار كل اثار الأقدام ، ومحامها تماماً ،
ثم لم تلبث عينها أن توقفت عند (شلينكو) ، القادم مع فريق
البحث ، وانعقد حاجبها فى صرامة ، وهى تقول :

- عجباً .. هل عدل الجنرال (فاسيلوف) أوامره ، بشأن تدخلك
فى هذه العملية أبها الرفيق العقيد (شلينكو) ؟
توقف أمامها ، وهو يجيب بصرامة مماثلة :

- لا أعنفد هذا أيتها الرفيق ، ولكن الأمر يدخل فعليا فى نطاق
اختصاصاتى ، فذلك الرجل أجنبى ، دخل البلاد كساح ، ومهمتى هى
مراقبة كل الأجانب .

قالت فى حزم :

- لقد انتفت صفته كساح ، مع وضوح مهمته كجاسوس .

قال فى حدة :

- فليكن ساطل أمارس عملى الرسمى ، حتى يصدر أمر بخلاف
هذا .

قالت فى برود :

- وماذا عن الأمر الذى أصدره الجنرال (فاسيلوف) ؟

هز كنفه ، وقال :

- مجرد أمر شفهي .. لا يمكنني استخدامه للدفاع عن نفسي ، لو اتهمني رؤسائي ورؤساؤه بالإهمال والتقصير .

ظلاً لحظات يتبادلان نظرة أشد بروداً من الجليد المنهمر ، ثم أشاحت (ناديا) بوجهها ، وقالت في جمود :

- لابد من تفتيش المنطقة كلها .

أجابها (شلينكو) في صرامة :

- لقد أصدرت أوامري بمحاصرة المنطقة كلها . بدائرة يبلغ نصف قطرها ثلاثمائة متر ، وقمت بنفسى بتفتيش كل المنازل .

قالت بلهجة باردة مستفزة :

- ربما أقوم بتفتيشها بنفسى مرة ثانية .

انعقد حاجباه ، وهو يقول في غضب :

- لماذا ؟ .. ألا تتقبن بعملى ؟

قالت بنفس البرود :

- لست أثق بأى مخلوق .

بدأ الغضب على وجهه أكثر ، وهى تتابع :

- إنكم حتى لم تجدوا تفسيراً لكيفية اختفاء ذلك الرجل

قال فى حدة :

- وماذا عنك أيتها العبقريّة ؟ هل وجدت التفسير المناسب ، أم

أنك تطلقين كلماتك فى الهواء فحسب ؟

قلّت ملامحها باردة ، وهى تلتفت إليه ، وهمت بقول شيء ما ،

إلا أنها أحجمت بفتة ، وعقدت حاجبيها لحظات ، ثم رفعت رأسها

بحركة حادة إلى الشرفة القريبة ، فى البناية المجاورة ، وتطلعت إليها لحظة ، قبل أن تنقل بصرها مرة أخرى إلى النقطة ، التى انقطعت عندها آثار أقدام (أدهم) ، وراحت تقيس المسافة ببصرها عدة مرات ، ثم اعتدلت ، وشنت قامتها ، وهى تقول فى حسم :

- أريد طائرة هليكوبتر .

تطلع إليها (شلينكو) لحظة فى دهشة ، قبل أن يقول :

- هليكوبتر ؟ .. لماذا ؟ .. هل تتصورين أنه طار فى الهواء ؟

كررت فى صرامة :

- أريد هليكوبتر .

زفر فى عصبية ، ثم هز رأسه فى حدة ، وقال :

- هذا يحتاج إلى تصريح كتابى .

أجابته فى حزم :

- عندى تفويض مباشر من الرفيق الجنرال (فاسيلوف) .

عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى حدة :

- اذهبى واطلبىها إن من سلاح الطيران .

تبادلا مرة أخرى تلك النظرة المتحدية ، التى تنافس الجليد

بروداً ، ثم قالت (ناديا) :

- سأفعل ..

وغادرت المكان فى خطوات سريعة ، تاركة (شلينكو) خلفها ،

يتطلع إليها فى دهشة ، وعقله يحمل سؤالاً واحداً ..

- ما الذى تتوى (ناديا) أن تفعله بوساطة هليكوبتر ؟ ..

ولم يجد جواباً مباشراً .

★ ★ ★

ارتفع حاجبا (بوشكا) في دهشة بالغة ، وهي تدبر عينيها في حجرتها الخالية ، ثم لم تلبث أن شعرت بتيار الهواء البارد ، القادم من النافذة نصف المفتوحة ، فهتفت في مزيج من الدهشة والجزع :
- أيها الوسيم ! .. ماذا فعلت ؟

اندفعت نحو النافذة ، ولكنها فوجئت بـ (أدهم) يعبرها إلى الداخل ، قبل أن تصل هي إليها ، وهو يقول في بساطة :
- أنت على حق إنهم يحيطون بالمنطقة كلها ، إحاطة السوار بالمعصم .

هتفت به :

١ - أين كنت ؟

أشار إلى الخارج في بساطة ، وقال وهو يعيد إغلاق النافذة في إحكام :

- في الخارج ، أراقب الموقف ، وأستعد للابتعاد ، لو أنهم أصروا على تفتيش المنزل .

ابتسمت في جدل طفولي ، وهي تقول :

- في الخارج ؟! . أعني أنك كنت تقف فوق ذلك الأفريز الصغير ، وسط العاصفة الجليدية ، وعلى ارتفاع خمسة طوابق ؟!

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول مبتسماً :

- نعم .. أعني هذا .

صفت بكفها في حرارة ، وهي تقول :

- رابع .. أنت تشبه أبطال أفلام المغامرات .. إنني أعشق هذا النوع من الأفلام .

رمقها بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

- أخبريني .. لماذا انصرفوا ، دون أن يقوموا بتفتيش المنزل ؟ هزت كتفها ، وهي تقول في زهو ودلال :

- (إنني) بوشكا .. الممثلة الأولى ، ولي أصدقاء في مراكز شديدة الخطورة .

نهبت كليتها الصغيرة في هذه اللحظة ، فالتفت إليها ، هاتفة في حماس :

- معذرة يا (ميرا) .. لم أقصد عدم ذكر اسمك .. أنت بالطبع لا تقلين أهمية عنى .

كاد (أدهم) ينفجر ضاحكاً في سخرية ، لولا أن دقة الموقف كانت تمنعه من هذا ، فالتقط معطفه ، وهو يقول :

- لا أعتقد أنهم سيظلون بعيداً لفترة طويلة ، فالأمر أخطر من أن يمنحوا أية استثناءات لأي شخص ، مهما بلغت أهميته ، ومن الأفضل أن أبحث من الآن عن وسيلة لتجاوز الحصار ، قبل أن يعودوا .

غمضت في أسمى ناعم :

- وهل تظن أن تجاوز الحصار يعني النجاة ؟! . أنت تقول : (إن الأمر خطير للغاية ، وأنا أجهل ما فعلت بالضبط ، ولكن ما يفعلونه هم يثبت أنه كذلك بالفعل ، وهذا يعني أنهم لن يتركوا لك فرصة واحدة

للجاء .. سيوزعون أوصافك على كل مراكز الحدود ، ويرفعون استعدادات الطوارئ إلى الذروة ، ويفتشون كل ذبابة تعبر الحدود ، بل ولن يتورعوا عن قتل كل من تنطبق عليهم الأوصاف ، حتى ولو أعدموا نصف الأجانب في البلاد .. أنت لا تعرفهم مثلي .

أدهشه حديثها ، على الرغم من الثراء الواضح الذي تحيا فيه ، والذي يتناقض كثيرًا مع صورة الحياة التقليدية في (الاتحاد السوفيتي) ، فسألها مباشرة :

- (بوشكا) .. لماذا تصاعدتني ؟

تطلعت إليه لحظة في صمت ، ثم أجابت في اعتداد :

- اعتبره نوعًا من الانتقام .

قالت في حسم واقنصاب ، مما يوحى بأنها لا تتوى شرح الأسباب ، فاكتفى منها بهذا القول ، وسألها في اهتمام :

- أليس لديك خريطة للاتحاد السوفيتي ؟

عقدت حاجبيه وضمت شفتيهما ، وهي تقول في جدية ، لم تناسب طبعها قط :

- أعتقد أنه هناك واحدة في حجرة المكتب .

رفع حاجبيه ، قائلاً :

- لديك حجرة مكتب إذن ؟

أطلقت ضحكة قصيرة ، تلاشى معها كل مظهر للجدية ، في صوتها وعلامتها ، وهي تقول :

- نعم .. حجرة مكتب أنيقة ، بها مكتبة كبيرة ، تمتلئ الأرفف

فيها بكتب أنيقة ، ذات أغلفة زاهية ، ولكن الحقيقة أنني لم أقرأ سطرًا واحدًا منها .

سألها مبتسمًا :

- ما سر وجودها إذن ؟

أجابت في بساطة :

- التصوير . أنهم يجرون معي عشرات اللقاءات الصحفية والتلفزيونية ، وليس من الجيد ألا تكون لدى الممثلة الأولى مكتبة عامرة .. أليس كذلك ؟

ضحك قائلاً :

- بالتأكيد .. المهم أين الخريطة ؟

قادت إلى حجرة مكتب أنيقة ، تشترك مع باقي حشرات المنزل في اتساعها وفحامتها ، وراحت تقلب بعض الأوراق ، قبل أن تقول في حماس :

- ها هي ذي .

النقطة منها الخريطة الكبيرة ، وفردتها فوق المكتب ، وراح ينطلع إليها لحظة ، فسألته في شغف واهتمام :

- عم تبحث ؟

ابتسم وهو يقول :

- انسى أراجع بعض المعلومات الجغرافية فحسب

تطلعت إلى وجهه لحظة ، ثم أشارت إلى نقطة ما على الخريطة ، قائلة

- ما رأيك في هذه ؟

سألها في حذر لا يخلو من الدهشة :

- ماذا تقصدين ؟

هتفت في حماس :

- (لينتجراد) (*) .. إنها الاتجاه الأمثل ، لمن يرغب في الفرار ؛ فهي المفتاح لخليج (فنلندا) ، ومنها يمكنك عبور الحدود إلى (فنلندا) (**) ، لو استطعت عبور الخليج .

ارتفع حاجباه في دهشة حقيقية ، وهو يتطلع إليها هذه المرة ، فقد كان هذا بالفعل ما استقر عليه رأيه ، قبل حتى أن يطالع الخريطة ؛ فكل الدول التي تشترك في حدودها مع الاتحاد السوفيتي ، تنتمي عمليا إلى قيادته الشيوعية ، وخصوصا تلك القريبة من (موسكو) ، فيما عدا (تركيا) في الجنوب ، و (فنلندا) في الشمال ، وكانت (فنلندا) هي الاختيار الأمثل .. ولكن (بوشكا) نطقت هذا في تلقائية وحماس ، قبل أن تتكلم هامة :

- أليس كذلك ؟

كاد يهنئها على حسن تفكيرها ، ولكنه احتفظ بمشاعره لنفسه ، وقال في هدوء :

(*) (لينتجراد) ثابثة على اتحاد السوفييتي ، على الطرف الجنوبي لخليج (كريليا) ، وهي العاصمة السابقة - (روسيا) - وكانت تحمل اسم (سان بطرسبرج) ، حتى عام ١٩١٤ م ، ثم حملت اسم (لينتجراد) من ١٩١٤ م وحتى ١٩٢٤ م ، وهي مقامة في فلتا نهر لوف ، الذي يصب في خليج (فنلندا) .

(**) (فنلندا) جمهورية في شمال (أوروبا) ، يحدها خليج (بوشكا) وخليج (فنلندا) غربا وجنوبا ، و (السويد) و (النرويج) في الشمال الغربي والاتحاد السوفيتي في الشمال الشرقي ، ويفصلها عنه جنوب خليج (فنلندا) .

- هذا يحتاج إلى بلوغ (لينتجراد) أولا :

اهتسمت وهي ترفع سبابتها أمام وجهها ، قائلة :

- وهنا تكمن المفاجأة .. المفروض أن استقل قطار الفجر إلى هناك بالفعل ، لحضور العرض الأول لأحدث أفلامي (زهرة المروج) .

ثم عقلت حاجبيها ، مستطردة في قلق :

- ولكنهم يبحثون عنك ، ويحفظون أوصافك عن ظهر قلب .

قال في هدوء واثق :

- لكل مشكلة حل .

ثم أردف وهو يتطلع إليها :

- ولكن هذا سيحتاج منك إلى التماسك والهدوء و . والجرأة

هتفت في حماس

- (إنني مستعدة لفعل أي شيء في الدنيا .

ثم انكمشت مستطردة في همس :

- من أجلك أيها الوسيم .

وكان من الواضح أنها مستعدة بالفعل لمعاونته .

ولأى مدى .

★ ★ ★

التقى حاجبا (مي) في شدة ، عندما بلغ (قلري) من روايته

هذا الحد ، وتمتمت في شيء من العصبية :

- عظيم .. من الواضح أن (أدهم) قد وجد من يعاونه هذه

المرة .

- نعم .. أنكر هذا جيدًا . صحيح أنها باهرة الحسن والجمال .
ولكنها بالتأكيد ليست الطراز الذي يفضلته (أدهم) .
قال في مكر ، محاولاً إغاضتها :
- ومن أتراك ؟
عاد حاجبها بنعقدان في حدة ، وهي تقول :
- لا تقل لي : إن (أدهم) مال إليها .
ضحك قائلاً :
- هذا مستجيب عنه الأحداث .
نظرت إلى ساعتها ، وقالت :
- فليكن .. سأستمع إلى الفصل الختامي ، وأذهب إلى مكتبي .
ابتسم قائلاً :
- كلا .. لو أنك ترغبين حقاً في سماع القصة حتى نهايتها ،
فسيأخر دهايك إلى مكتبك كثيراً ، فنحن لم نبلغ الأحداث الحقيقية
بعد .
قالت في دهشة :
- كيف ؟.. المفروض ألا يجد (أدهم) صعوبة في السفر إلى
(ليننجراد) ، فهو يجيد التنكر ، و ...
قاطعها مبتسماً :
- ولكنني لم تكن هناك .
قالت في دهشة أكبر :
- وماذا في هذا ؟
أجاب في سرعة :
- لم تكن لديه إذن أية أوراق ، تتيح له عبور حصار أمني كهذا .

اعتدل (قدرى) فجأة ، وقل في حدة وقلق .
- مهلاً .. إنتى أشم رائحة ما .
حاولت أن تلبق تلك الرائحة ، التى يتحدث عنها ، ولكنها عجزت
عن هذا ، فقالت في حيرة :
- أية رائحة ؟
ابتسم في خبث ، وهو يقول :
- رائحة الغيرة .
قالها وانعرج بفهقه ضاحكاً ، فعادت تعقد حاجبها في حدة ، وهي
تقول :
- أية غيرة ؟ . هل تطن أنى سأغار من (بوشكا) هذه ؟
هز كتفيه ، وقال ضاحكاً :
- لو أننى فى مكانك لفعلت .
قالت في عصبية :
- من حسن الحظ أنك لست فى مكانى .
مال نحوها ، وقال :
- هل رأيت صورة (بوشكا) هذه ؟
أجابته فى توتر :
- بالطبع . هل نسيت تلك الفترة . التى لم يكن لصحافة العالم
من شاعل سواها . لقد ارهقوا أيامها بالحديث عنها ، وبشهر
صورها ، التى احتلت كل الصحف .
قال فى بساطة :
- كانت أخبارها تستحق هذا حينذاك .
مطت شفيتها ، وقالت :

بدا وكأنها قد انتهت إلى تلك النقطة ، وهي تقول في قلب :

- هذا صحيح .. مالمذى فعله إذن ؟

قال (قبرى) ، وهو يلوح بيده :

- بل قولى مالمذى فعلوه هم ؟

قالت متسائلة :

- أتقصد السوفيت ؟

هز رأسه نفيا ، وهو يجيب :

- ليس كل السوفيت ، وإنما تلك الحملة الشرسة ، التى خرجت

للبحث عنه ، دون أن يكون هناك اتصال فعلى ورسمى بين أطرافها

الثلاثة .. (ناديا) و (شلينكو) و (إيزاك) ، وخلفهم قوة الأمن

السوفيتية كلها .

اعتذرت ، قائلة فى اهتمام بالغ :

- اتقصد أن (ادم) كان يواجه (روسيا) كلها وحده .

تراجع قائلاً :

- تقريبا .

التقطت نفسها عميقا ، وقالت :

- فليكن يا (قبرى) .. لقد نجحت فى إشعال فضولى ، حتى

أقصى حد . لن أذهب إلى مكتبى الآن ، وسأستمع منك إلى باقى

القصة .. هيا .. كلى آذان صاغية .

قال فى حماس :

- أستمعنى إذن .

وداح يردى لها الجزء الثانى من المغامرة .

الجزء الأكثر خطورة .

★ ★ ★

٩ - أسوار الخطر ..

.. لا .. لا يمكننى السماح بخروج هليوكوبتر ..

نطق مسئول الطيران هذه العبارة ، فى صرامة وحزم ، وهو

يتطلع إلى (ناديا) ، التى تأملته لحظة فى برود ، قبل أن تقول :

- يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيدا .. إتنى أحمل ...

أكمل حديثها فى حدة :

- تفويضا عاما من ائرفيق الجنرال (نينو فاسيلوف) ، أحد أقوى

رجال مجلس السوفيت الأعلى ، والمشرف العام على نشاط الـ (كى .

جى . بى) .. نعم .. أعلم هذا ، لقد أخبرتنى به منذ البداية ، ولكن

هذا لن يغير من الأمر شيئا ، فمازلت أرفض خروج هليوكوبتر

الآن ، والسبب واضح جلى ، فالهليوكوبتر لايمكنها التحليق ، وسط

عاصفة جليدية كهذه .. هل هذا مفهوم ؟

عقبت حاجبها ، وهي تقول :

- سأتحمل المسئولية .

هز رأسه نفيا ، وقال :

- لن تجدى طيارا واحدا ، يقبل قيادة هليوكوبتر ، فى مثل هذا

المناخ .

قالت فى صرامة :

- سأقودها بنفسى .

أجابها في لهجة أكثر صرامة :

- آسف . لن يقود طائرتي سوى طيارين معتمدين .

قالت وقد عاودها برودها :

- إننى أحمل تصريحًا خاصًا ، بقيادة كل أنواع الطائرات ، فأنا واحدة من أفراد الفريق الأول من القوات الخاصة ، فى الـ (كى - جى - بى) ، ولقد تلقيت تدريبًا خاصًا ، على أعلى مستوى . مضت لحظة ، وهو يتطلع إليها فى صمت ، قبل أن يعيل نحوها ، قائلاً :

- فى هذه الحالة تكونين على دراية جيدة بعلوم الطيران ، وتعلمين حتمًا أن الهليكوبتر بالذات لا يمكنها التحليل ، عندما تزيد سرعة الرياح ، وتنخفض درجة الحرارة ، إلى هذا الحد ، ثم إن الجنيد المنهمر بثقل مروحتها العلوية ، ويبطئ من سرعتها دوراتها ، مما يعرضها لخطر داهم .

قالت فى ضيق :

- ولكن الأمر بالغ الخطورة بالفعل ، وكل دقيقة نفقدها ، قد تتسبب فى كارثة أمنية رهيبة .

قلب كفيه ، قائلاً :

- ما باليد حيلة .. لا بد أن نبظر انتهاء العاصفة ، وتوقف انهمار الجليد .. هناك أمور تحكمها الطبيعة ، ولا يمكن إخضاعها لمشينتنا .

بلغ انعقاد حاجبيها حده الأقصى هذه المرة ، حتى خيل لمسنول الطيران أنهما سيمتزجان ، وهى تتطلع عبر النافذة إلى الخارج ، ثم

تغمغم فى حزم صارم :

- هذا صحيح .. ولكن الانتظار سفسد كل شيء .

ثم اعتذلت مضيفة فى حسم :

- فليكن .. لكل منا واجباته وأساليبه .

واندفعت مغادرة المكان ، وهو يتابعها ببصره فى دهشة بالغة ، ويتمتم :

- يبدو أن الفجر لن يتبلج بسهولة هذه الليلة .

كان يدرك أن الساعات القادمة ستحمل حتمًا الكثير .. والكثير جدًا ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا رئيس مجلس السوفيت الأعلى فى غضب ، وهو يضم معطفه المنزلى الأنيق حول جسمه ، ويشعل سيجارًا كوبيًا فاخرًا ، وينفث دخانه فى توتر ، ثم نطلع إلى (شلينكو) لحظة فى صمت عصبى ، قبل أن يقول :

- أتعلم أن يكون الأمر عاجلاً وبالع الخطورة بالفعل ، أيها الرفيق (شلينكو) ، فلن يروقتنى قطعا أن يوقفنى أى شخص ، فى الثالثة صباحًا ، إلا لو كان السبب يهتد أمن الدولة كله .

تحتج (شلينكو) ، وازدرد لعابه ، فى صعوبة ، قبل أن يقول فى توتر واضح :

- إنه كذلك بالفعل ، أيها الرفيق الرئيس .

مط الرئيس شففيه ، وعقد حاجبيه الكثوين ، ثم جلس خلف مكتبه ، ولوح بكفه ، قائلاً :

- لماذا ؟ .. ما الذى حدث بالضبط ؟ هل أعلنوا قيام حكومة

رأسمالية ؟ .. أم أن الأمريكيين قد هبطوا بقواتهم على شواطئنا ؟
قال (شلينكو) :

- لا هذا ولا ذاك أيها الرفيق الرئيس ، ولكن هناك من يسعى
لحدث هذا .

سأله الرئيس في صراحة :

- هل تدرك خطورة ما تقول ؟

أوما (شلينكو) برأسه إيجاباً ، أوقال :

- بالنظير أيها الرفيق الرئيس ، ولدى كل الأسباب والمبررات .
تطلع إليه الرئيس لحظات في صمت ، ثم صب لنفسه كأساً من
(الفودكا) ، وهو يقول :

- ها أيها الرفيق (شلينكو) .. هات مالدك .

لم يكذ ينطق هذه العبارة ، التي ينتظرها (شلينكو) بفارغ
الصبر ، حتى اندفع هذا الأخير يروي مالدك في حماس ، وهو ببالح
في وصفا تخاذل (فاسيلوف) إزاء الموقف ، ويخلف كثيراً من
قدرات (أدهم) ومهاراته ، ليوحى بوجود تأييد داخلي لما فعله ،
ثم ضخ دور (أندريه رابين) ، وأوحى للرئيس بأنه وراء كل هذا ،
وأنهى روايته قائلاً في انفعال :

- وبعد اختفاء ذلك الجاسوس ، الذي أشك كثيراً في أنه مصري
كما يدعون ، وكما حامل إيهامنا بجواز سفره الزائف ، كان من
المفروض أن يكون الرفيق الجنرال (فاسيلوف) فريقاً للبحث ،
ويطلقه خلف الرجل ، الذي استولى على واحد من أخطر وأبقى

أمرارنا ، ولكنه بدلاً من هذا ، أرسل خلفه حارسته الخاصة ،
ومنعها تفويضاً كاملاً لمطاردة تلك الرجل .

نفث الرئيس دخان سيجاره في توتر ، وهو يقول :

- وما الذي يعنيه هذا في رأيك ، أيها الرفيق (شلينكو) ؟

هر (شلينكو) كتفيه ، وقال :

- إنني أترك التفسير لك أيها الرفيق الرئيس .. ما الذي يعنيه كل

هذا ؟ .. جاسوس ينجح في التسلل إلى مبنى الـ (كى . جى . بى) ،
ويقتحم مكتب مدير الجهاز ، بشكل علني مافر ، لأول مرة في
التاريخ ، ويتصانف أن تكون هناك قائمة كاملة بأسماء كل عميل لنا
في (مصر) ، على مكتب الرفيق الجنرال (فاسيلوف) ،
ويختطفها الجاسوس ، ثم ينجح في الفرار ، وبعدها تقتل (ناديا)
قائد الأمن ، بحجة أنه المسئول عن كل هذا ، ويسند إليها الرفيق
الجنرال وحدها ، مهمة استعادة تلك الأسرار .. وبالمناسبة .. إنني
لم أحصل على هذه المعلومات بشكل رسمي أو مباشر ، ولكنها
تقلقني بشدة .. ما رأيك أنت أيها الرفيق الرئيس ؟

ازداد انفعال حاجبي الرئيس الكثيرين في شدة ، وراح ينفث دخان
سيجاره في كثافة ، وكأنه قاطرة بخارية قديمة ، قبل أن يقول في
صرامة :

- اسمع يا (شلينكو) .. منحتفظ بكل هذا سرّاً فيما بيننا ، وفي
الوقت نفسه سأسند إليك ، وبصورة سرية ، مهمة العثور على ذلك
الجاسوس ، واستعادة كل الوثائق البالغة الخطورة منه .

برقت عينا (شلينكو) فى ظفر ، والرئيس يتابع :
- دع (ناديا) تواصل عملها ، دون أن تترك أننا تراقبها ، ولنتر
ما الذى تهدف إليه حقاً .. هل ستسعى لاقتصاص الرجل ؟ أم ...
لم يتم عبارته ، ولكن (شلينكو) فهم ما يقصده ، وازداد بريق
عينيه ظفراً وارتياحاً ..

لقد وجد فرصته لاستعادة مكانته ، وسحق غرور (ناديا)
وبرودها ..

وفى الوقت نفسه ، أصبح بإمكانه قيادة حملة مكثفة ، لإلقاء
القبض على ذلك الجاسوس ، واستعادة القائمة والميكرو فيلم منه ..
وهذا يعنى وسام شجاعة من الطراز الأول ..

ونوط الواجب ..

وترقية ..

وانطلقت أوداجه ، وهو يحلم بكل هذا ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه
فى صرامة ، وهو يتابع أفكاره ، مدركاً أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق
هذا الحلم ، هى الظفر بالرجل الذى فجر كل هذا .

ب (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

ضمت (ناديا مينوفيتشى) يافتى معطفها الرسمى ، وهى تقف
فوق سطح إحدى البنايات ، فى المنطقة التى اختفى فيها (أدهم) ،
تحت الجليد المنهمر ، وقد ارتدت على رأسها قلنسوة أنيقة من

الفراء ، وراحت تدبر عينيها فى الأسطح المحاورة ، حتى سألها أحد
رجال الأمن ، المصاحبين لها :

- هلا أخبرتنى عم تبحث بالضبط ، أيتها الرفيق (ناديا) ؟

ظلت صامتة لحظات ، وعينها الزرقاوان تبحثان فيما حولها ،
قبل أن تجيب فى اقتضاب :

- عن أثر .

سألها فى اهتمام :

- أى أثر ؟

رمقته بنظرة بادرة ، ثم تجاهلت سؤاله ناعماً ، وقالت :

- دعنا ننتقل إلى سطح آخر .

قالتها ووثبت فى رشقة ، متحوزة مترين من الفراغ ، قبل أن
تستقر فوق سطح مجاور ، أسرعت الخطى فوقه ، حتى بلغت
نهايته ، وقفزت منه إلى ثالث ، وفريق الأمن المصاحب لها يتبعها ،
من سطح إلى سطح ، إلى أن استقر بهم المقام فوق السطح
الخامس ، ولهث رجل الأمن ، وهو يكرر سؤاله :

- عن أى أثر تبحث ، أيتها الرفيق :

صمتت لحظة أخرى ، ثم أجابت فى برود :

- هذا الرجل لم يطر فى الهواء . أليس كذلك ؟

أجابها ، وهو فى دهشة من سؤالها :

- بالتأكيد .

قالت فى نفس البرود :

التفسير المنطقي الوحيد إذن ، هو أنه تعلق بشيء منه ، ثم صعد إلى سطح أقرب بناية إليه ، وأخذ يقفز من سطح إلى سطح ، كما نفعل نحن الآن .. وهذا يعنى أن المطاف سينتهى به أخيرا إلى نهاية الحى ، وهناك سيصطر إما إلى الهبوط ، ومواجهة رجالنا ، الذين يحاصرون المكان بمنتهى الحزم ، أو إلى البقاء مختبئا ، فوق أحد الأسطح .. أما الحل الثالث ، فهو احتلال أحد المنازل ، و ...

بترت عبارتها بغثة ، والتقى حاجبها فى شدة ، وهى تحنق فى نقطة ما ، فأكمل رجل الأمن ، الذى انتبه إلى ما أصابها :

- وإجبار أصحابه على استضافته .. أليس كذلك ؟

قالت فجأة ، وهى تشير إلى البقعة التى كانت تتطلع إليها :

- اتبعونى .

واندفعت تقفز إلى سطح آخر ، وآخر ، وآخر ، حتى هبطت فوق أحد الأسطح ، وقالت مشيرة إلى فجوة كبيرة فى منتصفه

- ما هذا ؟

تطلع رجل الأمن إلى الفجوة ، وقال لاهثا :

- إنه سطح مكسور .. من الواضح أنها نافذة علوية ، لجلب أشعة

الشمس ، فى الأيام المشمسة ، ولكن الجليد المتكون فوقها حجبها عن الأنظار ، و ...

بتر عبارته بدوره ، وارتفع حاجبها فى دهشة ، قبل أن يستطرد فى حماس :

- لقد قفز ذلك الرجل فوقها ، متصورا أنها جزء من السطح ،

فهوى داخل المنزل .. أليس كذلك ؟

قالت (ناديا) فى حسم :

- بلى .. منزل من هذا ؟

أجابها الرجل فى توتر :

- إنه منزل (بوشكا) الممثلة الاولى فى بلادنا ، وصاحبة

الاتصالات القوية ، والد ...

قبل أن يكمل عبارته ، كانت (ناديا) قد انتزعت مسدسها الالى

من غمده ، ووثبت عبر الفجوة ، هاتفة :

- اتبعونى .

استقرت داخل حجرة المعيشة ، التى كسستها الثلوج ، ثم اندفعت

نحو بابها ، وضربته بقدمها فى عنف ، صالحة :

- لا أريد مقاومة . فليرفع كل من فى المنزل أيديهم ، أو نطلق

النار .

قفز فريق الأمن من خلفها ، وتبعوها وهى تعدو عبر ممر طويل ،

حتى بلغت حجرة نوم (بوشكا) ، وصاحت :

- أنتم أردتم هذا .

وبلا تردد ، انهمرت رصاصات مسدسها الالى على رتاج الباب ،

فمنسفته فى قوة ، وفقرت داخل الحجرة ، وتبعها رجالها ، و ...

وانهمرت الرصاصات كالمنطر ..

ثم صاحت (ناديا) :

- توقفوا .

رفع الجميع مناباتهم عن أرندة مدافعهم الآلية ، فور سماع
صيحرتها ، واشتركوا معها في نظرة دهشة واستنكار إلى الحجرة ،
التي أحالتها رصاصاتهم إلى أنقاض ،
لقد أصابت الرصاصات كل شيء ،
فيما عدا الهدف المنشود ..
لقد كانت الحجرة خالية ..
خالية تماماً .

★ ★ ★

رفعت (بوشكا) حاجبها في دهشة ، وهزت رأسها وهي تهتسم
ابهتسامة حائرة ، وتفهم :
- عجباً !!.. مازلت أعجز عن تصديق هذا !!.. كيف أبدلت
ملاحك على هذا النحو ؟

كانت تجلس في المقعد الخلفى لسيرتها الجديدة ، في حين يحتل
(أدهم) مقعد السائق ، وقد اصطبغ شعره كله بالشيب ، وأضيف
تحت أنفه شارب كث ، وامتلاً وجهه بالتجاعيد .. وحتى صوته بدا
مختلفاً ، وهو يجيبها مهتسماً :

- لم يكن ذلك صعباً يا عزيزتى ، فلديك كنز (على بها) ، بالنسبة
لأى شخص يرغب فى تبديل ملاحه .. إننى لم أر أبداً كل هذا الكم
من أدوات (المكياج) ، عند امرأة واحدة .

هتفت فى حدة :

- إننى ممثلة .



قبل أن يكمل عذره كانت (ناديا) قد شرعت مبدئياً لآى من غمده ، ووثب

عبر الفجوة ، هائبة :

- ألهوى

ثم تراجعت حديثها بسرعة ، وهي تستطرد :

- ثم إنتى ، وبكل هذه الأدوات ، لا يمكننى فعل ما فعلته أنت ، فى دقائق معدودة .. إنك تستخدم المساحيق والمعاجين بمهارة مذهشة ، وبتركيبات لم أرها قط من قبل .. إنك تصلح كأستاذ ، فى عالم السينما ، أين تعلمت كل هذا ؟ .. ومتى ؟

قال فى حسم :

- دعينا من كل هذا ، وأحبريتى .. أنت مستعدة لمواجهة المشكلات ، التى قد تنشأ من وجودك معى ؟
قالت فى حماس :
- بالطبع .

ثم هزت كتفها فى لامبالاة ، مستطردة :

- ولكن لن توجد أية مشكلات حتما .. إنك لاتدرك قيمتى هنا .. أنا كنزهم الفنى ، الذى يربح جوائز الرأسماليين باستمرار .
أجابها فى جدية :

- استعدى إذن ، فلقد بلغنا منطقة الحصار ، والمشكلات قد تولد هنا ، بسرعة لن يمكنك استيعابها أو تصديقها .

قالها وضغط فرامل السيارة ، وأوقفها أمام جندى الأمن ، الذى يرفع يده فى صرامة ، والذى صوب مدفعه الآلى إلى (أدهم) فى تحقز عدوانى ، وهو يقول :

- أوراقتك .. ماذا تفعل هنا ؟ . ولماذا خرجت فى مثل هذا الطقس ؟

لم يكن (أدهم) يحمل أية أوراق ، لذا فقد تحفزت أصابعه بدوره ، واستعنت عضلاته كلها للقتال ، وهو يحصى عدد الجنود الذين يحيطون بالسيارة ، بنظرة فاحصة سريعة ، ولكن (بوشكا) برزت فجأة ، وهي تحتصن كليتها (ميرا) ، وتميل إلى الأمام ، لتدخل دائرة الرؤية بالنسبة للجندى ، وهي تبسم ابتسامة فائتة خلابة ، وتقول :

- إنه سائقى أبها الرفيق .. أنا (بوشكا) .

تهللت أسارير الجندى لحظة ، وأطلقت السعادة فى عينيه ، لرويته فائتة السينما الموفيتية وجهها لوجه .. ثم لم يلبث أن شعر بالقلق ، وبدأت له السعادة وكأنها ترف رأسمالى ، لايحق له الاستمتاع به ، فاستجلب شيئاً من الصرامة ، وهو يقول :

- ولماذا خرجت فى هذه الساعة أيتها الرفيق (بوشكا) ؟ .. إن موعد شروق الشمس يقترب .

قالت (بوشكا) فى مرح :

- بالطبع .. إنه موعد شروق الشمس .

وأسبلت جفניה الجميلتين ، وضفت (ميرا) إلى صدرها فى هيام ، وهي تستطرد :

- أليس هذا رائعاً ؟

نهبت (ميرا) ، وكأنها تؤيد صاحبيتها ، وكاد الجندى يذوب انبهاراً وإعجاباً ، حتى أن الصرامة عجرت عن ملء صوته هذه المرة ، وهو يقول :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

كاد (أدهم) يشاركه السؤال نفسه ، وهو يحاول معرفة العلاقة بين جمال شروق الشمس ، وخروجها فى طقس شديد البرودة ، حتى أنه ليستحيل معه أن ترى الشمس ، حتى ولو بلغ الوقت منتصف النهار .

أما (بوشكا) نفسها ، فقد بدت شديدة البساطة والحماس ، وهى تجيب الجندى :

- ألا تقرأ الصحف يا فتى ١٢ . ألا تتابع (البرافدا) ٢

ارتبك الجندى ، وهو يقول :

- إتنى أتابعها بالطبع . إنها الجريدة الرسمية ، وكل وطنى مخلص ينبغى أن ...

قاطعته بحماس طفولى عجيب :

- إذن فأنت تعلم أننى سأسافر بالقطار الآن ، إلى (ليننجراد) ، لأحضر هناك العرض الأول لفيلمى (زهرة المروج) ، وسيحضر هذا العرض الرفيق رئيس المدينة ، وبعض الرفاق الجنرالات ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، لتعقد حاجبيها ، مستطردة فى حدة مفاجبة .

- وأنت تضيع وقتى .. سيفوتنى القطار كيف أبزر هذا للرفاق

الجنرالات ، وأعضاء الحزب ؟!

تراجع الجندى بسرعة ، ولوح بيده قائلا فى توتر

- معدرة أيتها الرفيق (بوشكا) . إتنى لم أقصد هذا بالصبح

انطلق (أدهم) بالسيارة على الفور ، والجندى يؤدى التحية ، مستطردا :

- أرجو ألا تنكرى هذا للرفاق الجنرالات فى (ليننجراد) .

جلست فى مقعدها باعتدال وراحت (ميرا) تطلق النباح تلو الآخر ، ثم تشاءبت ، واستكأت بين نراعيها ، و (أدهم) يقول مهتسما :

- لك طريقة فريدة فى تصريف أمورك يا (بوشكا) .

سألته فى لهفة :

- هل أعجبتك ؟

أوما برأسه ، قائلا :

- بالتأكيد .. كنت طبيعية للغاية ، حتى أسى أنا نفسى كنت أصدقك .

صغقت بكفها فى جنل ، على نحو أزعج (ميرا) ، فأطلقت نباحا

اعتراضيا ، فى حين قالت (بوشكا) فى سعادة :

- إنه نور جيد .. هل رأيت كيف أقنعت ؟ .. إنها المرة الأولى ،

التي أمثل فيها دورا كهذا ، فى الحياة الواقعية .

غمغم فى خفوت :

- كان عظيما .

ارتفع حاجباها فى زهو ، وهى تقول :

- ولكنه لايقارن بدورى فى فيلم (مصرع طاغية) .. كنت أقوم

بدور أميرة ، ترفض الواقع الذى تعيشه ، وتتعطف مع العمال

والفلاحين ، وطبقات الشعب الكابحة ، ولن أنسى ذلك المشهد ،
الذى ...

تركها تسترسل فى روايتها ، وحارب الضجر المنبعث فى أعماقه
بمراجعة كل معلوماته عن (الاتحاد السوفيتى) ، ووسائل الأمن
والحماية المبالغية ، التى يتبعها السوفيت ، للسيطرة على حدودهم ،
ومحاربة محاولات الغزو الفكرى الأمريكى ..

كان يعلم أن السوفيت يبالغون فى وسائل الأمن ، وأن هذا لن يجعل
مهمته سهلة أبداً ، ولكنه - فى الوقت نفسه - لا يستطيع التنازل عن
ذلك المكسب الذى حصل عليه ، ولا يملك (إلا أن يقاتل - وبكل ما يملك
من قوة - ليقاوم الأراضى السوفيتية ، ويضع قدميه على أرض
أخرى ، تتيح له فرصة إرسال القائمة وأفلام (الميكرو فيلم) إلى
(القاهرة) ..

وكان يدرك أيضاً أن السوفيت بدورهم سيقاتلون ، بكل شراسة
وعنف ، لمنعهم من بلوغ هذا .

انتزعه من أفكار صوت (بوشكا) ، وهى تقول فى ثقة :
- هاهى ذى محطة القطار .. لقد تجاوزنا منطقة الخطر ، وانتهت
متاعبك تقريباً أيها الوسيم .

ارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة ، وهو يسمع حديثها ، فهو
- كرجل مخابرات محنك - يدرك أن منطقة الخطر لا تقتصر على
نطاق الحصار فحسب ، بل تتجاوزها إلى حدود (الاتحاد السوفيتى)
كلها ، وأن طريق المتاعب ما يزال ممتداً وطويلاً ، و ...
ومخيفاً .

١٠ - المحطة الأولى ..

انعقد حاجبا مدير المخابرات المصرية فى شدة ، وهو يطالع
برقية عاجلة من (موسكو) ، انتهى الخبراء ، منذ دقائق معدودة ،
من فك شفرتها ، وغادر هو من أجلها فراشه ، قبل شروق الشمس ،
وبدا شديد العصبية والتوتر ، وهو يسأل النقيب (حازم) :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟ .. أليس من المفروض أن تقتصر
رحلة (أدهم) على التدريب فحسب ؟

أوماً (حازم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- بلى ، ولكنه ، ولسبب ما ، أشعل الدنيا هناك ، وأقامها ولم
يقعدها ..

هتف المدير فى غضب :

- ياله من أحمق !

أجاب (حازم) بسرعة :

- لأعتقد هذا ياسيدى . إننى أعرف (أدهم صبرى) تمام
المعرفة .. وربما أكثر مما يعرفه أى شخص آخر هنا ، باستثناء
(قدرى) بالطبع ، وهو - على الرغم من عناده - شديد الالتزام
بالأوامر ، مالم يستجد جديد ، يرى معه ضرورة تجاوز هذه
الأوامر ، وارتحال أسلوب جديد للمواجهة .. ثم إنه لا يقاتل بهذه
الصراوة ، وبهذه الصورة الصافرة ، (إلا لو كان الأمر بالغ الخطورة
بالفعل ، ويهدد أمن (مصر) كلها ، لا مجرد أمنه الشخصى

قال المدير في توتر :

- وما هذا الأمر البالغ الخطورة ، الذي جعله يشير ثائرة جهاز الأمن في (موسكو) ، ويدفعه إلى التحرك بصورة عنيفة ومباشرة ، على النحو الذي أثار انتباه رجلنا هناك ، وجعله يرسل إلينا هذه البرقية العاجلة ؟

هز (حازم) رأسه ، وقال :

- لم تصلنا التفاصيل بعد ياسيدى .

مدَّ المدير شففيه ، واستغرق في التفكير بعض الوقت ، ثم قال :

- فليكن .. لم يعد هناك مجال للتردد أو التراجع ، لقد تفجر الموقف بالفعل ، وعلينا أن نواجهه بسرعة وحكمة وواقعية .

واعتدل مستطرذا بلهجة أمره :

- أرسل برقية سرية لسفارتنا في (موسكو) ، واطلب منهم القيام بالإجراءات اللازمة ، لترحيل (أدهم) من هناك بأسرع وسيلة ممكنة ، وأرسل إليه جواز سفر دبلوماسياً ، في أول طائرة ذاهبة إلى (الاتحاد السوفيتى) .

تحنح (حازم) لحظة ، ثم قال :

- كما تأمر ياسيدى ، ولكننى لأعتقد فى الواقع أن (أدهم) سولجاً إلى سفارتنا في (موسكو) .

عاد حاجبا المدير ينفقدان ، وهو يقول فى حدة :

- ولم لا ؟ . هذا هو الإجراء المنطقى والطبيعى .. لقد أثار قوات أمن دولة أجنبية ، والوسيلة الوحيدة لفراره من أيديهم ، هى أن يلجأ إلى سفارته .

قال (حازم) :

- هذا بالضبط هو السبب ، الذى يجعلنى أثق بأن (أدهم) لن يلجأ إلى سفارتنا في (موسكو) ، فمن أهم خصائص وسمات شخصية (أدهم) ، أنه لا يتجه دائماً إلى حيث يشير المنطق والعقل ، لأنه يعلم أن هذا هو متنتجه إليه عقول الجميع ، فى المواقف المتفجرة ، ويعلم أن السوفيت سيحاصرون سفارتنا هناك حصاراً شديداً ، فور تحديدهم لهويته ، مما يجعل الذهاب إليها هو الإجراء الأكثر خطورة ، والذى أتوقعه حقاً ، هو أن (أدهم) سيبدل قصارى جهده ، لعبور حدود (الاتحاد السوفيتى) .

قال المدير فى عصبية :

- وهل تظن هذا سهلاً ؟

هز (حازم) رأسه نفياً ، وقال :

- مطلقاً ، ولكن (أدهم) لن يستسلم ، وسيقاتل حتى آخر رمق .

ثم ارتسمت على شففيه ابتسامة باهتة ، وهو يستطرده :

- ولو أن فكرتى عنه صحيحة ، وهذا هو الأرجح ، فأعتقد أن النتائج لا يمكن توقعها أبداً ، وأن النهاية ستكون مدهشة ..

واتصفت ابتسامته قليلاً ، وهو يضيف :

- مدهشة بحق ..

تفجرت دهشة عارمة فى وجه الجنرال (فاسيلوف) ، وهو

بحق في وجه (ناديا) ، هاتفا في استنكار :

- (بوشكا) ١٢... مستحيل ... لا يمكن أن تتورط (بوشكا) ، في مثل هذا الأمر !

أجابته (ناديا) في حزم :

- ولكنها تورطت بالفعل ، وبكامل إرادتها .

هتف :

- مستحيل !

قالت (ناديا) ، وهي تنظر إلى عينيه مباشرة :

- الأمر أوضح من أن يمكننا إنكاره ، ولقد أجريت تحقيقا سريعا حول كل ما حدث ، وجاءت النتائج كلها لتؤيد ما ذهبت إليه في تفكيري ، فلقد شهد أحد الجيران أنه سمع قرقة عنيفة في حجرة معيشتها ، التي يلاصق جدارها حجرة نومه ، وأعقب القرقة صوت ارتطام جسم بالأرض ، وسمع صرخة (بوشكا) ، في توقيت يتوافق مع التوقيت الذي اختفى فيه ذلك الجاسوس ، مما يعني أنه حطم سقف حجرة معيشتها ، وسقط فيها .. وعلى الرغم من هذا ، لم تحاول الرفيق (بوشكا) إبلاغ الشرطة .

قال (فاسيلوف) :

.. ربما أجبرها ذلك الرجل على ذلك .

أجابته في حزم :

- ولكن فريق الأمن ذهب لتفتيش منزلها ، وباستجواب أحد جنوده أكد أنها منعت دخولهم تماما ، وهددتهم بإبلاغ أصدقائها من

المسؤولين ، وأمكنها إثارة قلق الرفيق (شلينكو) وذعره ، فأنصرف دون أن يفتش شقتها .

أسرع (فاسيلوف) يقول :

- هذا لا يتعارض مع كونها مهذبة .

لوحث (ناديا) بكفها ، وهي تقول :

- ولكن الجندي أكد أنها كانت متعائلة لجاشها تماما ، بل حازمة أكثر مما ينبغي .

بدأ القلق والتردد على وجه (فاسيلوف) ، وهو يقول :

- لست أرى يا (ناديا) .. الأمر ليس ..

قاطعته قائلة :

- الأمر الذي أكد كل هذه الشكوك ، وحولها إلى حقيقة لا تقبل

الجدل ، هو أن (بوشكا) استقلت القطار منذ أقل من ساعة ، في

طريقها إلى (ليننجراد) .

رفع عينيه إليها ، وقال :

- كان هذا مقررا من قبل .

ابتسمت في برود ، وهي تجيب :

- بالطبع . ولكنها سافرت مع سائقها الخاص ، وكان هذا السائق

رجلا أشيب الشعر ، كث الشارب ، مفضن الوجه .

التقى حلجباة في شدة ، وهو يقول :

- ماذا ؟ .. ولكنني أعرف سائقها الخاص جيدا .. إنه شاب

وسيم ، لم يتجاوز الرابعة والثلاثين ، و ...

بتر عبارته بقة ، ليهتف :

- اللعنة .. لقد فهمت كل شيء .. ذلك السابق كان الجاسوس
متتكرًا .

رفعت (ناديا) سبابتها أمام وجهها ، وهي تقول :
- بالضبط .. لقد صاعدته على التتكر ، وجعلته يرافقها إلى
القطار ، الذي ينطلق بهما الآن ، في طريقه إلى (ليننجراد) .
ثم اعتذلت مستطردة في صرامة :
- وهذا يعني أنهما تحت سيطرتنا تمامًا ، ولا ينقصنا للانقضاض
عليهما ، سوى أمر مباشر .

التقى حاجباه ، وهو يفهم :
- لن يكون اللقاء القبض على (بوشكا) أمرًا سهلاً ، فالتصالاتها
متعددة ، وعلاقاتها قوية ، و ...

صمت لحظات مفكرًا في قلق ، فقالت (ناديا) بنظرة مأكرة :
- لست أظن أحداً يجزؤ على الوقوف إلى جوارها ومسانبتها ،
لو أثبتنا أنها جاسوسة رأسمالية ، تسعى لتقويض دعائم نظامنا
الأمثل .

قال في عصبية :

- وهل يبدو لك مثل هذا الإثبات سهلاً ؟

أجابته في دهاء :

- بالطبع .. لقد فتشنا منزلها ، وعثرنا على وثائق تدينها ،
وأوراق تكفي لمحاكمتها ، مما دفعها إلى الهروب مع الجاسوس ..
إنها ليست أول مرة نفعلها ، ولكننا في هذه المرة سننقل القتال إلى

ساحة جديدة ، تجعل التدخل لنجدتها محفوظًا بمخاطر شتى .

سألها في اهتمام :

- أية ساحة ؟

أجابته على الفور :

- الإعلام .. سذيع الخبر في وسائل الإذاعة ، ونشره في طبعة
خاصة من (البرافدا) ، وبعدها لن يجزؤ الرفيق الرئيس نفسه ،
على التورط في الأمر .

انعقد حاجباه في شدة ، وراح عقله يدرس اقتراحها بسرعة تفوق
سرعة البرق ، ثم لم يلبث أن ضرب سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً في
حزم صارم :

- فليكن .. سنهدم المعبد على رؤوس الجميع .. المهم أن نستعيد
القائمة والافلام ، مهما كان الثمن . هل تلهمين يا (ناديا) ؟ ..
مهما كان الثمن .

اعتذلت في ارتياح ، وهي تقول :

- اطمئن أيها الرفيق الجنرال .. سنستعيد بضاعتنا ، حتى ولو
اضطرت إلى نصف قطار (ليننجراد) كله .

قاستها وعيهاها الزرقاوان تبرقان في شدة ، ولحمها الجميل يحمل
شبح ابتسامة بهتة ، يطل منها جذل عجيب ..

جذل الوحوش المفترسة ، عندما ترى أمامها فريسة هينة ..

وعندما تفوح رائحة الدم ..

★ ★ ★

' هل أنت واثق يا رجل ؟ .. ' .

ألقى (بوريس شلينكو) هذا السؤال على جندي الأمن الواقف أمامه في حزم ، فاعتدل الجندي ، وشد قامته ، وهو يجيب :
- تمام الثقة أيها الرفيق الجنرال .. لقد رافقت الرفيق (ناديا) طوال تحرياتها ، وسمعتها تسب وتلعن ، وتحدث نفسها ، قائلة : إن الجاسوس استحل شخصية المائيق الخاص للمثلة (بوشكا) ، واستقل معها القطار إلى (ليننجراد) .

انعقد حاجبا (شلينكو) في صرامة ، وهو يقول :
- هكذا .. لهذا إذن منعني (بوشكا) من تفتيش شقتها ..
بالبرجوازية اللعينة ، ذات التطلعات الرأسمالية العفنة .. إنها لا تستحق كل ما منحتها إياه الدولة من تكريم واحترام ، أقسم أن اقتل هذه الخائنة بنفسى .

قال الجندي في ارتباك :

- تقتل (بوشكا) ؟

ثم ارتبك ، وتراجع بسرعة ، مستكبرا :

- معذرة أيها الرفيق الجنرال .. انتهى .. انتهى ..

لم يستطع إتمام عبارته ، مع تلك النظرة الصارمة ، التي حددها بها (شلينكو) ، ولكن هذا الأخير تمتع في غضب .
- أنت على حق أيها الرفيق الجندي .. ليس من السهل اتخاذ مثل هذه الخطوة .

ولوح بيده ، مستطردا في صرامة :

- هيا عد إلى رفاقك .

أذى الجندي التحية العسكرية ، وأسرع ينصرف ، قبل أن يغير (شلينكو) رأيه ، في حين لم يهتم هذا الأخير بأمره كثيرا ، وإنما ضغط زر الاتصال ، في سيارة الأمن الجديدة ، وهو يقول في حزم :
- صلنى بالموجة الخاصة للرفيق الرئيس

أتاه صوت عامل الاتصال ، وهو يقول في دهشة وتوتر .

- بمن يأسدى الرفيق العقيد ؟

صاح (شلينكو) في حدة :

- بالرفيق الرئيس مباشرة .. وبأقصى سرعة .

مضت لحظات من الصمت ، ثم ارتفع صوت الرئيس ، عبر جهاز الاتصال ، قائلا :

- ماذا هناك أيها الرفيق (شلينكو) ؟ .. هل ألقى القبض على الجاسوس ؟

أجابه (شلينكو) بانفعال :

- ليس بعد أيها الرفيق الرئيس ، ولكن هناك تطورات بالغة الأهمية والخطورة .

واندفع يروي له كل ما سمعه من الجندي ، وأضاف إليه ما استنتجه ، ثم أنهى حديثه قائلا في حماس .

- لو أنك منحتني الصلاحية أيها الرفيق الرئيس ، فسألقى تاريخ (بوشكا) كله خنق ظهري ، وأنقض عليها وعلى رفيقها الجاسوس كالصقر ، فأمرقهما أربا ، وأستعيد منهما أسرارنا وكرامتنا .

مضت لحظة من الصمت ، ثم أجابه الرئيس في حزم :

- فليكن أيها الرفيق (شلينكو) .. أمن الاتحاد السوفيتي فوق كل اعتبار .. إننى أمنحك كل الصلاحيات اللازمة ، لإعادة الأمور إلى نصابها .

تهللت أسارير (شلينكو) ، وقال فى انفعال :

- وماذا عن (بوشكا) ؟

أجابه الرئيس فى صرامة :

- قلت لك : إننى أمنحك كل الصلاحيات اللازمة .

وأنتهى الاتصال فى عنف ، ولكن (شلينكو) كان يشعر فى

أعماقه بمعادة لا حدود لها ..

لقد حلق ما تمناه ..

وبدأت المطاردة ..

المطاردة الحقيقية ..

انطلق القطار السريع ، الذى يربط ما بين (موسكو) و (ليننجراد) ، بشق طريقه وسط الثلوج ، فوق زوج من القضبان الحديدية ، يبدو وكأنه يمتد إلى ما لا نهاية ، وبداخله تحرك (إيزاك) ، الحارس الخاص للإسرائيلى (أندريه رايبين) ، فى خطوات سريعة متوترة ، وعبر عربات القطار واحدة بعد الأخرى ، حتى بلغ العربة الأخيرة ، فانزوى فى ركنها ، وتلفت حوله فى حذر ، ثم أخرج من جيبه جهازا لاسلكيا صغيرا ، أنناه من فمه ، وهو يقول :

- من الصقر إلى النمر الأكبر .. أتحدث من داخل الهدف المقترح .. أجب .

أنناه صوت (أندريه) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول :

- تحدث بحرية يا (إيزاك) . إننا نستخدم موجة سرية خاصة ، لا يمكن أن يتوصل إليها السوفيت .

اعتدل (إيزاك) ، وقال فى اهتمام :

- سيدي .. إننى أتحدث إليك من قطار (ليننجراد) ، وكان من الضروري أن أتحدث إليك الآن ، قبل أن يخرج القطار من دائرة الاتصال ، ويعجز اللاسلكى عن إتمام الاتصال .

مثلته (أندريه) فى لهفة :

- أخبرنى أولا .. ماذا فعلت ؟

أجابه (إيزاك) :

- لقد نفذت أوامرك ياسيدي ، وراجعت تعليماتك ، واتجهت مباشرة إلى قطار (ليننجراد) ، بافتراض أن ذلك المصرى سيفعل كما توقعته أنت تماما ، ويحاول أن يستقل القطار إلى خليج (فنلندا) ، ولكننى فشلت القطار كله ، ولم أعثر له على أثر .

قال (أندريه) بسرعة :

- اطمئن يا (إيزاك) .. الفريسة بين يديك .. إنه يسافر بالفعل فى القطار ، متكرا فى هيئة سائق مسن ، يرافقه الممثلة المعروفة (بوشكا) .

هتف (أندريه) :

- (بوشكا) ؟ .. أنت واثق من هذا ياسيدي ؟ .. إنها تستقل القطار مع سائقها الممنون بالفعل .. لقد رأيتهما بنفسى .

أطلق (أندريه) ضحكة مأكرة قصيرة ، وقال :
 - بالطبع يا فتى .. أنا واثق تمام الثقة ، فجهاز النصت الصغير ،
 الذى زرعته فى مكتب صديقنا الجنرال (فاسيلوف) ، فى اثناء
 زيارتى له ، يتقل إلينا - وبمنتهى الدقة - كل أحاديثه مع (ناديا
 مينوفيتشى) .. هيا يا (ايزاك) باغت فريستك ، التى لا تتوقع
 هجومك ، واستعد القسمة والميكروفيلم ، ودعنا نقدمها كهدية
 صداقة مرة اخرى ، للجنرال (فاسيلوف) .. هيا .
 أنهى (ايزاك) اتصاله الاخير مع رئيسه ، ودس جهاز اللاسلكى
 فى جيبه ، ثم قبضت أصابعه على مقبض مسدسه ، واستعد
 استعداد للمواجهة ..

★ ★ ★

أسبلت (بوشكا) جفניה فى تراخ ، وضمت كلبتها (ميرا) الى
 صدرها ، وهى تحلس مع (ادهم) ، داخل مقصورة خاصة فى
 القطار ، وقالت مبتسمة فى إرهاب :
 - هل سنظل مستيقظا هكذا ؟ .. لم تتم لحظة واحدة طوال
 الليل ، والمسافة الى (ليننجراد) تبلغ الف كيلو متر تقريبا .
 خلع معطفه ، وعنقه عنى مشجب خاص داخل المقصورة ، وهو
 يقول فى هدوء :

- يمكننى احتمال السهر طويلا .

هزت كتفها ، وهى تقول :

- أما أنا فلا .

قالتها وأطبقت جفניה ، ولذت بالصمت تماما ، حتى تصور أنها

قد استسلمت للنوم ، فترك جسده يسترخى قليلا ، وهو يسترجع
 معلوماته الجغرافية عن المنطقة ، التى بدت أشبه بصحراء جليدية ،
 ينطلق وسطها القطار ، ولكنه فوجئ بها تعطل وتفتح جفניה فجأة ،
 وتقول فى اهتمام :

- ماذا تتوى أن تفعل ، عندما تبلغ (ليننجراد) ؟

ابتسم مغفما :

ما تقتضيه الظروف ؟

مطت شفيتها لتعلن عدم الرضا ، ثم قالت :

- اليس المفروض أن تكون لديك خطة محدودة ؟

كانت لديه بالفعل خطة محدودة ومدروسة ، إلا أنه بطبيعته ، كان

يفضل الاحتفاظ بكل المعلومات لنفسه ، فقال فى اقتضاب :

- بالتأكيد .

بدت وكأن النشاط قد عم جسدها بغتة ، وهى تقول فى حماس :

- إننى أفكر فى هذا الأمر ، منذ غادرنا (موسكو) ، واسأل

نفسى . هل نسرق زورقا بخاريا ، أم نستقل القطار الفرعى ، الذى

يعبر الحدود رسميا إلى (فنلندا) ؟

غمغم محاولا إنهاء الحديث :

- سنقرر ذلك ، عندما نصل إلى (ليننجراد) .

قالت فى انفعال :

- خطأ .. المفروض أن تكون لديك ...

قاطعتها فجأة دقات هادئة ، على باب المقصورة ، فبترت

حديثها ، وقالت فى لهجة تصلح كمثال للملل والضجر :

- من الطارق ؟

أناها صوت مرتبك ، يقول :

- أيتها الرفيق (بوشكا) .. أنا رئيس القطار .. معذرة لإزعاجك ، ولكن .. احم .. ابني يرغب في مصافحتك .. إنه يتابع كل أفلامك ، وهذه أمنيته الوحيدة .

تطلعت إلى (أدهم) متسائلة ، فأشار إليها بالرفض ، وأسرعت تقول :

- ألا يمكنه أن يأتي في وقت آخر .. إنني نائمة تقريباً .

قال صاحب الصوت ، في حرج :

- إنه .. إنه طفل معوق ، و .. أرجوك أيتها الرفيق (بوشكا) .. إنه يكاد يبكي فهذا ورغبة .

ارتفع حاجبها في إشفاق ، وقالت :

- يا للمسكين !

ثم قفزت إلى الباب ، وفتحت بسرعة ، و (أدهم) يعتدل ، قائلاً :

- حذار أن ...

قبل أن يتم عبارته ، كانت قد فتحت الباب ، ثم أطلقت شهقة ذعر ، عندما رأت المعدن المصوب إليها ، وفي اللحظة التالية ، كانت نراع (إيزاك) تحيط بعنقها ، وهو يدفعها إلى الداخل ، ويلصق فوهة مسدسه بصدغها ، ويفلق الباب بقدمه من الخلف ، قائلاً في صرامة :

- حركة واحدة وأنسف رأسها أمام عينيك .

نبحت (ميلا) في غضب عصبى ، في حين عقد (أدهم)

حاجبيه ، وقل في حلق :

- هذا ما كنت أخصاه .

ابتسم (إيزاك) في سخرية ، وقال :

- من سوء حظك أن رفيقتك مرهقة الحس بأرجل .. كنت واثقاً من أنها لن تحتل بموع طفل معوق .

هتفت (بوشكا) في غضب :

- أيتها الحفير .

التفتي حاجبها في صرامة ، وشدد من ضغط نراعه على عنقها ، وهو يقول :

- أخبرني يا امرأة ، وإلا نسفت رأسك بحق .

قال (أدهم) في حزم :

- حاول أن تمس شعرة واحدة من رأسها ، وسوف أجعلك تندم على ...

- قاطعه (إيزاك) في حدة :

- أعطني القائمة والميكروفيلم .

قال (أدهم) في سخرية :

- آسف .. قائمة الطعام لدينا لا تحوى هذه الأصناف .. مارأيك في فيلم عادي بالتوايل والبصل !!

هتف (إيزاك) في غضب :

- فليكن .. سأنتزعها من جنتك .

وأدار فوهة المعدن نحو (أدهم) .

وأطلق النار ..

وكان هذا بالضبط ما ينتظره (أدهم) ..

وما يأمله ..

لقد انتظر حتى اللحظة الأخيرة ، ثم مال جانباً في رشاقة ، وترك رصاصة (إيزاك) تتجاوزهُ ، وتحطم زجاج الدفدة ، ثم قفر بكل المدس من يد غريمه في دفعة وسرعة ومهارة واندفع الهواء المشحون عبر الدفدة المكسورة ، وصرخت (بوشكا) في رعب ، وقطرت (ميرا) تخبئ أسفل المقاعد ، وهي تنبح مذعورة ، في حين تراجع (إيزاك) هالفاً - اللعنة !

ثم دفع (بوشكا) أمامه بكل قوته ، نحو (أدهم) وتراجع (أدهم) بسرعة ، حتى لا ترتطم به (بوشكا) ، التي أطلقت صرخة رعب أخرى .. ومع صرختها قفز (إيزاك) ، واعتمد بكفيه على كتفها ، وكل (أدهم) بقدميه في صدره ، بكل ما يملك من قوة وكنت الضربة قوية وعنيفة بالفعل ، حتى أن (أدهم) ارتطم بحافة النافذة المكسورة ، ومد يده ليتشبث بحافتها وهو (إيزاك) على صدره بضربة ثانية .. وعندئذ فقد (أدهم) توازنه .. وسقط .. سقط من نافذة قطار (لينجراد) السريع .. وسط الثلوج .

١١ - قلب الجليد ..

لم يصدق (إيزاك) نفسه ، عندما حلت كابينة القطار ، (إلا منه ومن (بوشكا) و (ميرا) ، فظل لحظات يحدق في النافذة المكسورة ، دون أن يشعر بالبرد القارس ، القادم منها ، حتى صرخت (بوشكا) ، وهي تهكي في ألم ، - لقد سقط .. أنت قتلته . أنت قتلته أيها الحقير . واندفعت نحو (إيزاك) ، وراحت تدق صدره بقبضتها ، صارخة :

- أيها القاتل .. أيها الحقير

وشاركتها (ميرا) ثورتها ، فراحت تنبح في عصبية غاضبة ، وتباحها يرتجف برداً ، (إلا أن (إيزاك) صفعها في قوة ، وهو يصرخ في وجهها :

- اصمتي .

تراجعت في ذعر ، وهي ترتجف برداً ورعباً ، فأمسك كتفها في قسوة ، وهو يقول :

- أين القائمة والميكرو فيلم ؟

أجابته مرتجفة :

- لست أرى .. لست أعلم ما الذي تحدث عنه .

هزها في قسوة وعنفاً ، صارخاً :

- أين هما ؟

اندفعت (ميرا) لتعقر قلمه ، وهي تتبحر في شدة ، ولكنه ركلها في عنف ، فارتطمت بالباب ، وسقطت تعوى في رعب وألم ، فهتفت (بوشكا) مذعورة :

- ربما تركها في معطفه .. هاهوذا هناك .

دفعها في عنف ، واستدار في وحشية إلى معطف (أدهم) ، فانتزعه من مشجبه ، وفشش جيوبه في مرعة ، ثم برقت عيناه في لهفة وظفر ، وهو يلتقط العلبة ، وهتف - عظيم .

ثم استدار إلى (بوشكا) ، واستطرد في قسوة :
- والآن يا جميلتي .

انهارت هاتفة ، وهي تخفي عينيها :
- لا .. لا تقتلني .. أرجوك .

انحنى يلبسط مسدسه ، وهو يقول في صرامة :
- سافعل لو ارتفع صوتك لحظة واحدة . إياك أن تغادري مقصورتك ، أو تطلقى صرخة واحدة .
هتفت منهارة :

- لن أفعل .. أقسم لك إني لن أفعل .
لم يدر لماذا لم يقتلها ، كما تقتضى إجراءات الأمن التي تعلمها .. ربما لجمالها الأخاذ ..
أو قننتها الطاغية ..
أو هو شعور الظفر ، الذي ملأ كيانه ، بعد أن حصل على بغيته ، فلم يترك في نفسه مكانا للمزيد من القسوة .

المهم أنه مطأ شفتيه في زهو ، ثم غاب المصورة ، وأغلق بابها خلفه في عنف ..

وهنا تفجرت دموعها في غزيرة ، وهي تنكمش في مقعدها ، وتضم معطفها من شدة البرد ، وقفزت (ميرا) بين ذراعيها ، فاحتضنتها في قوة ، وهي تقول من بين دموعها ..
- لقد سقط يا (ميرا) .. سقط الوسم .
واتهمرت دموعها أكثر وأكثر ..

★ ★ ★

فقد (أدهم) توازنه ، ووجد جسده يندفع عبر نافذة القطار إلى الخارج ، ثم يسقط فوق طبقة سميكة من الجليد ، ويتدهرج فوقها في عنف ، والقطار يواصل رحلته ، مبتعدا في سرعة ، حتى توقف جسده أخيرا ، والثلوج تكاد تغمره ..

وعلى الرغم من الجليد المحيط به ، كان (أدهم) يشتعل غضبا وحنقا ، حتى ليكاد لهيب غضبه يذيب الثلوج من حوله ، لمسافة كيلو متر على الأقل .

كان يحس أنه نجح ذلك الشاب في مباغتته ، ودفعه خارج القطار ، ويفضبه أنه ترك معطفه في المصورة ، وبداخله القائمة والميكروفيلم .

وعندما نهض واقفا ، وتطلع إلى حيث يكاد يختفي القطار ، تضاعف غضبه وحنقه ، حتى توارى القطار في الأفق ، فهتف :
- اللعنة !.. لقد فقدت الجائزة ، واحتفظت بغضب المطاردين .
بدأ يشعر بالبرد القارس من حوله ، وخاصة بعد أن فقد معطفه ،

فقد ساعديه أمام صدره ، وضمهما إليه في شدة ، وهو يتمتم :
- رابع يا (أدهم) اصف الى كثف الخسائر لك الان ضاع
وسط الثلوج ، دور معطف او دليل او حتى خريطة صغيرة
كان الحديد قد توقف عن الانهيار ، وانقضت السحب بعض
الشيء ، وتسلل بصيص من اشعة الشمس ، الا ان درجة البرودة
طلب شديدة الانخفاض ، حتى لتكاد تتجاوز الثلاثين درجة تحت
الصفر ..

حتى انفاس (أدهم) . كنت تتحول الى قطرات من الجليد .
تتكثف على شفتيه ووجنتيه وانفه ، وتريد من إحساسه بالبرد
الشديد ، فزال تكمرة ، الذي تحمى بعضه على وجهه ، وهو يواصل
طريقه ..

وعلى الرغم منه ، ارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يتمتم
- لو استمر الحال على هذا الموال ، ستجمد الدماء في عروقي ،
قبل ان ابلغ اول قرية مأهولة لابد من وسيلة لدفع الدفاء الى
خسدي .

برزت الفكرة في راسه . مع نهاية كلماته ، قانتقط نفسا عميقا .
وانطلق يعدو بمحاذاة شريط القطار ..

كان هذا بدفع بعض اندفاء في جسده بالفعل ، الا ان احساس
الهريمة في أعماقه كان يستنفد كل تلك الطاقة ، ويحوئها الى رجل
يغلى من الغضب ..

وحدة ، برز ذلك الجواد ..
جواد أبيض ، ولونه يعترج بلون الثلوج المحيطة ، ويمتطيه

شيخ أشيب الشعر ، له لحية بيضاء كثة ، وشارب ضخم ، ويكاد
جسده كله يختفى داخل معطف من الفراء الأبيض ، وغطاء رأس من
نفس اللون والنوع ، وقد انعقد حاجباه الكثن في شدة ، وهو يتطلع
إلى (أدهم) في صمت وصرامة ، ويصوب إليه بندقية ضخمة ،
يبدو من طريقته في حملها ، انه يجيد استخدامها بشكل جيد .
وتوقف (أدهم) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو
يقول .

- صباح الخير يا والدي . أرجو ألا يزعحك وجودي هنا ، كما
أرجو ألا يزعجني وجودك أيضا .
ظل الرجل لحظات صامتا ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة
مماثلة ، وهو يقول :

- المهم أن تخبرني ، ما الذي تفعله بالصبط . وسط هذه الثلوج .
وبهذا الزى ؟ .. هل ترغب في الانتحار ؟
أجابه (أدهم) بسرعة :

- بل هي نزهة الصباح ، ولكمك محق بشأن الزى لقد نسيت
ارتداء ثوب الاستحمام .

صمت الرجل لحظات أخرى ، ثم قال :
- أنت هارب منهم ؟

لم يذكر من هم بالصبط . ونكر (أدهم) شد قمته ، وهو يقول
- نعم .

مط الرجل شفتيه لحظة ، ثم خفض قوهة بندقيته ، وقال
- هلم إذن .. إنك تحتاج إلى الدفاء والغذاء .

أجابه (أدهم) .

- كل ما احتاجه في الحقيقة هو معطف من الفراء ، وخريطة
لخطوط السكك الحديدية .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يسأله :

- لماذا ؟ .. هل ستمنقّل القطار للفرار منهم ؟

قال (أدهم) :

- بل سأعود إلى القطار ، فالواقع أن أحدهم لم يرق له وجودي
هناك ، فدفعني عبر المائدة ، واستولى على بعض الأشياء الهامة
منى ، وأرغب في استعانتها . وتلقينه درسا قاسيا .

اتصت لبسامة الرجل بفتة ، وتحولت إلى ضحكة عالية ، قبل
أن يقول :

- إنك تروى لى يافتى .. تروى لى بحق .

ولم تمض دقائق معدودة على هذا الحوار ، حتى كان (أدهم)
داخل كوخ من الخشب ، يشق كل ركن فيه عن أن الرجل يعمل بصيد
الفراء ، ولقد ناوله الرجل معطفا ثقيلا ، وهو يسأله :

- متى سقطت من القطار بالضبط ؟

أجابه (أدهم) :

- منذ ثلاث الساعة تقريبا .

مط الرجل شففيه ، وقال :

- آه . لست أظنك تنجح فى اللحاق به إذن ، فهو قطار سريع .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

- ألا يوجد طريق مختصر ؟

صمت الرجل قليلا ، وكأنه يدرس شيئا ما ، ثم هز رأسه ، قائلا :

- لا .. مستحيل !

سأله (أدهم) :

- ما هو المستحيل ؟ .. أخبرنى مالدك ، واترك لى أنا مهمة تقييم

الموقف .

تطلع إليه الرجل لحظة أخرى فى صمت ، ثم قال :

- الوسيلة الوحيدة لاختصار الطريق هى الانطلاق عبر الجبال ،

فى اتجاه الشمال ، ولكنه طريق محطوف بالمخاطر ، و ...

هتب (أدهم) واقفا ، وهو يقول :

- أوه أنك أن تعيرنى زوجا من الزلاجات ؟

رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

- هل تعنى أنك تتوى الانزلاق على الجليد ، عبر الجبال ؟ ..

لا يافتى .. هذا مستحيل ! .. إنك ستواجه عقبات شتى ، وأخطرها

دوريات الجليد .. إنك هارب من الشرطة ، وباجتيازك جبال الثلج

متقابل دوريتين من دوريات شرطة الجبال على الأقل .

قال (أدهم) فى حزم :

- هل ستعيرنى الزلاجات أم لا ؟

تطلع إليه الرجل لحظة أخرى ، ثم هتب :

- ألم أقل لك إنك تعجبىنى يافتى ؟ .. هيا . خذ ما يحلو لك ، ولكن

أسرع ، فذلك الطريق المختصر سيدخر ساعة واحدة من رحلة

القطار ، وهذا يعنى أن عليك أن تقطع طريق الجبال فى نصف

الساعة على الأكثر ، وإلا فقدت القطار إلى الأبد .

التقط (أدهم) الزلاجات الخشبية الطويلة ، وعصى التزلاقي ،
وهو يتنسم قائلاً :

- اطمئن .. سأبذل قصارى جهدى .

ربّت الرجل على كتفه ، وهو يقول :

- أنا واثق من هذا .

ارتدى (أدهم) الزلاجات بسرعة ، ووقف أمام الكوخ الخشبي ،
وأعطاه الرجل منظّاراً داكناً ، وهو يقول :

- ضع هذا على عينيك ، والا فالجليد المرتطم بعينيك سيجمد

قرنيّتك ، ويصيبك بنوع من العمى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- اطمئن .. أرشدنى فقط إلى الطريق .

أجابهُ الرجل ، وهو يشير أمامه :

- انطلق نحو الشمال مباشرة ، واعبر الطريق الرئيسى ، وستجد

أمامك منحدرًا يبلغ طوله عشرة كيلو مترات ، وهو الذى سيقدّمك
إلى حيث تلتقى بالقطار .

قال (أدهم) مبتسماً :

- أشكرك .

نطق هذه الكلمة ، ثم اندفع ينزلق على الحليد . بأقصى سرعة
ممكّنة . فى محاولة أخيرة للحاق بالقطار ، واستعادة القائمة
والميكروفييم ..

ولم تَمْضِ لحظات ، حتى بلغ الطريق الرئيسى . ولم يكّد يقترب
منه ، حتى رأى سيارة عسكرية . تقف هناك ، وقبدها يتحدث مع

دورية من دوريات شرطة الجبال ، التى يرتدى كل فرد فيها زلاجات
قوية ، ورأى عيون الجميع تلتفت إليه ، وقائد السيارة يهتف :

- هاهوذا .

وكانت مصادفة مدهشة بحق ، فلم يكن قائد السيارة هذا سوى
(شلينكو) ..

(بوريس شلينكو) ..

وهذا يعنى أنها بالفعل مصادفة مدهشة ..
وقائلة ..

★ ★ ★

إننى أشعر بالجوع

قطع (قدرى) روايته ، ليتّمت بهذه العبرة ، وهو يربّت على
كرشه الضخم ، ثم مال نحو (مى) ، وسألها فى اهتمام :

- هل ترغبين فى تناول شطيرة من الجبن ؟

هزّت رأسها نفياً ، وهى تقول فى خفوت :

- كلا .. لقد تناولت طعام الإفطار بالفعل .

نهض قائلاً :

- فليكن .. ساعد شطيرتى ، ونواصل روايتنا .

تركّنه بعد الشطيرة ، والتعقد حاحساها فى شدة . وبدأت على
وجهها علامات التفكير العميق ، فسألها (قدرى) ، وهو يلتهم

الشطيرة :

- فيم تفكرين ؟

تتهمت وقالت :

- هناك نقطة تبدو لي غير منطقية ، أو أن (أدهم) لم يذكر تفاصيلها كلها في الملف .

سألها في اهتمام :

- أية نقطة ؟

قالت على الفور :

- ذلك الرجل ، الذي التقى به (أدهم) وسط الثلوج .. إنه لم يذكر أية تفاصيل حوله .. لا اسمه ، ولا صفته .. فقط هيئته وعمره .. هل تعتقد أنه أخفى شيئا ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

- (أدهم) يذكر كل شيء في تقاريره ، حتى أدنى التفاصيل .. إنه رجل مخابرات مثالي في هذا الجانب .

قالت في حيرة :

- ولكن هذا يبدو عجيبا للغاية .. لقد عاونه الرجل في إخلاص وحماس ، ودون مبرر منطقي .

قال (قدرى) :

- إنك تثيرين النقطة نفسها ، التي جذبت انتباهي في ملف هذه العملية ، لقد سألت (أدهم) أيامها عما يعنيه هذا ، فأكد لي أن الأمر أدهشه بالفعل حينذاك ، فالرجل تعاطف معه ، ومنحه كل ما يمكنه منحه ، دون أن يسأله حتى عن اسمه أو تهمته ، وكأنما اعتبر أن مجرد الفرار من الشرطة السوفيتية يجعل من (أدهم) صديقا .

رفعت حاجبها في دهشة ، هاتفة :

- إلى هذا الحد ؟

أومأ برأسه إيجابيا ، وهو يلتهم ما تبقى من شطيرته ، وقال -
- إنه انعكاس للكراهية التي كانت تملأ نفوس السوفيت حينذاك ، تجاه النظام الديكتاتوري البوليسي الصارم ، الذي يعيشون في ظله ، حتى أنهم كانوا يعتبرون كل من تطارده الشرطة بطلا ، يستحق الإعجاب والمصاندة .

مطت شفتيها ، وهي تقول :

- مازلت أجد الأمر غير منطقي .

ابتسم وهو يقول :-

- ومن قال : إن الحياة تسير على وتيرة منطقية ؟

ثم اعتدل ، مستطرذا :

- ولكن دعينا نتجاوز هذه النقطة ، فما زال هناك الكثير لنرويه . اعتذلت بدورها ، وقالت :

- فليكن .. هيا تكمل القصة .

وعاد (قدرى) يروي ..

★ ★ ★

عندما قطع (بوريس شلينكو) كل هذه الكيلو مترات ، بسيارته الجديدة ، وسط الجليد الممتد إلى ما لا نهاية ، كان كل ما يسعى إليه هو اللحاق بالقطار ، ومباغتة (أدهم) ، والسيطرة عليه أو التخلص منه ، مستغلا عامل المفاجأة ، حتى يمكنه استعادة القائمة والميكروفيلم ، وتقديمهما لرئيس الحزب ، والفوز برضاه وتأييده . كان بهذا يضرب عصفورين بحجر واحد ، فاستعادة الأسرار المفقودة يرفع من قدره ، ويدين في الوقت ذاته الجنرال

(فاسيلوف) وحارسته المقرورة الباردة (ندبا) ..

وفى طريقه ، التقى (شلينكو) بدورية الجبال ، وتوقف ليمنحهم
نشرة بأوصاف (أدهم) ، ويطالبهم باليقظة والحذر ، وهو يرمع
متابعة طريقه على الفور ، و ...

وفجأة ، رأى (أدهم) أمامه ..

راه ينزلق من فوق التل الثلجى ، نحو الطريق الرئيسى .
ولم يصدق عينيه فى البداية ، ثم لم يلبث أن نفض الدهشة عنه ،
وصاح :

.. ها هو ذا .

واستدارت العيون كلها نحو (أدهم) ، فى حين استزع (شلينكو)
مسدسه ، وهو يستطرد فى انفعال شديد :
.. أوقفوه .. إنه الجاسوس المنشود .

قالها وأطلق رصاصات مسدسه الالى فى عنف نحو (أدهم) ،
الذى انحرف فى مهارة ، وانحنى ليزيد من سرعة انزلاقه ، ودفع
عصا التزلج فى الجليد بعنف ، وتناثرت الرصاصات من حوله ،
و (شلينكو) يواصل صراخه :

.. أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .

رفع رجال دورية الثلوج مدافعهم الآلية نحو (أدهم) ، الذى
أطلق بأقصى سرعته نحو هدف الدهش الجميع
نحو سيارة (شلينكو) مباشرة .

وقبل أن تنطلق رصاصة واحدة ، من مدافع رجال الدورية ،
ضرب (أدهم) عصا التزلج فى الجليد بقوة ، ووثب

وكانت وثبة رائعة ، مذهشة ، اتسعت لها عيون رجال دورية
الثلوج فى ذهول وانبهار تامين .

لقد تجاوز بوثبته سيارة (شلينكو) ، والطريق الرئيسى كله ،
وهبط على الجانب الآخر منه ، عند بوابة الطريق الشمالى المنحدر ،
وانترق فوقه بسرعة كبيرة ، فصرخ (شلينكو) فى حق :
.. انطلقوا خلفه .

لم يكن رجال دورية الثلوج بحاجة إلى هذه الصرخة ، فما أن رأوا
(أدهم) يعبر فوق رؤوسهم ، ويهبط على الجانب الآخر للطريق ،
ثم ينترق فوقه بهذه السرعة والمهارة ، حتى اندفعوا كلهم خلفه ،
وهم يحملون مدافعهم الآلية ..

اما (شلينكو) ، فقد دفعه الغضب إلى ارتكاب أكبر عمل ينطوى
على الشجاعة والحماسة فى ان واحد ..

لقد أدار عجلة قيادة السيارة ، وأدار محركها ، وانحرف بها عن
الطريق ، واندفع فوق المنحدر الشمالى بسرعة مخيفة .
وكانت مطاردة عجيبة ..

خمسـة رجال من أمهر وأقوى المتزلجين على الجليد ، فى الاتحاد
السوفيتى كله ، يحملون مدافعهم الآلية ، وخلفهم سيارة
(شلينكو) ، والجميع يطاردون رجلا واحدا .

(أدهم صبرى) ..

ولم يكن هذا الأخير يملك سوى مسدسه ..

وأربع رصاصات ..

وجرأة بلا حدود ..

وهذه الجراءة بالذات أدهشت رجال الدورية ، فعلى الرغم من
رصاصاتهم ، التي انهمرت خلفه كالقطر والطريق الشديد الوعورة ،
والصحور التي تبرز من بين الجليد ، هنا وهناك ، (إلا أن (أدهم)
كان ينطلق بسرعة خرافية ، وبخط متعرج ، أنقذه من الرصاصات ،
ولكنه زاد من العقبات ، فراح يدور حول هذا ، ويقفز فوق ذاك ،
والجميع خلفه في شراسة وإصرار ..

ورجال دوريات الثلوج ، هم أفضل المتزلجين على الثلوج ، في
(أوربا) الشرقية كلها ، وأفضل الرماة في الوقت ذاته ؛ لذا فقد
أدهشهم وأنفقهم أن يبرزهم (أدهم) في هذا المجال ، فاندفعوا خلفه
بأقصى سرعة ممكنة ، على الرغم من العقبات .
ولكن أحدهم أخطأ مساره يستبتمرات قليلة ، انزلق بها فوق
الجليد ، و ...

واستطاعت زلاجه بصخرة بارزة ، غطتها الثلوج .
وكان هذا الاصطدام أشبه بقنبلة ، انفجرت في الزلاجة ، فتحطمت
في عنف ، واندفع جسد الرجل إلى الأمام كالصاروخ ، وسقط وسط
الجليد ، وراح يتدحرج فوقه بشدة ، دون أن يتوقف أحد زملائه
لمعاونته أو إسعافه ..

لقد واصل الأربعة اندفاعهم خلف (أدهم) ، وقال قندهم
للآخرين ، عبر جهاز اتصال يربط أعضاء الدورية ببعضهم .
- إنه يتجه مباشرة إلى العمر الضيق . انفصل يا (ياكوف) ،
وأنت يا (ميكالوتشي) . عليكما بالدوران حول المنعطف .
وانظروا في نهاية العمر .



إلا أن (أدهم) كان ينطلق بسرعة خرافية ، وبخط متعرج ، أنقذه من الرصاصات ،
ولكنه زاد من العقبات

انفصل الاثنان بحركة رشيقة . لتسفيذ خطة قندهم ، الذى واصل
اندفاعه خلف (أدهم) مع الرجل المتبقى ..
ورأى (أدهم) العمر أمامه مباشرة ..
كان يمكنه أن يتجنب عبور العمر . لو أنه دار حول المنعطف
كنه ، ولكن القائد وزميله راحا يمطران ماحولة بالرصاصات ،
ليمنعاه من الإقدام على هذا . فلم يعد أمامه سوى أن يعبر العمر
ولقد فعل ..

كان العمر صيقا بالفعل ، ولكنه عبره بسرعة مذهلة ، وخلفه
القائد وزميله ، و ..
وفجأة ، رأى (ياكوف) و (ميكالوتشى) يعترضان الطريق ،
عند نهاية العمر ، ويصوبان إليه مدفعيهما ..

وصاح (ياكوف) ..

- أطلق النار يا (ميكالوتشى)

ولكن (أدهم) انتزع مسدسه أولا ..

وأطلق النار ..

واسعت عينا (ياكوف) و (ميكالوتشى) دهولا وارنياعا

لقد أصابت رصاصا (أدهم) مدفعيهما ، وانقتهما بعيدا فى
عنف ، فى حين لم تخذشا الرجلين أدنى خدش ..

ولكنهما كانا يعترضان الطريق ..

ومن جف (أدهم) كان القائد يرفع فوهة مدفعه الالى ،

ويصوبها إلى ظهر (أدهم) ..

وضغط الزناد ..

وفى اللحظة نفسها ، وبغناية الله سبحانه وتعالى وحده ، ودون
تخطيط مسبق ، كان (أدهم) يثب فى الهواء ، ويدور بجسده دورة
راسية مذهشة ، ليعبر مخرج الممر ، فوق رأسى (ياكوف)
و (ميكالوتشى) ، اللذين رفعا عيونهما إليه فى دهول ..
وانطلقت رصاصات القائد ..

ولكنها لم تجد (أدهم) ..

كان فى هذه اللحظة يحلق فى سماء الممر ..

ولكن صرخات الموت اتطلقت عبر الممر .

لقد أصابت رصاصات القائد رجليه ، (ياكوف)

و (ميكالوتشى) ، وأسقطتهما صريعين ، وسالت دماوهما على

الجليد ، فى نفس اللحظة التى هبط فيها (أدهم) على زلاجه

خلفهما ، ودفع عصوى التزلج ارضا ، ثم انطلق بواصل طريقه .

وتفجر عصب عارم ، فى أعماق القائد وزميله ، وراحا يطلقان

نيران مدفعيهما نحو (أدهم) فى ثورة ، و (أدهم) ينطلق فى خط

متعرج ، لتفادى الرصاصات .

وفجأة ، ظهرت سيارة (شلينكو) ..

كان يتدفع بها بأقصى سرعة . محاولا اعتراض طريق

(أدهم) ، وهو يمسك مسدسه بيسراه ، ويطلق منه السران فى

شراسة ..

وأصبح (أدهم) محاصرا بحق ، بين المطرقة والسندان

ومن بعيد ، لاح له القطر ، وهو يقترب من الموقع المفترض ..

وهنا ، لم يعد هناك مجال للتردد أو التراجع ..

وبسرعة ، صوب (أدهم) مسدسه إلى سيارة (شلينكو) ،
وأطلق رصاصتيه ..

آخر رصاصتين في جعبته ..

والطجر إطارا سيارة (شلينكو) الأماميين ..

وانحرفت سيارته بعنف ، ثم انقلبت على جانبها ، وراحت تزحف
نحو (أدهم) بسرعة خطيرة .

وفي اللحظة الأخيرة ، وبما لا يزيد على سنتيمترات عشرة ،
تجاوز (أدهم) السيارة المندفعة نحوه ، وسمع من خلفه صوت
اصطدام قائد الدورية ورميله بها ، ولكنه لم يحاول التوقف ، أو حتى
الاستدارة لرؤية ما حدث ..

لقد كانت مشاعره كلها موجهة نحو الهدف ، الذي يسعى إليه منذ
ما يقرب من نصف الساعة ..

القطار ..

قطار (ليننجراد) السريع ..

والحنى (أدهم) ، وضم ركبتيه إلى صدره ، ليزيد من سرعة
اندفاعه فوق المنحدر ، في محاولة للحاق بالقطار ..

وراحت المسافة تقصر ، وتقصر ، وتقصر ..

وبسرعة مذهلة ..

وخلق قلب (أدهم) في عنف ..

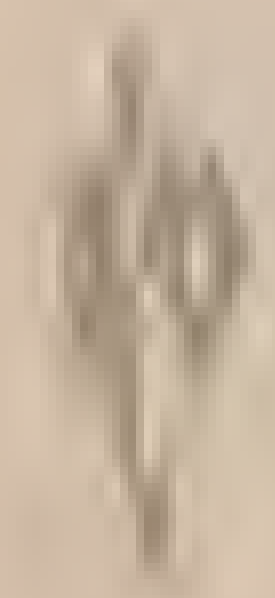
كان من الواضح أنه والقطار لن يلتقيا قط ، كما كان يتوقع ..
لقد تأخر دقيقة واحدة .

أو أقل ..

وأمام عينيه ، رأى القطار يعبر نفقا من انفق الطريق ، في
طريقه إلى (ليننجراد) ، دون أن يتوقف لحظة ، ليمنحه الأمل في
الحاق به ..

لقد فشل هذه المرة

فشل تماما ..



١٢ - واحد فى المليون ..

اندفع النقيب (حازم) الى حجرة مدير المخابرات المصرية ، وهو يلوح بورقة فى يده ، والافعال يغمر كل خلية من خلاياه ، وكل نبرة من نبراتة ، هاتفا :

- سيدى المدير . لن تصدق ما فعله (أدهم) فى (موسكو) ..
لقد وصلت التفاصيل من رجلنا هناك .

أشار إليه المدير ، وهو يقول :
- انتظر لحظة .. أريد أن أستمع بفنجان قهوة الصباح أولا ،
واتناول القرص الخاص ، الذى يعالج ضغط دمنى المرتفع ، قبل أن
تشغف أذنى ، بسماع ما فعله ذلك المتهور هناك .

قال (حازم) فى حماس :
- ولكنه فعل ماكان ينبغى أن يفعله .
عاد المدير يشير إليه بالصمت ، وارتشف فنجان قهونه فى ببطء ،
ثم تناول القرص ، وجرعة من امعاء ، قبل أن يقول -

- هيا .. أسمعنى مالدبك .
قال (حازم) بسرعة :
- لقد تسلل (أدهم) الى المبنى الرئيسى للمخابرات السوفيتية ..
قفر حاجبا المدير الى أعلى ، واتسعت عيابه فى شدة ، وهو
يهتف :

- ماذا فعل !؟

كرّر (حازم) :

- تسلل الى مبنى الـ (كى . جى . بى) باسيدى ، بل استولى منهم
على قنعة تحوى أسماء كل عملاتهم هيا ، بالإضافة الى عدد من
أفلام الميكرو فيلم ، التى تحوى صور هؤلاء العملاء واحدا واحدا .
هبّ المدير من خلف مكتبه ، هاتفا :

- ماذا تقول يا (حازم) !. كيف فعل (أدهم) هذا وحده ؟
بدا صوت (حازم) مفعما بالحماس ، وهو يقول :
- لقد فعلها باسيدى ، وبمواجهة عيفة ومافرة ، ثم نجح بعدها
فى الفرار من المبنى ، ومن مطاردة فريق كمل من رجال الأمن .
قال للمخبر فى النفعال :
- إذن فهذا ماحدث .. لهذا ثارت ثائرتهم ، وجن جنونهم ، وفعلوا
كل مايفعلونه الان .

ثم التفت الى (حازم) ، وسأله بسرعة :
- ولكن أين هو الآن ؟
أجابه (حازم) :
- لا أحد يدرى .. لقد اختفى تماما ، أو ان رجلنا هناك يجهل أين
هو ، ولا كيف سيواجه الموقف .. كل مايثق به هو أنه ، وحتى
لحظة إرساله البرقية ، لم يتم إلقاء القبض عليه .
هتف المدير :

- عظيم . لقد حصل على كنز بالسمية إلينا ، فتلك القائمة ، مع
أفلام (الميكرو فيلم) . مستحطم كل التواجد السرى السوفيتى فى
(مصر) ..

صحيح أنهم يستطيعون تكوين شبكات أخرى قوية في المستقبل ،
ولكن هذا يحتاج إلى وقت أطول ، وجهد أعظم .. كما أنهم
سيحطمون جهد سنوات عديدة ، وسيخسرون عددا من العملاء
القدامى ، الذين خبروا العمل ، وأنفقوا أساليب التعامل ، ووسائل
جمع المعلومات .. إنه نصر عظيم ولا شك .

ثم أضاف في اهتمام :

- ولكن كم تبلغ نسبة احتمال نجاحه في الفرار منهم .. هل سألت
الخبراء ؟

أوما (حازم) برأسه إيجابيا ، وهو يقول :

- هذه هي أسوأ نقطة في الأمر كله ، فهناك فرق الأمن ، ورجال
الحدود ، ودوريات الشرطة ، ولو أضفنا إلى هذا أهمية ما حصل
عليه ، وغضب المسؤولين ، وشراسة رجال الـ (كى . جى . بى) ،
و ...

فاظطع المدير في حدة :

- لا أريد التفاصيل أريد جوابا مباشرا كم تبلغ النسبة في
رايهم ؟

صمت (حازم) لحظة ، قبل ان يحيب في حفوت .

- واحد في المليون .

وانهار الأمل في قلب المدير ..

★ ★ ★

كان القطار ينتعد ، حاملا معه أمل (أدهم) الأخير في اللحاق به ،
واستعادة القامة وأفلام (الميكرو فيلم) .

ولكن لا ...

إن (أدهم صبرى) لم يستحق لقب (رجل المستحيل) عبثا ..
إنه رجل من طراز خاص ونادر ..

طراز يرفض الفشل ..

يرفض كلمة المستحيل ..

طراز يتضاعف للحماس والإصرار في أعماقه ، كلما تعطلت
الأمور ، أو تشابكت الأحداث ..

وكلما تصور الجميع أن هذا مستحيل ..

وبهذه الروح المفعمة بالعناد والحزم ، زاد (أدهم) من سرعته
أكثر وأكثر ، ووثب بزلاجه في الهواء ، ليهبط فوق النفق ، ثم
يوصل انزلاقه حتى نهايته ، بكل مايمك من سرعة ..

وعبر القطار النفق ..

وقفز (أدهم) إلى سطحه ..

كان قرارا جريئا ، بالغ الخطورة والتهور ..

ولكن (أدهم) لم يتردد لحظة واحدة ..

ولثانية أو ثانيتين ، سبح جسمه في الهواء ، وهو يندفع نحو
سطح القطار ..

ثم هبط ..

وكان هذا الهبوط هو أخطر ما في الأمر كله ..

لقد هبط بزلاجه فوق سطح القطار ، الذي تغطى ببقايا الحديد ،
الذي انهمر طوال الليل ، وكان يدرك جيدا مايعنيه هذا ، فضم صدره
إلى ركبتيه ، واتخذ وضعا استعدائيا متحفظا ، وما أن لامست

الزلاجان السطح ، وبدأتا الانزلاق فوقه ، حتى دفع جسده إلى
الوراء ، وترك نفسه يسقط على ظهره ، فوق سطح القطار ..
وانزلق جسده كله فوق سطح القطار ، بسرعة مخيفة ..
ثم اندفع خارجه ..

خارج سطح القطار ..

وبكل ما يملك من سرعة وقوة ومرونة ، انتهى (أدهم) على نحو
عجيب ، وقفزت بداهة تنشبثان بحافة السطح ..
وكانت معجزة حقيقية ..

لقد تعلق بالحافة في اللحظة الأخيرة ، وارتطمت زلاجاته بجانب
القطار ، وتحطمتا ، وسقطت أطرافهما ، ولكنه تشبث بالسطح بكل
قوته ، وهو يلهث في شدة ، من فرط المجهود الرهيب فوق
البشرى ، الذي بذله في تلك اللحظات الرهيبة ، ثم لم يلبث أن دفع
جسده إلى أعلى ، وصعد إلى السطح ، ثم استلقى فوقه يلهث .
لم يكن يصدق أنه فعلها ..

لقد عاد إلى القطار ..

عاد بمعجزة من الله (سبحانه وتعالى) ، جعلته بغمغم ، وهو
يستلقى فوق السطح ، وسط هذا البرد القارس ، ويحلق عن قدميه
بقايا الزلاجتين :

- حمدا لله .. حمدا لله ..

بقي لحظات ، حتى استرد أنفاسه ، ثم نهض في حماس ، وانطلق
يعدو فوق أسطح عربات القطار ، ويفقر من واحدة إلى الأخرى ،
والهواء الشديد البرودة يهب في وجهه بعنف ، ويكاد يجمد أطرافه ،

على الرغم من معطف الفراء الذي يرتديه ، أو يطيح به من فوق
الأسطح ، حتى بلغ ثالث العربات بعد القاطرة الرئيسية ، فتحرك
فوقها في حذر ، إلى أن بلغ النافذة المكسورة ، للمقصورة التي كان
فيها مع (بوشكا) ، فتعلق مرة أخرى بالحافة ، ووثب عبر النافذة
إلى داخل المقصورة ..

واتسعت عيناه في دهشة وجزع ..

كان يتوقع أن يرى المقصورة خالية ، بعد تحطم نافذتها ، لذا فقد
أدهشه أن يرى (بوشكا) ، وقد انكمشت في الركن البعيد
للمقصورة ، وضمت إليها (ميرا) في قوة ، وقد بدت بشرتها
مزرقّة ، وبمواعها متجمدة على وجنتيها ، وقد أغلقت عينيها ،
وبدت له وكأنها قد لقيت حتفها ..

ولأول مرة ، منذ التقى بها ، شعر نحوها بمزيج ضخم من الشفقة
والحنان ، فاندفع نحوها وتحسس وجنتها الباردة كالثلج ، وهو
يقول :

- (بوشكا) .. أجيبى يا صغيرتى .. أنت بخير ؟

مضت لحظات ، دون أن تستجيب إليه ، ثم لم تلبث أن فتحت
عينيها في بطل ، وتطلعت إليه في دهشة ، وهي تهتف في تهالك .
- أهو أنت ؟ .. (إن فقد نجوت .. كيف فعلت هذا ؟

همس مشفقاً :

- كانت معجزة

ثم حاول أن يعاونها على النهوض ، وهو يستطرد .

- هيا .. منتقل إلى مقصورة أخرى .. لقد أصبح المكان هنا

أشبه بهراء كهربي .

نبحث (ميرا) في ضعف ، وانكسشت أكثر بين نراعي سينتها ،
التي رننت في تهالك :

- مقصورة أخرى .

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم يا صغيرتي .. أنت تحتاجين إلى هذا كثيراً .

تبعته في استسلام ، وهي تحمل (ميرا) ، ولكنه لم يكد يمسك
مقبض الباب ، حتى استعادت نشاطها فجأة ، وهنفت :

- لا .. مستحيل !

سألها في قلق وسرعة :

- لماذا ؟ .. أما يزال ذلك الوغد في الجوار ؟

اعتذلت قائلة :

- لست أدري أين هو ، ولكن لا يمكنني الخروج من المقصورة ،
بهذه الهيئة الزرية .. ناولني علبة أدوات الزينة أولاً .

حنق في وجهها بدهشة ، ثم هز رأسه ، مضغماً في حنق :

- يا للنساء !!

خيل إليه أن كل ماعانته في الساعة الماضية قد تلاشى دفعة
واحدة ، وهي تلتقط علبة أدوات الزينة من حقيبتها ، وتضع لمساتها
منها بسرعة ، وهي تقول :

- إنها مسئولية جسيمة .. كيف يرى جمهوري هذا ؟

جذبها من يدها ، وهو يقول في صرامة :

- لا وقت لهذه السخافات .. هيا .

دفعها خارج المقصورة ، وهي تهتف معترضة :

- ليس من حقك أن تفعل هذا .

فتح المقصورة المجاورة ، ووجدتها خالية ، فقال وهو يقودها
إليها :

- أكملني عملك هنا .

استعادت (ميرا) نشاطها بدورها ، مع دفع المقصورة الثانية ،
في حين قالت (بوشكا) في حدة :

- ماذا أصابكم اليوم أيها الرجال ؟ .. أنت تدفعني في خشونة ،
وذلك الحقير يصفعني على وجهي ، و ...

قاطعها (أدهم) في غضب :

- هل صفعتك ذلك الوغد ؟

مطت شفيتها ، قائلة :

- نعم .. لقد فعل ، ولكنني لم أسكت .

سألها :

- وماذا فعلت ؟

ابتسمت في ارتباك ، وهي تقول :

- بكيت .

اعتدل وهو يتطلع إليها لحظة ، ثم قال في حرم

- فليكن .. لقد منحني سبباً آخر لتمزيقه إرباً .

ومال نحوها ، وهو يستطرده :

- والان اسمعيني جيداً لا تغادري هذه المقصورة قط ، مهما

كان السبب .. هل تفهمين هذا ؟

أومات برأسها إيجاباً ، وهي تقول :

- نعم .. أفهم .. ولتعلم أنني لم أكن أنوى مقاديرتها ، دون أن تأمرنى بهذا .

قال فى اقتضاب :

- عظيم .

ثم غادر المقصورة ، وأغلق بابها خلفه ، وتحرك بسرعة فى العمر ، باحثاً عن غريمه ..

ولم تكن بالمهمة السهلة ..

كان عليه أن يفتش قطاراً بأكمله ..

ولقد فعل ..

لم يترك عربة من عربات القطار ، او مقصورة من مقصوراته ، إلا وألقى عليها نظرة فاحصة ..

حتى بلغ العربة قبل الأخيرة ..

عربة المطعم ..

وهناك وجد (إيزاك) أمامه ..

كان يجلس إلى مائدة ، فى منتصف العربة ، ويتبادل الحديث مع شابة سوفيتية جميلة ، وهو يتسم ، ويجرع كأساً من الفودكا .

وفى هدوء ، تحرك (أدهم) فى اتجاهه ، وهو يراقبه فى حذر ..

وكان (إيزاك) منهمكاً فى الحديث مع الفتاة ، ولكن لاحظ منه

التفاتة إلى عمر العربة ، ووقع بصره على (أدهم) ، فبتر عبارته

بعثة ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهتف بصوت مخنق :

- مستحيل !

وهما تحرك (أدهم) بسرعة أكبر ، ولكن (إيزاك) تحلص من

أثر المفاجأة بسرعة ، ودفع مقعده فى عنف ، وهو يهيب واقفاً ، وينترع مسدسه ، صارخاً :

- هذا مستحيل !

أطلق رصاصات مسدسه بلا تردد ، وقفز (أدهم) جانباً ، ليتفادى

الرصاصات الثلاث ، فى حين تفجر الرعب والذعر فى العربة ،

وراح الجميع يتدافعون ويصرخون ، وسقط أحدهم صريع

الرصاصات ، وانطلق (إيزاك) بعدو مبتعداً ، وخلفه (أدهم) ،

وعبر الأول عربة المطعم ، إلى عربة الفطير الأخيرة ، التى انتقلت

إليها موجة الرعب والذعر ، عندما شاهد ركبها المسدس فى يده ،

واندفعوا يحاولون الفرار ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها

(أدهم) ، داخل العربة ، فاستدار إليه (إيزاك) ، وأطلق

رصاصتين أخريين ، استقرتا فى جسد راكب مسكين ، سقط مضرجاً

فى دمايه ، فقفر (أدهم) يتعنى بحامل الحقيب ، وتجاوز الزحام

بوثية واحدة ، ليواصل مطاردته للإسرائيلى ، الذى أسرع بفتح الباب

الحلفى للعربة ، ولكنه فوجئ ، بأن هذا الباب يقود إلى خارج القطار

مباشرة ، فاستدار يواجه (أدهم) مرة أخرى ، وأطلق رصاصة

جديدة ، تغداها (أدهم) بانحناءة بارعة ، وهو يهيف :

- أنت تعرف كثيراً فى إطلاق البيرل ايها الوغد

نطق (أدهم) هذه العبارة وهو يعتدل واقفاً ، ويواجهه بشكل

واضح ، فصبوب (إيزاك) مسدسه إلى منتصف جبهة (أدهم)

تماماً ، وهو يصيح :

- الفتانج هى المهمة يا صاح .

وضغط الزناد ..

ولم يتحرك (أدهم) قيد أنملة ..

ولم تصبه الرصاصة ..

كل ما فعله مسدس (إيزاك) ، هو أن أطلق تكة معدنية ، دون نار أو دخان ..

وهنا ابتسم (أدهم) فى سخرية- وهو يقول :

- هل أدركت الآن أنك تسرف فى إطلاق النار أيها الوغد .. لقد ميزت أنا طراز مسدسك ، منذ النظرة الأولى ، وأنا أعرف أن خزانة هذا الطراز تحوى ست رصاصات فقط ، ولو أضفنا إليها رصاصة متأهية ، فى ماسورة المسدس ، يكون المجموع سبع رصاصات فحسب ، ولقد أطلقناها كلها .. أليس كذلك ؟

شحب وجه (إيزاك) ، وتراجع بحركة حادة ، ثم استجمع شجاعته ، وانقض على (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير عاجله بكلمة كالقنبلة ، وهو يقول :

- ليس هذا هو الطريق الصحيح أيها الوغد

تراجع (إيزاك) مرة أخرى ، مع عنف الكلمة ، ثم اندفع فجأة نحو باب العربة الخلفى المفتوح ، ووثب عبره ، ليتعلق بحاجز العربة الخارجى ، ودفع جسده إلى سطح القطار

وبلا تردد ، لحق به (أدهم) ، وهو يقول :

- إلى أين أيها الحقيير ؟ ألا تعلم أن القانون يحظر السفر ، فوق أسطح القطارات ؟

استدار (إيزاك) ، وركله فى عنف ، محاولاً إسقاطه ، ولكن

(أدهم) أمسك قدمه ، ودفعه فى قوة ، فأسقطه فوق السطح ، ثم دفع جسده إلى أعلى ، قنبلاً فى سخرية .

- والان ، هل نعود إلى القطار ، أم تدفع فارق السعر ؟

تراجع (إيزاك) بسرعة ، وانطلق يعدو فوق عربات القطار ، و (أدهم) يعدو خلفه ، فوق طبقة جلدية رقيقة ، يكفى خطأ واحد ، لتترلق القدم فوقها ، ويسقط المرء من القطار ..

وعلى الرغم من أن (إيزاك) كان يعدو بكل سرعته ، إلا أنه شعر بوقع قدمى (أدهم) يقترب منه فى سرعة ، وأدرك أنه لا فائدة من محاولة الفرار ، فاستدار يواجه (أدهم) ، وهو يستل من حزامه خنجرًا ماضيًا ، ويقول فى حدة وعصبية :

- فليكن أنت الذى ..

ولكن قدم (أدهم) ففرت بأسرع من كلماته ، وركلت الخنجر بعيداً ، ثم قبضت أصابع يدي (أدهم) على ذراعى (إيزاك) ، فهتف الأخير :

- اللعنة !

جنبه (أدهم) فى قسوة ، وهو يقول :

- ستحل هذه اللعنة على رأسك ، فى التو واللحظة ، لو لم أستعد ما سلبته منى .

صاح (إيزاك) فى غضب :

- هذه الأشياء تخصنا نحن ، وأنت سلبتها منا .

قال (أدهم) فى سخرية :

- فليكن .. أنا رجل غير منطقي ، يروى لى أن أعكس كل

القواعد ، وأريد القائمة و (الميكرو فيلم) حالا .

هتف (إيزاك) :

- مستحيل !

لم يكذ ينطق آخر حروف كلمته ، حتى هوت قبضة (أدهم) على فكه كالقنبلة ، وحطمت اثنتين من أسنانه ، قبل أن يلوى (أدهم) نراعه في قوة ، جعلته يطلق صرخة ألم ، تناثرت معها الدماء من فمه ، ثم بمن (أدهم) أصابع يده الأخرى في جيوب معطفه وسرواله بسرعة ومهارة ، حتى التقط العلبة ، التي تحوى القائمة والميكرو فيلم ، وفتحها بسنابته وإبهامه ، ليتأكد من وجود الأشياء داخلها ، قبل أن يضعها في جيبه ، وهو يبتسم في مخزية ، قائلاً : - شكراً جزيلاً يا ملك الاوغاد .. سأرسل إليك برفقة شكر خاصة ، عندما أعبى الحدود .

صرخ (إيزاك) :

- على جثتي .

ثم دار حول نفسه بحركة شديدة المهارة ، جعلته يتخلص من قبضة (أدهم) ، ثم كال له فكمة أودعها كل قوته ، وهو يهتف : - سيهود الطرد إلى صاحبه .

أصابته اللكمة فك (أدهم) مباشرة ، فراجع لحظة ، أحسن (إيزاك) استغلالها ، وهو يركله في صدره بعنف ، صانحاً : - سأنتزعه من جثتك .

أفقت الركلة (أدهم) توازنه ، وزلت قدمه فوق طبقة الجليد ، وانزلق جسده بحركة عنيفة ، ووجد نفسه يسبح في الهواء لحظة ،

قبل أن تقفز يدها للتشبث بحافة السطح ، في اللحظة الأخيرة .

وأطلق (إيزاك) ضحكة عصبية ، وهو يهتف :

- أرايت يا رجل ؟.. من يضحك أخيراً يضحك كثيراً

وأخرج مدية صغيرة من جيبه ، وهو يستطرد :

- والان وداعاً أيها المتحزلق .

هتف به (أدهم) :

- لن تستعيد العلبة قط ، لو أنك أسقطتني .

صاح (إيزاك) :

- خطأ .. سأعود لانتشال جثتك واستعادتها .

ثم هوى بمدية على يد (أدهم) ، صارخاً :

- إنها النهاية يا رجل .

ولكن (أدهم) ترك يده اليسرى تتخلى عن الحافة فجأة ، وتقفز

إلى أعلى ، لتتلقى بمعصم (إيزاك) ، ثم جذبه بكل قوته ، وهو

يتشبث بالحافة بيمنه ..

وفقد (إيزاك) توازنه بغتة ، فاستعرت عيناه في زعر ، وأطلق

صرخة تجمع ما بين الدهشة والهلع ، ثم هوى جسده في الفراغ ،

وصرب الهواء بذراعيه لحظة ، قبل أن يرتطم بالجليد في عنف ،

وينزلق فوقه لعدة أمتار ، ثم يستقر جسده هناك ..

أما (أدهم) ، فقد عاد إلى سطح القطار ، وهو يبتسم قائلاً في

مخزية :

- الآن يمكنك تعديل الحكمة أيها الوغد .. من يسقط أخيراً يسقط

طويلاً .

كان يمكنه أن يعود إلى تلك العربة ، في مؤخرة القطار ، إلا أنه كان يدرك أن رجال أمن القطار سيكونون هناك حتماً ، بعد الرصاصات التي أطلقها (إيزاك) ، والضحايا التي سقطت ، فواصل طريقه ، فوق عربات القطار ، حتى عاد إلى نافذة المقصورة للمحطة ، وتشبّث بالحافة ، ليثبت داخل المقصورة ..

ثم انعقد حاجباه في شدة .

كان هناك جندي داخل المقصورة ، بصوب إليه مدفعه الآلى ، قائلاً :

- توقف وإلا ...

ولكن (أدهم) لم يتوقف ..

ولم يمنحه حتى الفرصة لإكمال حديثه ..

لقد دفع ماسورة المدفع بساعده ، وانقض على الجندي ، الذى هتف في دهشة :

- كف أبها الرهيق ، أو ...

وهنا أخرسته لكمة ساحقة ، من قبضة (أدهم) الفولاذية ، فارتطم بجدار العربة ، وارتد عنه ، ليستقبله (أدهم) بكمة أخرى ، أسقطته فاقد الوعي ..

والتقط (أدهم) أنفاسه ، وهو يقفم :

- ثرى ماسر وجودك هنا أبها السوفيتي ؟

نفض يديه وغادر المقصورة ، وأغلق بابها خلفه جيذاً ، ثم فتح باب المقصورة المجاورة ، التى ترك داخلها (بوشكا) ، وهو يقول :

- كيف حال الممثلة الأولى ؟ ..

واجهته فجأة فوهتا مدفعين البين ، من جنديين سوفيتيين ، وقف ضابطهما فى نهاية المقصورة ، إلى جوار (بوشكا) ، التى هتفت محنلة :

- هل رأيت ما الذى فعلته بى أبها الموسم ؟ لقد أصدرتوا أمراً باعتقالى .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وتساءل عن السر فى إصدار قرار عسف كهذا ، صد الممثلة الأولى فى (الاتحاد السوفيتى) ، فى حين ابتسم الضابط وهو يقول :

- عظيم لقد اصطدنا عصفورين بضربة واحدة .

ثم التفت إلى (بوشكا) ، مستطرذا فى زهو ظاهر :

- لست أظنكما تبلغان (ليننجراد) .. فالمحطة القادمة ستكون محطتكما الأخيرة .

ومع اتساع ابتسامته ، أدركت (بوشكا) أنه على حنى ..

إنها النهاية ..

نهاية المطاف .



١٣ - اختطاف ..

انعقد حاجبا الجنرال (فاسيلوف) ، وهو يستقبل (أندريه رابين) في مكتبه ، للمرة الثانية خلال بضع ساعات ، وقال في لهجة تخلو من الترحيب والود :

- عجبنا يا (أندريه) !.. إنك تنقطع عن زيارتنا لسنوات طوال ، ثم ينتابك الشوق إلينا فجأة . فإذا بك تغرقنا بزيارات لا حصر لها ، في عشية وضحاها .. هل هبطت محبتنا في قلبك فجأة ، أم أنك تسعى لكسب وقتنا ؟

ابتسم (أندريه) في مكر ودهاء ، وهو يقول
- لا هذا ولا ذاك يا عزيزي الجنرال .. كل ما في الأمر أنني أعتبر نفسي مسئولا عما حدث ، وأحاول المساعدة في إصلاح ما تلف .

مط (فاسيلوف) شفطيه ، وقال :
- عظيم .. هل توقع إقرارا رسميا بهذا ؟
أطلق (أندريه) ضحكة صفراء ، وقال

- دعنا من الرسميات يا جنرال .. (إنني أحمل اليك خبرا سعيدا .
قال (فاسيلوف) في برود :
- حقا ؟

اتجه (أندريه) إلى البار الصغير ، الملحق بمكتب (فاسيلوف) ، وصب لنفسه كأسا من الفودكا ، وهو يقول بلهجة خاصة ، أراد أن يفجر بها التأثير المنشود ، في نفس الجنرال الموفيتي :

- لقد عرفنا مكان الجاسوس .

ارتسمت على شفطي (فاسيلوف) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :
- هكذا ؟!.. بالعقريّة والدهاء !.. كيف يمكننا أن نكافئ عقريتك الفريدة هذه ؟!.. هل يكفيك الوسام الأحمر ، أم قلادة (لنين) ؟ (*) .

انعقد حاجبا (أندريه) ، وهو يقول في دهشة :

- جنرال .. هل تسخر مني ؟

ازدادت ابتسامة (فاسيلوف) سخرية ، وهو يقول :
- أسخر منك ؟!.. أي قول هذا يا رجل ؟!.. هيا .. هات ما لديك بشأن ذلك الجاسوس . كلّي أذان صاغية .

بدا الغضب لحظات على وجه (أندريه) ، ثم لم يلبث أن تراجع ، وهو يقول في ضيق :

- لقد استتجت الخطوة التالية للجاسوس ، وقدّرت أنه سيحاول الفرار من الاتحاد السوفيتي كله ، كوسيلة للنجاة .. أو بمعنى أدق ، كأمل وحيد في إنقاذ نفسه .. وكان السؤال الثاني هو أين ؟!.. أين ينبغي له أن يجتاز الحدود ؟!.. أو بمعنى اصح ، ماهي أضعف نقطة في حدودكم كلها ؟!..

(*) فلاديمير لينين (١٨٧٠ - ١٩٢٤ م) . ثابر رومس ، ومؤسس الاتحاد السوفيتي ، نفى مرتين إلى (سيبيريا) ، هو الممسول عن انشغال الحرب الاشتراكي إلى بلشفية ومنشوية ، عاد إلى (روسيا) بعد الثورة (فبراير ١٩١٧ م) ، وبعد الحرب الأهلية (١٩١٨ - ١٩٢٠ م) ، أسس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وورجع إليه تأسيس (الكومنترن) ، ولقد رأس الحزب الشيوعي ، ومجلس القوميساريين الشعبي ، وبعد وفاته ، حدث تناقض شديد على السلطة ، انتهى بغزو (ستالين) .

- تراجع (فاسيلوف) ، وقال في برود :

- الحدود السوفيتية التركية .

التقى حاجبا (أندريه) ، وكأنما أحققه الجواب ، ثم قال :

- ربما كانت أضعف نقطة من وجهة نظرك ، بسبب تعاطف القرى

السوفيتية المتاخمة لتلك الحدود مع الأتراك ، بسبب عقيدتهم

الإسلامية المشتركة ، ولكن تلك المنطقة بعيدة للغاية عن

(موسكو) ، ويصعب الوصول إليها بسرعة ، أما النقطة التي

أقصدها فهي في الشمال .. (فنلندا) باجنرال .

مط (فاسيلوف) شفتيه ، وهز رأسه على نحو لا يحمل أية

تعابير ، وأشار بيده ، قائلا :

- استمر .

خيل لـ (أندريه) أن الأمر قد حاز اهتمام (فاسيلوف)

وانتهاهه ، فتابع في حماس :

- وأبسط وسيلة للوصول إلى خليج (فنلندا) ، هي القطار ..

قطار (ليننجراد) السريع ، الذي يمكنه قطع المسافة ، من

(موسكو) إلى (ليننجراد) في ست ساعات فحسب ، ومن

(ليننجراد) ، يمكنه بلوغ الخليج ، وتدير وسيلة لعبوره إلى

(فنلندا) .

قال (فاسيلوف) في سخرية :

- هل تظن حدودنا مفتوحة إلى هذا الحد ؟

تجاهل (أندريه) السؤال ، حتى لا يخسر التأثير المنتظر لحديثه ،

وقال :

- وهنا لم أصغ لحظة واحدة .. لقد استدعيت حارسي الخاص .

وأمرته أن يستقل ذلك القطار على الفور ، مؤكدا له أنه سيجد ذلك

الجاسوس هناك .

قال (فاسيلوف) :

- عظيم . لا تقل لي ، إن حارسك الخاص يدعى (إيزاك) .

احتقن وجه (أندريه) ، وقال في توتر :

- إنه هو ، ولكن كيف ..

قاطعه (فاسيلوف) ، وهو يلنقط ورقة صغيرة من أمامه :

- لقد وصلتني ، قبل وصولك بلحظات ، إشارة عاجلة ، من إحدى

نقاط المراقبة الخاصة بنا ، والمنشرة عبر خط السكك الحديدية ،

تفيد بحدوث اشتباك عجيب بين رحلين ، فوق سطح القطار ، انتصر

فيه أحدهما على الآخر ، والقاء من القطار . ومن حسن حظ ذلك

المسافر ، أن الجنيد خفف كثيرا من وقع السقوط ، فلم يصب جسده

(لا بكدمات محدودة ، وبعض الرضوض ، في صدره وثراعيه ، ولقد

ألقى رجالني القبض عليه فورا ، وعرفوا منه أنه أحد رجال

سفارتكم ، ويدعى (إيزاك) .

ثم انتسم في سخرية شديدة ، قبل أن يستطرد :

- من الواضح أن رجلك يعرف كيف يودى عمله ، يا عزيزي

(أندريه)

احتقن وجه (أندريه) ، وهو يقول :

- (إيزاك) هو أفضل رجالنا .

قال (فاسيلوف) متهمعا :

- حقًا ؟

أجابه (أندريه) فى عنف غاضب :

- نعم يا جنرال . (إيزاك) هو أفضل رجالنا . إنه على الأقل ، الوحيد الذى استطاع الوصول إلى الحاسوس الهارب .
تراجع (فاسيلوف) فى مقعده . وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

- هل تظن هذا حقًا ؟ لماذا وجدتني إذن شديد الاهتمام بقطار (ليننجراد) السريع ؟ من الواضح أنك تجهل من نحن حقًا أيها الرقيق (أندريه) .

قال (أندريه) فى حدة :

- بل أعرف جيدًا من أنتم يا جنرال (فاسيلوف) ، وأعرف أيضًا أن تعقيداتكم وبيروقراطيتكم^(*) تصع الكثير من العواقب أمامكم ، فى كل أمر .

أجاب (فاسيلوف) فى حزم :

- إلا الأمن .

قال (أندريه) :

- حقًا ؟ إنه دورى لاسجر منكم يا جنرال عن أى أمن تتحدث ؟ أهو ذلك الأمن ، الذى قتلت قائده ؟ أم هو أمن حارسك الخاصة ، التى أرسلتها حلف الجاسوس ثم لم نسمع عنها شيئًا بعد ذلك .

(*) بيروقراطية مجموع الأشخاص والهيئات الذين يتولون الوظيفة التنفيذية فى الدولة وتأتى الشكوى من بعض هذه الهيئات ويريد معادها ، على حساب الهيئات المبدية المعبرة عن الإرادة الشعبية

ابتمسم (فاسيلوف) ، وهو يقول :

- قوئك هذا يؤكد أنك تجهل من هى (ناديا مينوفيتشى)

ثم مال إلى الأمام ، مستطرذا :

- هذه الفتاة ليست فتاة عادية يا رجل . إنها واحدة من أقوى وأنجح أفراد فرقة خاصة ، تم إعدادها منذ عشرة أعوام ، بوسائل تجهلونها اتم تمامًا ، يا شعوب الرأسمالية المغرورة .. لقد علمناها كيف تقاتل بلا كلل أو ملل أو هوادة ، ومهما كن الثمن أو كانت الظروف ، حتى لو اقتضى الأمر التضحية بحياتها نفسها ، لتنفيذ ما يأمرها به رئيسها .

قال (أندريه) محنقًا :

- بل قل سيدها .

هز (فاسيلوف) كفيه ، وعاد بظهره إلى مقعده . وهو يقول - هذه المسميات لا تعنى لنا شيئًا المهم أنها الطراز الذى نحتاج إليه بالضبط ، وعندما تظهر على الساحة ، سيصنع وجودها فرقًا وبرقت عيناه ، وهو يستطرد :

- فارقًا ضخماً .

تطلع إليه (أندريه) فى دهشة ، ونبت فى اعماقه سوال واحد هام ..

ما الذى يمكن أن تفتله (ناديا مينوفيتشى) ، فى مواجهة رجل كهذا الذى رام بعمل أمام عينيه ؟

وتمنى لحظتها لو عرف الجواب ..

عمليًا .

كانت المفاجأة قوية بالنسبة لـ (أدهم) ، فهو يتوقع ، منذ نزع تنكره ، أن يواجه الكثير من المخاطر ، إلا أنه لم يتصور أبدا أن يصدر أمر باعتقال (بوشكا) ، ممثلة (الاتحاد السوفيتي) الأولى ..

كان من الواضح أن الضابط فخور بالإيقاع بهما ، مما يوحي بأن أمر اعتقال (بوشكا) قد صدر من أحد كبار رجال الحزب ، على نحو تتلاشى معه صداقاتها واتصالاتها ..

وعلى الرغم من دهشته ، بدا صوت (أدهم) هادئا تماما ، وهو يتجاهل الضابط السوفيتي ، ويتطلع إلى (بوشكا) ، قائلا :
- ماذا حدث بالضبط ؟

كانت تبكي في حرارة ، وهي تقول :
- إنهم أوعاد لقد ادعوا أنني جاسوسة وخدنة ، وأصدروا أمرا عامًا بالقدم القبض علىي باللهي . إنهم سيُعذبونني حتى ألقى مصرعي ،

ابتسم الضابط في تشف ، وقال :
- هذا لو أنك سعيدة الحظ . أما لو كان الأمر كما أتوقعه ، فهم سيكتفون باستجوابك ، ثم يرسلونك إلى (سيبيريا) ، حيث يذوي جمالك ويذوب وسط الثلوج ، وتتجمد أطرافك ، وتتساقط أصابعك من شدة البرد ، و ...

كان الهلع والذعر والارتياح يرتسمان في ملامحها ، وفي اتساع عينيها ، وهو يتوغل في حديثه ، وابتسامته تتسع أكثر وأكثر ،

وكانما يتلذذ بتعذيبها ..

ولم يرق هذا لـ (أدهم) ..

لم يرق له قط ..

صحيح أنه لم يلتق بـ (بوشكا) إلا منذ ساعات قليلة ، ولا تربطه بها أية عاطفة خاصة .

ولكنها امرأة ..

امرأة ضعيفة ..

وفي شريعة (أدهم صبرى) ، كل امرأة تستحق حمايته ، إذا ما تعرضت للخطر ..

ومن هذا المنطلق ، اعتدل (أدهم) ، وقال في صرامة :
- واصل حديثك أيها الوغد . لو أنك مللت التعامل مع لسانك الفتر ، وترغب في أن أنتزعه من حلقك ، وألقيه طعاما لهذه الكلبة الصغيرة .

نبحت (ميرا) ، وكانها تريد حديثه ، في حين اتسعت عينا الضابط السوفيتي ، وكانما لا يصدق أن يجزو مخلوق واحد على التحدث إليه بهذا الأسلوب ، وخاصة لو كان أسيرا ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في غضب هابر ، وهو يقول :

- كيف تجرؤ ؟

أجابه (أدهم) :

- هكذا .

قالها وهو يفيض بقبضته على أنف الضابط ، ويحيله في لحظة واحدة ، إلى كتلة من اللحم والعظم ، بلا معالم محدودة ، ويدفع

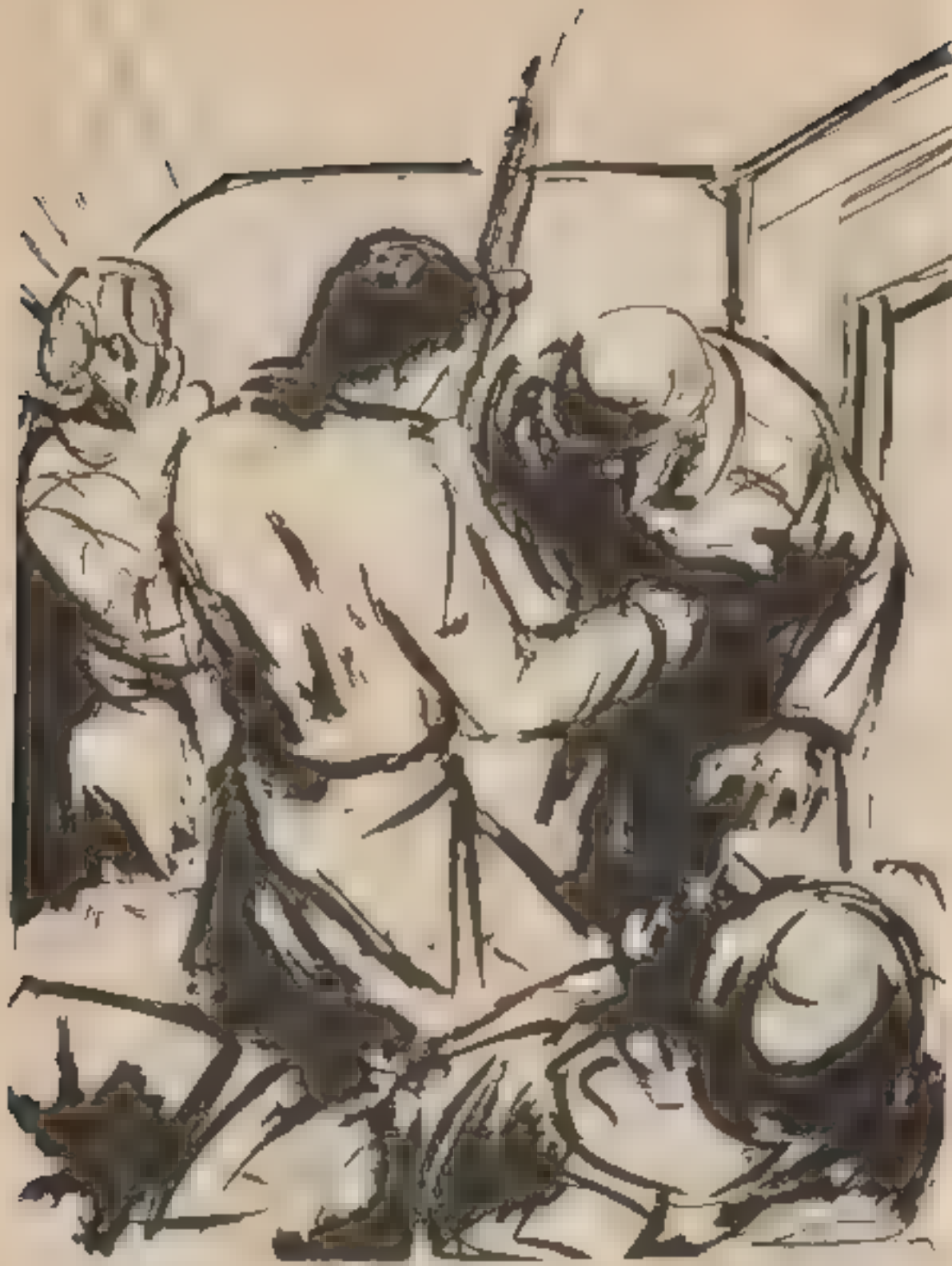
الضابط كله إلى الخلف ، وكانما أصابه قذيفة مدفع ، وهو يطلق
صيحة ألم عنيفة ، والدماء تتناثر من أنفه المحطم في غزارة ..
وصرخت (بوشكا) ..

ومع صرختها غاصت قدم (أدهم) في معدة أحد الجنديين ، في
نفس اللحظة التي رفعت فيها يده مسورة مدفع الحدي الأخير عاليا ،
والرصاصات تتطلق منها ، وتخرق سقف القطار ، ثم دار حول
نفسه في هذا الحير الصيق ، وحطم فك الجندي بكلمة كاقبلة ، قبل
أن يلکم الثاني في معدته وصدره . ويسقط الجنديان فاقدى الوعي ..
أما الضابط ، فصرخ وهو يستزع مسدسه ، ويمسك أنفه المحطم -
- لا أحد يفعل هذا بضابط سوفيتي ، لا أحد .

هوى (أدهم) على فكه بكلمة ساحقة ، وهو يقول ساخرا -
- اعتبرتني إذن لا أحد .

ارتطم رأس الضابط بالقذبة ، مع عصف النكمة ، ثم ترشح ، وسقط
أرضا ، وهنا تحرك (أدهم) في سرعة ، فالتقط مسدس الضابط ،
ودسه في حزامه ، ثم حمل أحد المدفوعين الأدليس . والتفت إلى
(بوشكا) ، التي اكتمشت في ركن المقعد مدعورة . وهي تحنض
(ميرا) ، وقال في صرامة :
- هيا .

قالت وهي ترتعد ذعرا :
- إلى أين ؟ لقد أصدرنا أمرا باعتقالى .
قال في حزم :
- وماذا تنتظرين إذن ؟ - قدومهم !



ثم دار حول نفسه في هذا الحير الصيق . وحطم فك الجندي بكلمة كاقبلة . قبل
أن يلکم الثاني في معدته وصدره

تطلعت إليه مذعورة ، فجذبها مستطرذا :

- هيا .. لا وقت نصيحه .

حملت (بوشكا) كلبتها (ميرا) ، وهي ترتجف ، فالتقط (أدهم) علبة أدوات الزينة الخاصة بها ، ودفعها إليها ، وهو يقول :

- خذي الضروريات الأساسية ،

حذقت في وجهه لحظة ، وهمست :

- أشكرك .

جذبها إلى خارج المقصورة ، وتحرك معها في سرعة ، عبر الممر الذي يربط المقصورات ببعضها ، وهو يحمل المدفع الآلي ، ومن خلفهما تعالى وقع أقدام تقرب في سرعة ، فحثها على السير ، قائلا :

- أسرعى .. سيهاجموننا بعد لحظات .

فتح الباب الذي يقود إلى العربة التالية ، في نفس اللحظة التي انفتح فيها الباب ، الذي يقود إلى العربة السابقة ، فدفعها (أدهم) إلى الأمام ، ثم استدار في سرعة ، وأطلق نيران مدفعه الآلي ، نحو الجنود ، الذين حاولوا افتتاح العربات ، فترجعوا بسرعة ، وبدعوا بطلقون النيران بدورهم ، فحذب (أدهم) (بوشكا) ، وراح يعدو بها عبر العربة التالية ، وهي تصرخ :

- رويدك .. ستسقط (ميرا) .

وصل معها إلى باب العربة الأخيرة قبل القاطرة ، فدفعها إليها ، واستدار يطلق النيران على الباب الخلفي ، ليمنع الجنود من

مطاردتهما ، ثم واصل جريه معها ، حتى بلغا نهاية العربة ، فقالت (بوشكا) مرتعدة :

- إنها نهاية المطاف .. لم يعد أمامنا سوى القاطرة نفسها .

قال في حزم :

- سنذهب إليها .

قالها وفتح الباب الأخير ، ودفعها عبر ممر مكشوف ، إلى حاجز ضيق ، في موحرة القاطرة ، فصرخت في رعب :

- النجدة .. ماذا تفعل بي ؟

قادها في حزم إلى ذلك الحاجز ، وهو يقول :

- تشبهي جنذا .

أمسكت الحاجز بيمنها بكل قوتها ، وضمت إليها (ميرا) بيسراها ، في حين استدار هو ، وراح يغلقي الباب الخلفي في إحكام ، فسألته وهي ترتجف برذا وذعرا :

هل تتوقع أن يمنهم هذا طويلا ؟

أجاب في حسم :

- أحتاج إلى عشر دقائق فحسب .

سألته في دهشة وقلق :

- وماذا سنفعل بعدها ؟

تجاهل السؤال تماما ، وهبط على نحو مباغت إلى الحلقة الضخمة ، التي تربط القاطرة بعربات القطار ، وراح بجاهد لحل مسئلتها الضخمة ، ثم لم يلبث أن صعد إلى الحاجز الضيق ، في موحرة القاطرة ، فسألته :

- ماذا فعلت بالضبط ؟

أجابها في حزم :

- تشبّثي جيّداً .

ثم صوّب مدفعه الآلى إلى السلسلة ..

وأطلق النار ..

وفى الظروف الطبيعية ، لم يكن من الممكن أبداً أن تسبب هذه الرصاصات فى تحطيم سلسلة لها مثل هذه القوة ..

ولكن (أدهم) كان يجيد التصويب ..

ويجيد اختيار الأماكن ، التى يصوب رصاصاته إليها ..

ولكن الجنود وصلوا فى اللحظة نفسها ، واقتحموا الباب

برصاصاتهم ، و ...

وانفصلت القاطرة ..

فى نفس اللحظة التى ظهر فيها الجنود ، عند باب العربة الأخيرة ، انفصلت قاطرة القطار عن العربات ، وادى هذا الانفصال إلى انخفاض قوة الشد بصورة مبالغتة ، وزيادة سرعة القاطرة بعنة ، فابتعدت عن العربات ، و (أدهم) يطلق رصاصاته نحو الجنود ، ليجبرهم على التراجع ، ويفسد محاولتهم لاقتنصه ..

ولكن فجأة ، انتبه إلى أن تلك الادفاعة المفاجئة قد أفقدت (بوشكا) توازنها ، فأطلقت صرخة رعب ، وهى تهوى من القطار ، وأغمضت عينيها ، فى انتظار الموت السريع ، و لكن أصابع (أدهم) أطيقت على ذراعها فجأة ، وأعادتها إلى القطار فى حركة عنيفة ، فصرخت :

- آه .. إنك تؤلمنى .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

- أعتقد أننى أنقذت حياتك أيضاً .

قالت فى حدة :

- هذا لا يبرّر إيلامى على هذا النحو .

ثم انكمشت على نفسها ، وهمست متراجعة :

- ولكنه يستحق الشكر .

هزّ رأسه ، وهو يغمغم :

- بالنساء !!

ثم استدار إلى باب القاطرة الخلفى ، ودقّه فى صرامة بمدفعه الآلى ، قائلاً :

- افتح أبواب المانى .. هناك خلل أمانى .

صاح المانى من الداخل :

- مستحيل !.. أنت جاسوس .. أنا أعرفك لقد وزعوا نشرة بأوصافك .

قال (أدهم) فى حزم :

- افتح أو أطلق النار .

جاء صوت مهندس القطار من الداخل ، قائلاً :

- هذا الباب مصفّح .

قال (أدهم) فى صرامة :

- دعنا نختر هذا .

وصوّب مدفعه إلى رتاج الباب ..

ودوت الرصاصات ..

وأطلقت (بوشكا) صرخة رعب هائلة ، فتلك الرصاصات لم
تتطلق من مدفع (أدهم) ، ولكن من هليوكوبتر حربية ، ظهرت
فجأة في السماء ..

هليوكوبتر تقودها (ناديا) ..

(ناديا مينوفيتشي) .

★ ★ ★



١٤ - المطاردة الشرسة ..

التف مدير المخابرات المصرية ، مع عدد من معاونيه ، حول
خريطة ضخمة للاتحاد السوفيتي ، تغطي منضدة ضخمة ، وراحوا
بناقشون موقف (أدهم) ، ومناطق الحدود السوفيتية ، وقال أحد
الخبراء :

- من الواضح أن أفضل احتمالين للفرار ، هما عبر الحدود
التركية أو الفنلندية ، وبالنسبة للاحتمال الأول ، سيكون على
(أدهم) أن ينتقل من (موسكو) إلى (كييف) أو (خاركوف) ،
ومن هنا إلى (جورجيا) أو (أرمينيا) ، أو (أذربيجان) ، ثم يجد
وسيلة لعبور الحدود إلى (تركيا) ، أما بالنسبة للاحتمال الثاني ،
فعليه أن ينتقل إلى (ليننجراد) ، ومنها عبر الخليج إلى (فنلندا) ،
أو يعبر بحيرة (لاروجا) إلى (بتروزافرسك) ، أو الحدود الفنلندية
مباشرة .

قال آخر :

- في هذه الحالة أعتقد أنه سيختار الحدود التركية ، فالسفر إلى
الشمال يزيد من الصعوبات ، ومن حدة البرودة ، كما أن (تركيا)
مستكون أكثر أمنا .

اندفع ثالث يقول :

- خطأ .. هناك مثل أمريكي يقول : إن عدد الجواسيس السوفيت
في (تركيا) ، يفوق عدد الأتراك أنفسهم .

قال رابع مؤيذا :

.. هذا صحيح ، مما يعنى أنه ساحتار الحدود الفنلندية .

وهتف خامس :

.. أشعر بالحق ، ونحن نتحرك هكذا كالعريان .. ألا توجد وسيلة

للاتصال بـ (أدهم) هذا ، أو معرفة خطواته .

هز المدير رأسه نفيا ، وقال :

.. ليس فى الوقت الحالى ، ولكننا على أية حال ، سنواصل

استنتاج وتخمين خطواته القادمة .

ثم أشار إلى الخريطة ، مستطرذا :

.. ولكننى أميل إلى اختيار الحدود الفنلندية .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى ارتفع صوت مدير مكتبه ، عبر جهاز

الاتصال الداخلى ، وهو يقول :

.. سيدى .. النقيب (حازم) يطلب رويك على الفور .

ضغط المدير زر الاتصال ، وهو يقول :

.. دعه يدخل .

استدارت عيون الجميع إلى (حازم) الذى دلف إلى الحجرة فى

هدوء ، واتجه بخطوات واسعة إلى المدير ، وقال .

.. أعلنت الإذاعة السوفيتية أن سلطات الأمن عثرت على وثائق ،

تدين الممثلة الأولى (بوشكا) ، بتهمة الخيانة العظمى ، وأنه صدر

أمر باعتقالها ، لأنها عاونت جاسوسا على الفرار

هتف المدير فى انفعال :

.. (أدهم) !

أوما (حازم) برأسه إيجابا ، وقال :

.. على الأرجح ، ولو كان استنتاجنا صحيحا ، فهذا يعنى أننا

نعرف .. تقريبا - إلى أين يتجه (أدهم) .

سأله المدير فى اقتضاب واهتمام :

.. كيف ؟

أشار (حازم) إلى الخريطة ، وقال :

.. تبعا لما نشرته (البرافدا)^(*) من قبل ، فمن المفروض أن

تستقل (بوشكا) قطار العجر ، من (موسكو) إلى (لينتجراد) ،

لحضور حفل افتتاح فيلمها الحديد هناك ، وأعتقد أن سبب صدور

أمر باعتقالها ، هو أنها اصطحبت (أدهم) معها ، على نحو أو

آخر ، مما يشير إلى أنه قد انتفى الحدود الفنلندية ، لمغادرة (الاتحاد

السوفيتى) .

اعتدل مدير المخابرات ، وزفر فى ارتياح ، وهو يقول :

.. عظيم

ثم التفت إلى أحد معاونيه ، واستطرد :

.. اتصل بمدوبنا فى (فنلندا) ، واطلب منه أن يتأهب لاستقبال

(أدهم) ، وأن يحصل على القسمة والافلام منه ، ويرسلها (لينا على

الفور ، بالحقيبة الدبلوماسية ، أو بأسرع وسيلة ممكنة

(*) (البرافدا) ، صحيفة يومية سوفيتية اسمها يعنى (الحقيقة) ، وهى لسان حال

الحزب الشيوعى ، صدرت عام ١٩١٩ م فى (بطرسبرج) ، و أصبحت صحيفة النجمة

المركزية . وحدة الحرب الشيوعى فى (موسكو) عام ١٩١٧ م ، ثم انتقلت إلى

(موسكو) ، وشارك فى تحريرها (لينين) ، و (ستالين) ، و (مولوتوف) ، و (كالينين) ، وهى أوسع الصحف السوفيتية انتشارا .

أسرع الرجل لتنفيذ الأمر ، في حين بدأ الخبراء جولة جديدة من المناقشات ، على ضوء المعلومات الجديدة ، وغمغم المدير في توتر :

- رباه ١.. كم أشعر بالقلق ، كلما تصورت أنه يوجد الآن ، وفي هذه اللحظة بالذات ، فريق مماثل ، في مبنى الـ (كى . جى . بى) ، يقوم بدراسة الموقف مثلنا تمامًا ، ويمكنه أن يتوصل إلى نفس ما نتوصل إليه من معلومات ، ولكن على نحو أكثر سرعة ودقة .
قال (حازم) :

- ربما كان هذا صحيحا ، ولكن ليس لديهم حتما رجل مثل (أدهم) .

رمقه المدير بنظرة ثاقبة ، ثم أشاح عنه بوجهه ، وغمغم :
- فلنأمل هذا يا رجل .. فلنأمل هذا .

★ ★ ★

جاء ظهور (ناديا) ، وتدخلها مباغتًا حقًا ، حتى أن (أدهم) رفع حاجبيه في دهشة ، قبل أن يعقدتهما في شدة ، ويهتف في (بوشكا) :
- ابتعدى .

لم تدر (بوشكا) أين تذهب بالضبط ، وإلى أين تبتعد ، وهي تقف أمام ذلك الحاجز الضيق ، فوق شريط معدني ، لا يتجاوز عرضه خمسة عشر سنتيمترا ، فاكتفت بأن اتكمت في موضعها ، وراحت تصرخ في رعب ..

أما (أدهم) ، فقد استدار إلى الهليكوبتر ، وأطلق نحوها نيران مدفعه ..

وفي الهليكوبتر ، ابتسمت (ناديا) في برود ، وتمتمت :
- من يتصور نفسه ؟.. هل سيواجه هليكوبتر حربية سوفيتية ، بمدفع آلي واحد ؟!

ثم انفصت مرة أخرى ، وأطلقت نيران مدفع الهليكوبتر ..
وصرخت (بوشكا) في رعب أكثر . وهي تسمع صوت ارتطام الرصاصات بالبواب المعدني ، على الرغم من أن (أدهم) ظل قويًا متعاسكا ، وهو يطلق السيران نحو الهليكوبتر ..

ولكن جسم الهليكوبتر كان مصفحا بحق ..
أو أنه كان يحتاج إلى سلاح أكثر قوة ..
ولواحدة من العرات النادرة في حياتها ، أطلقت (ناديا) ضحكة ساخرة ، وهي تقول :

- حاول يا رجل أطلق نيرانك أكثر وأكثر .. كل هذا مجرد عبث .

وشعر (أدهم) بهذا بالفعل ، على الرغم من أنه لم يسمع عبارتها ، فقد كانت رصاصات مدفعه ترتطم بجسم الهليكوبتر المصفح ، ثم ترتد عنه في عنف ، كما لو كانت كرات من المطاط ، تضرب جدارًا قويًا ..

وصاحت (ناديا) :
- الآن حصلت على فرصتك كاملة .. والآن حان دوري .
واحسنت تصويب مدفع الهليكوبتر هذه المرة ، و ...
وبلغت القاطرة أحد أنفاق الطريق ، في اللحظة نفسها ، واختفت

داخله ، فهتفت (ناديا) فى غضب عصبى :

- اللعنة !

ثم أضافت فى حزم :

- فليكن .. إنها دقيقة واحدة ، ونعود لنلتقى .

وزابت من سرعة الطائرة ، حتى تتجاوز السقف ، قبل أن تعبره القاطرة ، ثم استدارت فى نهايته لتواجه القاطرة ، التى غادرته بعد دقيقة كاملة بالفعل ، وواصلت طريقها بسرعة أكبر ، ولكن الهليكوبتر دارت حولها ، وهنت (ناديا) بإطلاق نيران مدفعها مرة أخرى ، و ...

واتسعت عيناها فى دهشة .

لقد احتفى (أدهم) و (بوشكا) من خلف القطرة ..

اختفيا تماما ..

وجن جنون (ناديا) ، وهى تقول فى غضب :

- اللعنة !.. لقد ففزا من القطار داخل الممر .

أحنقها أن ينح (أدهم) فى خداعها ، بعد أن تصورت أنها صاحبة اليد الطولى ، فاستدارت بالهليكوبتر عابدة إلى السفق ، وانخفضت بها ، بحيث أصبح السفق فى مستوى نظرها ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تحاول احتراق حب الظلمة ، فى أعماق النفق ، ثم تألقت عيناها فى ظفر ، عندما لمحت شبح جسدین ، يتحركان داخل الممر ، وهنت شممة ظافرة :

- مهما فعلت أيها المتحزلق (ناديا) هى التى ستضع مشهد

النهاية .

وضغطت زر إطلاق مدفع الهليكوبتر ..

وانطلقت الرصاصات عبر النفق ..

وأصابت أهدافها ..

وعلى الرغم من الضوء الخافت ، شاهدت (ناديا) رصاصاتها تخترق الجسدين ، وتتزعزعا من مكانهما ، ثم تلقىهما أرضا ، فواصلت إطلاق النيران بضع لحظات ، وكأنها تصر على التيقن من مصرعهما ، حتى امتلأ النفق بدخان الدخان ، فاعتذلت فى اعتداد ظافر ، وقالت :

- هكذا تكون النهاية .

وهبطت لتستقر بالهليكوبتر على الأرض ، إلى جوار شريط القطار ، ثم غادرتها ، واستزعت مهندسها إلى فى حذر ، وهى تتقدم داخل النفق ..

كانت ترغب فى أن تتأكد بنفسها من مصرع (أدهم) و (بوشكا) ، مما دفعها إلى اختراق نصف النفق الطويل ، قبل أن تتوقف أمام الجثتين ، وتشعل مصباحها اليدوى ، وتسقط ضوءه على وجهيهما ، وهى تقول :

- نظرة أخيرة قبل الرحيل .

ولم يكد ضوء مصباحها اليدوى يسقط على الوجهين ، الدين لوثتهما الدماء ، حتى انعقد حاجباها فى شدة ، وصرخت

- لا .. لا .. مستحيل !.. مستحيل !

ورند النفق صرختها الغاضبة ..

رندها طويلا .

ما الذى حدث بالضبط ١٢..

ماسر صرخة (نالدا) ، وغضبها ١٣..

لو أردت معرفة الجواب ، فمن المحتمل أن نعود بالاحداث إلى الماضى ..

إلى تلك الدقيقة ، التى استعرفتها القاطرة ، فى عبور النفق
لقد أيقن (أدهم) منذ البداية ، ان التغلب على هذه الهليوكوبتر
الحربية السوفيتية مستحيل ، مادام لا يملك سوى مدفع الى واحد ..
ولكنه لم يشعر باليأس ..

كل ما شعر به ، هو ضرورة البحث عن وسيلة جديدة للنجاة ..
وفى نفس الوقت ، كانت (بوشكا) تصرخ فى انهيار
- إنها النهاية .. إنها النهاية .

و (ميرا) تنبح مذعورة ، وكأنها تشارك سيدتها رعبها
وانهيارها ..

ثم دخلت القاطرة النفق ..

وهنا تحرك (أدهم) ..

تحرك بسرعة مذهلة ، اتسعت لها عينا (بوشكا) ، وانحبس لها
النجاح فى حلق (ميرا) ..

ولكنه لم ينتبه إلى هذا ..

كان عقله كله مشغولا بأعداد خطئه ، حتى يمكنه الإفادة من
الوقت القصير ، الذى ستعبر فيه القاطرة النفق

وفى خفة مدهشة ، قفز (أدهم) إلى سطح القاطرة ، وزحف
فوقه بسرعة ، حتى بلغ موضع النافذة الجانبية ، فتشبث بالسطح

ببمراه ، ومال على نحو مخيف ، ليطلق رصاصات مدفعه الإلى على
النافذة الزجاجية ..

وتراجع سابق القطار ومهندس فى زعر ، عندما رأى الرصاصات
تخترق النافذة ، وتحيلها إلى حطام ، وقفز أولهما يحاول النقاط
مسند الطوارئ ، (لا أنه فوجئ بـ (أدهم) يثب عبر النافذة ،
وينتزع المسند من يده ، ثم يلكمه لكمة كالقبيلة ، بلغت من قوتها
أن انتزعته من مكانه ، وألقته عبر النافذة المحطمة إلى المعمر .

وانقض المهندس على (أدهم) ، وحاول أن يلكمه فى فكه ،
ولكن (أدهم) انحنى متفاديا لكمته ، ثم اعتدل ليلكمه فى معدته ،
قبل أن يحمله بحركة سريعة ، ويلقى به عبر النافذة

ودون أن يضيع (أدهم) لحظة واحدة ، اندفع إلى الباب الخلفى
المصطف ، وجذب رتاجه ، ثم فتحه ، ومد يده يجذب (بوشكا) إلى
الداخل ..

واتسعت عينا (بوشكا) فى دهشة ، وهى تهتف

- كيف فعلت هذا أيها الوسيم ؟

قال وهو يجذبها بسرعة :

- أقصتهما بأن يتركنا لنا القاطرة ، مقلد توقيع ابيق فى
دفتريهما .

نبحث (ميرا) ، وتملصت من ذراع (بوشكا) ، لتقفز إلى
الداخل ، ولكنها انزلقت ، وهوت خارجا ، فصرخت (بوشكا) فى
ارتياح :

- (ميرا) ؟

فوثب (أدهم) فى خفة ، والتقط الكلبة الصغيرة ، قبل أن تسقط ، وجذبها إلى الداخل ، وهو يدفع (بوشكا) ، قائلاً :
- أسرعى .. لا وقت لدينا .

ولم يكد يغل الباب الخلفى ، حتى كانت القاطرة تعبر النفق ، فى وجه الهليكوبتر مباشرة ..

وتوقف قلب (بوشكا) عن النبض ..
لقد تصورت أن (ناديا) ستقفز على القاطرة ، وتمطرها بالرصاصات ، التى تخترق النوافذ ، وتقتلهم جميعاً ..

ولكن (ناديا) لم تفعل . وإنما تراجعت عائدة إلى النفق ، كما سبق أن روينا ، فتنفست (بوشكا) الصعداء . وهى تقول :
- لقد نجونا .

أجابها (أدهم) ، وهو يتجه إلى أجهزة القيادة :
- ليس بعد . كنت أتوقع ما فعلت . فهى ستتصور أننا قفزنا من القاطرة داخل النفق ، وستعود حتماً للتأكد من ذلك ، إلا أنها لن تلبث أن تدرك الحقيقة ، وعندئذ ستطلق خلفنا غاضبة .

شعب وجه (بوشكا) ، وهى تقول :
- وماذا سنفعل حينذاك ؟

هز رأسه ، وهو يقول فى هدوء أدهشها :
- لست أرى .. إننا محاطون بالثلوج من كل جانب ، وأفضل ما نفعله هو أن نبتعد عن هنا بقدر الإمكان ، فكل كيلومتر نقطعه ، يجعلنا نقرب من خليج (فنلندا) ، ومن الحرية .

قالها بكل الثقة ، على الرغم من أنه ، فى أعماقه ، بدأ يشعر

بالشك ، فى قدرتهما على بلوغ الخليج ..
وعلى النجاة ..

★ ★ ★

لو أننا أرينا وصف كل ذلك الغضب ، الذى ملأ قلب (ناديا) ، عندما كشفت الخدعة ، التى أوقعها فيها (أدهم) ، لما وجدنا الكلمات المناسبة ، فذلك الغضب كان يفوق البركان ثورة ، والعاصفة عنفاً ..

ولكنها تماسكت ..
تمالكت أعصابها ، على الرغم من كل هذا ، وانتظت نفماً عميقاً ، وهى تقول :

- لن يفلت .. لن يفلت مهما فعل .
وانطلقت تعدو عبر الممر ، عائدة إلى الهليكوبتر ، وقفزت داخلها ، ثم جذبت عصا القيادة ، وارتفعت بها على نحو بالغ الخطورة والسرعة ، وانطلقت تطارد القاطرة مرة أخرى ..

كانت الدعاء تغلى فى عروقها ، من فرط الغضب ، مما جعلها تريد من سرعة الهليكوبتر إلى أقصى حد ، متتبعة شريط القطار ، حتى لمحت القاطرة من بعيد ، فكشرت عن أنيابها ، وقالت فى غضب .
- فى هذه المرة ، لن تكون هناك أخطاء .

كانت القاطرة تطلق بأقصى سرعة ، تسمح بها محركاتها ، إلا أن هذه السرعة لم تكن تكفى أبداً ، للإفلات من هليكوبتر حربية ، مما سمح لـ (ناديا) بالحقاق بها بسرعة ، فهتفت وهى تضغط زر مدفعها :

.. لا أخطاء .

وانهمرت الرصاصات كالمنطر ..

وفي القاطرة ، صرخت (بوشكا) ، مع صوت الرصاصات ، التي تنهال على جدار المقطورة ، وهتفت :

.. أنت على حق .. لقد عادت .

لم يلتفت إليها (أدهم) ، وأولى كل اهتمامه للانطلاق بأقصى سرعة ، في حين زانت (ناديا) من سرعتها ، ونجاوزت القاطرة ، وراحت تنهال عليها مرة أخرى بالرصاصات ، التي اخترقت زجاجها الامامي ، ونثرته على جمدى (بوشكا) و (أدهم) ، اللذين احتميا منه ومن الرصاصات ، فور رويتهما الهليكوبتر تتجاوزهما ، ثم النقط (أدهم) مدفعه ، وراح يطلق النار على الهليكوبتر ، عبر النافذة المكسورة ، فيدوبته (ناديا) بمزيد من النيران ، وصاحت (بوشكا) منهارة :

.. إنها أكثر قوة منا ، وستألفنا حتماً .

قال (أدهم) في حزم :

.. لست أميل إلى روح الإحباط هذه . من حسن حظنا أن جدران

القاطرة قوية ، ويمكنها احتمال الرصاصات .

قالت باكياً :

.. وماذا عن النافذة المحطمة ؟

انهمر سيل آخر من الرصاصات على القاطرة ، فصرخت مذعورة ، ولكن (أدهم) جذبها إلى حيث يجنس ، وتركها تحتضن

(ميرا) في رعب ، وهو يجيبها بصوت هادئ ، في محاولة لتهديئة أعصابها :

.. من حسن حظنا أيضاً أن القاطرة تسير فوق قضبان ، ولا نحتاج إلى قيادة فعلية ، كما لا توجد تحويلات فرعية ، تخرجنا عن خط سيرنا على الرغم منا ، ثم إننا نجلس في ركن محاط بالجدران ، التي تحمينا من الرصاصات ، و ...

قطع عبارته مع دوى انفجار هائل ، أصاب جانب القاطرة ، وكاد يخرجها عن القضبان ، بعد أن شق جزءاً من جدارها الأيمن ، فهتف (أدهم) :

.. الصواريخ .

ارتجفت (بوشكا) ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهي تقول بصوت شاحب مرتعد :

.. أية صواريخ ؟

أجاب ، وقد انعقد حاجباه في صرامة :

.. هذا الطراز من طائرات الهليكوبتر مزود بصاروخين قويين ، من الصواريخ المضادة للدبابات ، ولو أن تلك المنعونة أحسنت إصابة الهدف ، لانشطرت القاطرة إلى نصفين .

صرخت (بوشكا) :

.. ماذا ؟! .. (إلى نصفين ؟! .. هل يعني هذا أن .. أن ..

ثم هبت واقفة ، وهي تواصل صراخها :

.. أخرجني من هنا .. لا أريد أن أموت .

جذبها إليه ، هاتفا :

- اجلسي .

أنقذتها جذبتة من ميل الرصاصات ، عبر القطرة ، وأصاب
جدرانها من الداخل ، فحدقت (بوشكا) في وجهه لحظة ، ثم
انفجرت باكية ، فتركها تفرع بموعها وانفعالاتها في ركن القطرة ،
والنقط مدفعه ، وهو يغمغم :

- من سوء حظنا هذه المرة ، أن تلك الهليوكوبتر من أقوى
الطرازات ، التي أنتجها السوقيت ، فجدرانها مصفحة أو شبه
مصفحة ، وحتى زجاجها من النوع المضاد للرصاصات ، ومروحتها
مدعومة بعوازل من شبكات الصلب . باختصار .. هي من ذلك
الطراز ، الذي يستحيل إسقاطه ، إلا بمدفع ضخم ، أو صاروخ مضاد
للطائرات .

هتفت في حني :

- هل تقول هذا لتسعدني ؟

نهض مغمما :

- بل أتحدث إلى نفسي .

أطلق دفعة أخرى من الرصاصات نحو الهليوكوبتر ، دون أبنى
أمل ، في حين انهارت (بوشكا) ، قائلة :

- لا داعي لكل هذا . دعنا نجلس فحسب ، وننتظر الموت في
استسلام .

سمعته يقول في صرامة :

- لست أعتقد هذا .

رفعت رأسها متسائلة ، فقال بصوت يفوح برائحة الأمل :

- هناك نفق آخر ،

لم يكد ينتهي من نطقها ، حتى أحاط بهما الظلام ، والقاطرة تعبر
النفق الثاني ، ورأت (بوشكا) (أدهم) يجذب فرامل القاطرة في
قوة ، قبل نهاية النفق ، فهتفت :

- ماذا تفعل ؟

أجابها في حماس :

- سنتوقف قليلا .

سألته حاله :

- وبم يفيد هذا ؟

هز كتفيه ، قائلا :

- من يدري ؟

لم تفهم مايعنيه ، ولكنها رآته يوقف القاطرة ، ويبقى المحركات
دائرة ، فتساءلت في نفسها عما يقصده ، ولم تلبث أن عجزت عن
كتمان السؤال في صدرها الفضولي ، مما جعلها تعطل ، وتنفس
الخطر المحيط بهما ، وهي تسأله في اهتمام .

- هل تخطط لأمر ما ؟

تمتم في خفوت :

- بالتأكيد .

وجلس ينتظر في صمت .

أما (ناديا) ، فقد أطلقت صاروخها الأول نحو القاطرة ، وهي
تتوى نسفها ، إلا أن القاطرة كانت تسير بأسرع مما توقعت ،
فاتحرف الصاروخ بمقدار سنتيمترات قليلة ، وأصاب طرف الجدار

الأيمن للقاطرة ، بدلا من أن يخترق منتصلها تماما ، وانفجر في عصف . وشق الجدار ، وكاد يخرج القاطرة عن قضبانها ..

(لا أن هذا لم يرض (ناديا) ..

إنه - على العكس - أحنفها ، وأغضبها ، فضغطت أزرار الاستعداد ، لإطلاق الصاروخ الثاني ، وهي تقول في غضب :

- ماذا دهاك يا (ناديا) ؟ .. قلنا لا أخطاء .

مالت بالهليوكوبتر ، استعدادا لإطلاق الصاروخ الثاني ، (لا أن القاطرة بلغت النفق الجديد هذه المرة ، فصاحت :

- لا .. ليس ثانية .

وزادت من سرعتها لتتجاوز النفق ، ثم أدارت الهليوكوبتر ، وهبطت لتواجه مخرج النفق مباشرة ، وما أن لمحت القاطرة

داخله ، حتى هتفت :

- ها هو ذا .

وضغطت أزرار الاستعداد بسرعة ، ثم هتفت ، وهي تستعد لضغط

زر الإطلاق :

- الوداع أيها الجاسوس .

وأصبح من الواضح أن مطاردة القاطرة والهليوكوبتر قد بلغت مرحلة جديدة ..

مرحلة النهاية .

★ ★ ★

١٥ - خارج الخط ..

كفى .. .

نطق (منى) الكلمة في حزم صارم ، وعلى نحو أثار دهشة (قبرى) ، وجعله يميل نحوها ، قائلاً فى قلق :

- ماذا حدث ؟ .. هل أصابك شيء ما ؟

تتهبت فى عصف ، وهي تفرّد نراعيها عن آخرهما ، وتدفعهما إلى ماخلف ظهرها ، محببة :

- نعم .. الإرهاق .

نهض قائلاً فى حماس :

- هل نتبادل المقاعد ؟ .. مقعدى أكثر ليونة ، و ..

قاطعته وهي تبسم ابتسامة باهتة :

- اطمن .. ليس المقعد ما يرهقنى .

تراجع قائلاً فى حيرة :

- ماذا إذن ؟

لوحى بكفها ، قائلة .

- كل هذه الأحداث .

ثم اعتلت ، مستغردة :

- ألم تتبّه إلى أن هذه العملية بالذات ، كانت أحداثها تسير على

نحو بالغ السرعة ، حتى أنك تلهث لمجرد سماعها ، ويتضاعف

توترك مع كل خطوة فيها ؟

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :
 - إلى هذا الحد ؟!.. ماذا كان يفعل (أدهم) إذن ، وهو يواجه
 كل هذا وجهًا لوجه ؟
 تنهت مرة أخرى ، وقالت :
 - (أدهم) من طراز مختلف .. إنه يبدو لى أحياناً وكأنه يستطيع
 أن يقاتل بشكل متواصل ، وبلا توقف أو هوادة .
 ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :
 - هذه إحدى أفضل خصاله .
 لوحت بكفها ، قائلة بابتسامة مرهقة :
 - إن مواهبه لا تنتهى ، وهى تبهر كل من يتعامل معه .
 قال فى حماس :
 - بل تبهر كل من يسمع عنه .
 ابتسمت وهى تسترخى فى مقعدها ، قائلة :
 - هل تعتقد أنهم يصدقون ؟
 قال فى حيرة :
 - يصدقون ماذا ؟
 أجابته فى تراج :
 - وجود رجل مثل (أدهم صبرى) - إننا نعامل مع وجوده
 بانبهار ، على الرغم من أننا بالنسبة إليه زملاء عمل ، نواجه
 المخاطر مثله ، وندرك أنه هناك جانب مظلم من الحياة ، ولكن أى
 شخص عادى يجهل هذا الجانب تماماً ، بل إنه لا يومن حتى بوجوده ،
 ويتصور أن المطاردات والقتال اليدوى ، والانفجارات ، وتبادل

النيران ، كلها لا تحدث إلا فى أفلام السينما .. والسينما الأمريكية
 وحدها .
 هز كتفيه ، وقال :
 - هذا أمر طبيعى ، فكيف يمكنك إقناع مواطن عادى ، يعمل من
 الثامنة صباحاً ، وحتى الثانية بعد الظهر ، ثم يعود ليتناول طعام
 الغداء ، ويشاهد التلفزيون حتى منتصف الليل ، بوجود مواطن
 آخر ، يقضى ليلته فى طائرة مقاتلة ، ونهاره فى أعماق البحر ،
 ويطارده قنلة محترقون ، من الظهر إلى المساء ؟
 ضحكت قائلة :
 - لا يمكنك إقناعه أبداً .
 ابتسم متسائلاً :
 - هل تعنى هذه الضحكة الصافية أنك قد استعدت نشاطك ؟
 أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت وهى تعتدل فى مجلسها .
 - هذا صحيح .. والان أخبرنى ماذا فعل (أدهم) ، ليجو من
 الصاروخ الثانى ، الذى أطلقته عليه (ناديا) .
 سألتها فى شغف :
 - ماذا تتوقعين أنت ؟
 حركت أصابع كفها ، وهى تقول :
 - أن تتسف (ناديا) القاطرة بصاروخها ، ثم تكشف بعدها أن
 (أدهم) و (بوشكا) قد غادراها قبل نسفها ، وعدا أدراجهما إلى
 مدخل السفق .
 ابتسم وهو يسألها :

- وما الذى يفعله (أدهم) بعد ذلك ؟ .. هل يعدو أمام الهليكوبتر ، وهى تطارده ، وتطلق عليه نيرانها ؟ عفت حاجبها ، واستغرقت لحظات فى التفكير ، ثم قالت :
- لا .. لا يمكنه أن يفعل هذا .
ضحك (قدرى) فى جذل ، وكأنها أخطأت حل مسابقة طريفة ، وقال :
- هذه أفضل صفات (أدهم) .. لا يمكنك توقع خطواته أبدا . ابتسمت قائلة :
- حسن أيها المتحذلق . ما الذى فعله (أدهم) هذه المرة ؟ رفع سبائته أمام وجهه ، وهو يقول :
- لقد فاجأ (ناديا) .
سألته فى فضول :
- كيف ؟
اعتدل فى مقعده ، والتقط نفسا طويلا ، و ...
وواصل روايته ..

★ ★ ★

كانت مسألة وقت ..
وفى مثل هذه المواقف ، يكون الرابع عادة هو من يجيد استغلال الوقت ، والتعامل معه على أفضل وجه ممكن ..
و (أدهم) استأذ فى هذا المجال ..
لقد انتظر فى صمت وسكون ، وهو يراقب نهاية العمر فى انتباه كامل ، وشاركته (بوشكا) و (ميرزا) صمته ، دون أن يدركا

ما ينوى الإقدام عليه ..
ثم ظهرت هليكوبتر (ناديا) ..
ظهرت عندما انخفضت ، لتضع السق فى مستوى بصرها ، وتحدد هدفها ، قبل أن تطلق نحوه صاروخها الثاسى .
وفى نفس اللحظة التى ظهرت فيها ، هتف (أدهم) .
- الآن .
ودفع نراع الحركة إلى الأمام ..
وبأقصى سرعة ..
وفى المعتاد ، تحتاج القاطرة إلى بضع لحظات لتتحرك ، ولكنها - فى هذه المرة - كانت قاطرة منفصلة ، لا تجر أية عربات ، ومحركاتها تعمل بالفعل ..
لذا فقد استجابت له على الفور .
وفوجئت (ناديا) بالقاطرة تتدفع نحوها ، فارثع حاجباها ، وهتفت وهى تجذب عصا القيادة ، فى محاولة للارتفاع ، فرارا من القاطرة :
- لقد كانت خدعة .
وارتفعت الهليكوبتر بالفعل ..
ولكن ليس إلى الحد الكافى ..
لقد بلغت القاطرة قاعدتها ، فى اللحظة الأخيرة ، واصطدمت بها فى عنف ، ثم دفعتها أمامها بضعة أمتار ، قبل أن تقذفها جانبيا ، وتواصل طريقها بسرعة كبيرة ، ومن داخلها تمتد صرخة متصلة من (بوشكا) ، تبدو وكأنها بلا نهاية ..
(ناديا) أيضا أطلقت صرخة عيفة طويلة ..

ولكنها لم تكن صرخة رعب ..
كانت صرخة غضب ..
وهزيمة ..

لقد حاولت الفرار بالهليكوبتر ، عندما انتهت إلى الخدعة ،
ولكنها لم تنجح في الارتفاع بالقدر المناسب ، وشعرت بارتطام
القاطرة بقاعدة الهليكوبتر برحبها في عنف ، فصرخت ثائرة :
- لا .. ليس مرة أخرى .
رذدت صرختها طوال الوقت ، وامتزجت بصرخة (بوشكا) ،
حتى سقطت الهليكوبتر جانباً ، وتحطمت مروحتها العلوية ،
وانقلبت على جانبها وسط الثلوج ..
ولكنها لم تنفجر ..

وفي فرحة عارمة ، هتفت (بوشكا) :
- أنت عبقرى أيها الوسيم .. إننى لم أتوقع هذا قط . أنت أول
رجل في العالم يهزم هليكوبتر بقاطرة .. أنت جعلتنا ننجو
وشاركت (ميرزا) سيدتها فرحتها ، فراحت تتفاخر حولها ،
وتتبع في سعادة ، فقال (أدهم) في رصانة :
- أظن أنه من القسوة أن أفسد سعادتك يا (بوشكا) ، ولكن
الواقع أن النجاة أمر ما يزال بعيد المنال ، حتى وقتنا هذا .
تلاشت فرحتها دفعة واحدة ، وهي تسأله :
- لماذا ؟

أجابها في خفوت :

- الرحلة إلى (ليننجراد) تستغرق ست ساعات في المتوسط ،

لم نقطع منها أكثر من ساعتين حتى الآن .
بدت عليها خيبة الأمل ، وهي تقول :
- حقاً ؟

أجاب بسرعة :

- هذا لا يعنى أننا نحتاج إلى أربع ساعات ، حتى نصل إلى هناك ،
فلقد تخلصنا من كل عربات القطار ، ونحن ننطلق بأقصى سرعة
للقاطرة المنفردة ، وهذا يعنى أننا نستطيع ادخار ساعة على الأقل ،
أى أننا نحتاج إلى ثلاث ساعات ، لبلوغ (ليننجراد)
قالت في أسى :

- وهل تظنهم يمنحوننا هذه المهلة ؟

هز رأسه نقياً ، وقال :

- ولا ساعة واحدة ، ولكننا سنواصل الانطلاق بأقصى سرعة ،
حتى نجد وسيلة أخرى .
ثم ابتسم ، مستطرداً :
- ما دامت القضايا تحتمل .

لم يكن بدرى لحظتها أن (ناديا) قد نجحت في الخروج من
الهليكوبتر المحطمة ، ببعض الرضوض والكدمات فحسب ، وبدت
شديدة الحنق ، وهي تقول :

- لقد فعلها .. فعلها معي مرة ثانية .

ثم انتزعت باب الهليكوبتر في عنف ، وضغطت زر الاتصال ،
في جهاز اللاسلكي ، مستطردة في توتر :

- أرجو أن يكون هذا اللاسلكي اللعين سليماً ، بعد كل هذا .

رأت مصباح إتمام الاتصال الصغير يتألق ، أعلى الجهاز ،
 فضغطت الأزرار بسرعة ، وقالت :
 - هنا (ناديا مينوفيتشي) . أريد الفرقة التاسعة ، من دوريات
 الثلوج .
 مصت لحظات ، كزرت خلالها النداء ، قبل أن يأتيها صوت
 جاف ، عبر جهاز اللاسلكي ، قائلاً :
 - من الفرقة التاسعة إلى الرفيق (ناديا) . تم الاتصال ، ماذا
 تريدان ؟

قالت وقد استعادت صوتها البارد الجاف :
 - أريد سيارة على وجه السرعة ، لتلتقطنى من المنطقة ألف
 وسبعة ، إلى جوار شريط القطار السريع ، أو هليوكوبتر ، لو توافر
 هذا .. وفى الوقت نفسه أرسل عددًا من رجالك فوراً ، لنسف شريط
 القطار ، فى المنطقة رقم ألف وسبعة عشر .
 قال قائد الفرقة التاسعة فى صرامة :
 - ينسفون ماذا ؟ .. هل تدركين منطبيته بالضبط أيتها
 الرفيق ؟ . إن نسف شريط القطار هذا يعنى توقف رحلات السكك
 الحديدية ليومين على الأقل ، و ...
 صرخت فيه :

- نفذ ما أمرك به أيها الرفيق العقيد ، فإنا أحمل تفويضاً رسمياً
 شاملاً ، بفعل كل ما أراه صواباً ، مهما كن الثمن ، وكل ما عليك هو
 التنفيذ فحسب ، وماتحمل انا المسؤولية كاملة .. هل تفهم ؟
 مضت لحظة من الصمت ، ثم أتتها صوته ، وهو يقول فى
 صرامة :



« يكن بدري خطاب ان ناديا ، قد تحدثت فى الخروج من هليوكوبتر عظيمة .
 بعض الرضوخ والكلمات فحسب ، وبنتت جديدة الحق »

- فليكن .. أنت ستحملين المسئولية كاملة . سأرسل لك
الهنريوكوبتر بعد قليل .

أنهت الاتصال بعنف ، ثم عدلت زيها العسكري ، وهي تتطلع في
نقمة إلى شريط الفطار ، الذي يبدو وكأنه يمتد إلى قلب الجليد
بلانهاية ، وقالت في غضب :

- فليكن أيها الجاسوس .. لقد أثبت أنك لست رجلاً عادياً ، بل
داهية يفوق الفهد قوة ، والذئب عناداً ، والثعلب مكرًا ، ولكن هذا
لا يعنى أنك ستربح المعركة في النهاية ، فأنت تلعب في ملعبنا ،
ومهما بلغت مهارتك ، فالنهاية واحدة .. إننى سأسحقك .

وأطبقت سبابتها وإبهامها ، مضيفة في كراهية :
- أسحقك سحقاً ..

★ ★ ★

لم يرفع (أدهم) عينيه عن الطريق لحظة واحدة ، وهو ينطلق
بالقاطرة بأقصى سرعة ..

كان يدرك تماماً أنه سيتعرض حتماً لهجوم في أية لحظة ، ولكنه
لا يدري ما الذى يمكن أن يفعله بالضبط ، لو تحلق هذا ؟ !

كان في رأيه يرتكب أكبر حماقة في حياته ، ولكن جبال الجليد ،
التي تحيط به من كل جانب ، والتي تمتد إلى مرمى البصر ، لم تكن
تمنحه حلاً بديلاً .

أما (بوشكا) ، فقد احتضنت (ميرا) ، واتكملت معها في ركن
القاطرة ، وكلتاها ترتجف برذاً ، بعد أن تحطمت نوافذ القاطرة .

وصارت أشبه ببراد كهربي ..

وفي غضب ، قالت (بوشكا) :

- من يصدق هذا ؟ .. من يصدق أن (بوشكا) ، الممثلة الأولى ،
التي كانت في طريقها لحضور العرض الأول لفيلمها الجديد ، ينتهى
بها الأمر داخل قاطرة محطة النوافذ ، مطاردة من الجميع ،
ومتهمة بالخيانة العظمى ؟ !

غمغم في خفوت :

- لا يمكنك توقع مستقبلك ، في بلد مثل (الاتحاد السوفيتى) .

قالت في حنى :

- كلهم أوغاد .

ومسحت دموعاً مريرة ، سألت على وجنتها الجميلة ، قبل أن

تستطرد غاضبة :

- هل تعرف كل هؤلاء الدين يتشدقون بالمبادئ الشيوعية ،

والمساواة ، وملكية الدولة ؟ . لقد عايشتهم بنفسى ، ورأيت كيف

يفرقون في ترف بلا حدود ، يفوق حتى ما يتمتع به أعنى

الرأسماليين ، في الغرب . نفس الترف الذى يهاجمونه في

شراسة ، عندما يتحدثون إلى الشعب الممكنين

قال (أدهم) في إشفاق :

- تبدين وكأنك قد عانيت منهم الكثير .

قالت في غضب :

- بل الكثير جداً .

وتركت دموعها تنهمر بضع لحظات ، قبل أن تصيف .

- لقد مات أبي في (سيبريا) .

لم تكن تحتاج لقول المزيد ، ليفهم (أدهم) مأساتها كلها ..
ولم يسألها هو المزيد ..

لقد اكتفى بمشاركتها صمتًا قليلًا ، ران على العربة ، بعد أن
نطقت جملتها ، إلى أن قطعتة هي ، قائلة :

- والعجيب أنه لم يكن مناهضًا للدولة ، أو لنظام الحكم ، بل كان
مهندسًا لطيب القلب ، حلو المعشر ، ترعرع في ظل النظام
الشيوعي ، وأقنى فيه عمره ، وهو يتعامل معه في حماس شديد .
حتى جروا يومًا على مناقشة فكرة هندسية ، طرحها مسئول الحزب ،
الذي انقطعت صلته بالهندسة ، منذ أنهى مرحلة دارسته
المتوسطة .. ولم تكن هذه المناقشة سياسية ، بل مجرد رأى فنى ،
طرحه وهو يهتم بامتصاصه العذبة .

وشهقت لحظة ، ثم تابعت في حلق :

- وقبل أن تشرق شمس الصباح التالى ، كانوا قد انتزعوه من
فراشه ، واصطحبوه معهم ، ثم .

صمتت لحظة أخرى ، والتقطت نفسًا عميقًا ، ثم أضافت .

- ثم لم أره بعدها قط

سألها (أدهم) :

- كم كان عمرك ، عندما حدث هذا ؟

مسحت دموعها ، وهي تقول :

- كنت في الخامسة من عمري .

سألها :

- ومتى حدث هذا بالضبط ؟

فتحت فمها ، وكأنها تهتم بقول شيء ما ، ثم لم تلبث أن عقدت
حاجبيها ، وهي تقول فى حزم :

- لا .. لن أخبرك .

أدهشته ذلك التحول المبالغت في مشاعرها ، وشعر أنها ، على
الرغم من سنوات عمرها ، التى لم تبلغ الثلاثين بعد ، مجرد طفلة
كبيرة متقلبة المشاعر ، فاهتم مشفقًا ، وهو يقول :

- كان سؤالى سخيفًا ، أليس كذلك ؟

قالت فى حدة طقونية :

- بالتأكيد .

أطلق ضحكة قصيرة ، بذت توتر الموقف ، وقال :

- كم تدهشنى شخصيتك يا (بوشكا) .

سألته فى لهفة :

- لماذا ؟

انتظرت جوابه لحظات ، ولكنه لم يجب ، فكررت سؤالها :

- لماذا تدهشك شخصيتى ؟

فوجئت به بحتطف المدفع الالى ، وهو يقول فى حزم :

- تشبثى جيدًا .

هزفت مدعورة :

- لماذا ؟ .. لماذا أيتها الوسيم ؟

لم يجب عن سؤالها ، وهو بصوب مدفعه إلى فريق عسكري من
عشرة رجال ، يقفون على مسافة نصف كيلو متر ، ومدافعهم

مصوبة إلى القاطرة .

ثم سمع صيحة عنيفة تهتف :

- أطلقوا النيران .

كانت أصابع الجنود متحيزة لإطلاق النار ، مع آخر حرف من

حروف نداء القائد ..

أما (أدهم) ، فقد بدأ مع الحرف الأول ..

وانطلقت النيران من الجانبين ..

بل من أربع جوانب ، فقد كشف (أدهم) ، في لحظة إطلاق

النار ، أنه يواجه عشرين رجلا لا عشرة ، ولكن العشرة الباقين كانوا

قد انقسموا إلى فريقين ، يحاصرانه من الجانبين ، ويشاركان

زملاءهما إطلاق النيران ..

وكالمعتاد ، راحت (بوشكا) تصرخ في رعب ، والرصاصات

تتهمر كالمنظر ، وتعبّر النوافذ المحطمة ، لتضطرم بالجدران

المعدنية ، وترتد عنها عشوائيا ..

أما (أدهم) ، فراح يطلق النيران بلا هوادة ، ويصيب الأسلحة

والأجساد ، أملا أن تتجاوز القاطرة هذا الكمين ، يترك السرعة

البالغة ، التي ينطلق بها ..

وعبر الخمسمائة متر ، التي قطعها القاطرة ، أصابت رصاصات

(أدهم) سبعة من الجنود ، وأطاحت بأسلحة خمسة آخرين ، و .

ونفذت الرصاصات ..

فجأة وبدون مقدمات ، توقف مدفعه الآلى عن الإطلاق ، وأصبح

عليه أن يتلقى الرصاصات فحسب .

وليت الأمر يقتصر على هذا ..

لقد انتبه (أدهم) بغتة إلى أن القضبان لا تمتد أمامه كما ينبغي ،

بل توجد على بعد عشرة أمتار منه فقط فجوة ، تقطع الطريق ،

وتلتوى على جانبيها أجزاء محطمة من القضبان ، التي نسفتها

الفرقة التاسعة ، بناء على أوامر (ناديا) ..

وصاح (أدهم) في (بوشكا) :

- تشبثي جيدا .. سنخرج عن الخط .

صرخت في رعب ، ونهت معها (ميرا) ، وجذبها (أدهم)

إليه . في نفس اللحظة التي بلغت فيها القاطرة نهاية القضبان

السليمة ..

ثم قفزت لتجاوزها ..

خارج الخط .

١٦ - مرحلة الثلوج ..

حلقت هليوكوبتر صغيرة ذات مقعدين ، فوق شريط المسكك الحديدية ، وتطلع قائدها إلى (ناديا) ، التي وقفت إلى جوار طائرتها المحطمة ، تشير إليه بيدها ، فلوح بإبهامه ، ودار دورة ضيقة ، ثم هبط على بعد أمتار قليلة منها ، وهو يقول :

- مرحباً أيتها الرفيق .. لقد حضرت بأقصى سرعة ممكنة .

أسرعت إليه ، وهي تقول في صرامة :

- هذه السرعة القصوى أضاعت نصف ساعة كاملة ، ثم ما هذه

الهليوكوبتر .. إنها لا تصلح حتى لصيد الثعالب

هز كتفيه ، وقال :

- نحن لانستخدمها بالتاكيد لصيد الثعالب ، ثم إنها ليست

هليوكوبتر حربية ، وإنما تستخدم للمراقبة فحسب

احتلت مقعدها إلى جواره ، وربطت حزام المقعد ، وهي تقول :

- هل يوجد مطار حربي قريب ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. على مسيرة ساعة واحدة .

عقدت حاجبيها ، وهي تقول :

- أتعلم أن نجد به هليوكوبتر حربية .

هز الطيار كتفيه مرة أخرى ، واستعد للإقلاع ، ولكنها هتفت به

بغثة :

- انظر .

رفع عينيه إلى حيث تتطلع هي ، ورأى سيارة تقرب في سرعة ، و (ناديا) تتابعها في اهتمام شديد ، ثم رآها تحل حزام المقعد ثانية ، وتتزع مصدسها ، ثم تهبط من الهليوكوبتر ، وتنتظر قدوم السيارة ، التي واصلت مسيرتها بنفس السرعة ، حتى توقفت على قيد متر واحد منها ، وبرز منها رجل يرتدى الثياب العسكرية السوفييتية ، ابتسم في برود ، وهو يقول :

- اهـ بالها من مفاجأة طريفة .. كيف حالك يا عزيزتى

(ناديا) ؟

اتعقد حاجباها ، وضاعت عيناها ، وهي تقول :

- أفضل منك بالتاكيد أيها الرفيق (شلينكو) .

ابتسم في سخرية ، وقال :

- ماذا أصاب طائرتك القوية أيتها الرفيق (ناديا) ؟ هل

اصطدمت بحاجز الواقع ، ولم تحتل الحقيقة ؟

قالت في صرامة :

- بل اشتمت رائحتك عن بعد ، فتهارت من فرط الاشمزاز .

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

- عظيم . إنك فالرفيق (ناديا) تمتلك القدرة على السخرية

والمزاح . ياله من تطور رائع . ولكن ماذا عن ذلك الجاسوس .. ؟

هل يرتبط وجوده براحتي ، أم أنك أسقطت طائرتك بالجهود الذاتية ؟

بدا الغضب على ملامحها ، وهي تقول في حزم :

- ماذا تفعل هنا يا (شلينكو) ؟

لوح بكفه ، قائلا :

أفعل مثلما تفعلين أيتها الرفيق .. أطارد الجاسوس .

ازداد انعقاد حاجبيها في غضب شديد ، وهي تقول :

- ومن منحك هذا الحق ؟

مال نحوها ، حتى شعرت بأنفاسه ترتطم بوجهها ، وهو يقول في

لهجة مستفزة ، تجمع ما بين السخرية والشماتة .

- الرئيس : الرفيق الرئيس شخصياً .

احتقن وجهها في حلق غاضب ، في حين تراجع هو مبتسماً ،

وهو يستطرد :

- هل من اعتراض ؟

مضت لحظات ، وكل منهما يتطلع إلى عيني الآخر في تحد

وصرامة ، ثم أجابته (ناديا) :

- كلا .

قالتها واستدارت عائدة إلى مقعدها في الهليكوبتر ، وربطت

حزام مقعدها في حزم ، وهي تستطرد :

- ولكننا سنشارك في مطاردة واحدة ، والمفروض أن يكون بيننا

نوع من التنسيق والتعاون

عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يسأل :

- وماذا تقترحين ؟

ارتسمت على ركن شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهي تجيب :

- أن تنطلق بميارتك بأقصى سرعة ممكنة ، حتى يمكنك اللحاق

بدورك في السباق ، فلن يمكننا نحن أن نخفض سرعة الهليكوبتر .

وأشارت إلى الطيار ، قائلة :

- هيا .. لقد أضعنا الكثير من الوقت .

انعقد حاجبا (شلينكو) في غضب ، عندما رأى الهليكوبتر

ترتفع ، وقال في حدة :

- وماذا عن التعاون والتنسيق ؟

ابتسمت في سخرية ، قائلة :

- ألم تقل : إنني أصبحت قادرة على المزاح ؟

تفجر الغضب من عينيها ، والهليكوبتر تبتعد بسرعة ، ثم عاد

إلى سيارته في خطوات سريعة ، وقلز داخلها ، هاتفاً في حلق :

- فليكن أيتها الرفيق (ناديا) .. من يضحك أخيراً يضحك كثيراً .

وانطلق بالسيارة بأقصى سرعة بالفعل ، وقد تضافرت مشاعره

كلها ضد هدف واحد ..

(أدهم صبرى) .

★ ★ ★

اندفعت القاطرة خارج القضبان ، وانطلقت لدقيقة أو يزيد فوق

الجليد ، الذي تناثر من حولها في عنف ، والجنود يواصلون إطلاق

النيران نحوها في شراسة ، ثم لم تلبث أن مالت على جانبيها ، ثم

سقطت بدوى عنف ، وانزلقت عدة أمتار أخرى ، قبل أن توقف

تماماً ، وسط غبار جليدي أبيض ، تماثلت فوقها في بطاء ..

ورآن صمت رهيب ..

الجنود توقفوا عن إطلاق النيران ، والقاطرة استقرت على

جانبيها ، لا ينبعث منها أدنى صوت ، حتى نباح (ميرا) .

وفي حزم ، أشار القائد لمن تبقى من جنوده ، فالتفت بعضهم حول القاطرة ، ووقف البعض الآخر على بعد أمتار منها ، والجميع يصوبون إليها مدافعهم في تحفظ ..

وقال القائد في لهجة أمرة :

- (بابيلوف) .. استطلع الأمر .

انفصل أحد الجنود عن رفاقه ، واتجه نحو القاطرة ، وتعلق بها ، ثم صعد إلى الجانب العلوي منها ، وانحنى في حذر يتطلع عبر نافذتها المحطمة ، ومدفعه متاهب للانطلاق ، و ...

وفجأة ، امتدت يد (أدهم) عبر النافذة ، وأمسكت ماسورة المدفع ، ثم جذبت الجندي إلى الداخل ، و (أدهم) يقول في سخرية :
- مرحباً أيها الوغد .

ولم يكد الجندي يسقط داخل القاطرة المقلوبة ، حتى حطمت قبضتها (أدهم) أنفه وفكته ، وأسقطته فاقده الوعي وفي الخارج ، رأى الجنود زميلهم يختلج داخل القاطرة ، وصاح بهم قائدهم :

- أطلقوا النار .

وهنا أطلق خمسة عشر جندياً نيران مدافعهم الآلية بلا هوادة ، نحو القاطرة المقلوبة ، وقد أصابهم اختفاء زميلهم بغضب لامثيل له ..

ولكن جسم القاطرة كان مصنوعاً من الصلب القوي ، الذي احتمل الرصاصات ، فهتف القائد :

- القنابل .. استخدموا قنابلكم .

انتزع الجنود قنابلهم اليدوية من أحزماتهم ، و ... وبرز (أدهم) من نافذة القاطرة المقلوبة ، وهو يحمل المدفع الآلي ، وألهمت رصاصاته على الجنود ، قبل أن يستخدموا قنابلهم اليدوية ..

وانفجرت القنابل في أيدي الرجال ، وأطاحت بهم في لحظات ، ولم يجد معظمهم الفرصة المناسبة لإلقاء قنبلة . ولكن بعضهم وجدها

ثلاثة رجال بالتحديد ، ألقوا قنابلهم نحو القاطرة ، فاستدار (أدهم) إلى القنابل الثلاثة في سرعة ، وأطلق نيران مدفعه نحو واحدة منها ، فنسفها في الهواء ، قبل أن تصل إليه ، وارتطمت الثانية بجدار القاطرة ، وتخرجت فوقه ثم استقرت أمامه ، في حين سقطت الثالثة داخل القاطرة ..

وكان (أدهم) يعلم أن أمامه ثلاث ثوان فحسب ، قبل أن تنفجر القنبلة ، فقفز إلى القاطرة من الداخل ، والتقط القنبلة ، ثم ألغاها بكل قوته عبر النافذة ..

وانفجرت القنبلة في الهواء ، في نفس اللحظة التي انفجرت فيها القنبلة الثانية ، إلى جوار الجدار الخارجي للقاطرة ، ورجتها في عنف ..

ثم كان ذلك الهدير القوي ..

هدير عنيف ، ملأ المكان كله ، وكاد يصم الآذان ، فارتفعت عيون الجميع إلى أعلى ، وصرخ أحد الجنود :
- القنابل .. لم يكن ينبغي أن نستخدمها

وصاح آخر ، وهو يعدو مبتعدا ، محاولا الفرار :
- الاتهيار .. لقد انهيار الجليد .

حاول المتبقون من الفرقة التاسعة الفرار ، من انهيار جليدى ،
أحدثه نوى قنابلهم ، عندما انفجرت عند سفح الجبل ، ولكن الجليد
سقط فوق رؤوسهم بكميات ضخمة ، وراح يدفعهم تحته بلا رحمة .
ولم يستغرق الاتهيار الجليدى سوى ثوان معدودة ، تحولت
المنطقة بعده إلى مقبرة جماعية ثلجية ، يسيطر عليها الصمت ..
ومن وسط الاتهيار ، برزت يد قوية ..

يد (أدهم) ..

لقد حمته القاطرة مع (بوشكا) و (ميرا) من ذلك الاتهيار ،
الذى دفن الباقين ، فراح يزيج الجليد عن النافذة ، ثم حمل
(بوشكا) الفاقدة الوعي ، و (ميرا) التى أخرسها الذعر ، عبر
النافذة ، وقفز بهما إلى الأرض ..

وعلى مسافة عشرين مترا ، وعلى الجانب الآخر من شريط
القطار ، رأى سيارة نصف مدرعة تحمل شعار الفرقة التاسعة ،
فأسرع إليها ، وفحصها فى اهتمام ..

كانت السيارة تتكون من مقصورة القيادة ذات المقعدين ، وخلفها
صندوق مصفح ، معز لجلوس الجنود ، فوق أريكتين خشبيتين ،
تعدّان على جانبيه ..

وبلا تردد ، عاد (أدهم) ليحمل (بوشكا) و (ميرا) ، وأرقد
الأولى داخل الصندوق الخلفى ، ووضع (ميرا) إلى جوارها ،
فنبحت لأول مرة ، منذ سقطت القاطرة ، والتصقت بسيدتها فى

خوف ، فتمتعت (بوشكا) :

- (ميرا) .. ماذا أصابك ؟ .. لماذا تنهين ؟ .. ألم تعد لك
(مارتينا) طعامك ؟

ثم ضمت ركبتيها إلى صدرها ، وهى تستطرد كالحالمة :
- لماذا أشعر بالبرد هكذا ؟ .. أشعل المدفأة يا (مارتينا) ..
أرجوك .. لئلى أرتجف .
شعر نحوها بشفقة شديدة ، وغمغم فى تعاطف ، وهو يضم
معطفها على صدرها :

- سنشعل المدفأة .. اطمئنى .

ثم انتقل إلى مقعد القيادة ، وأشعل المحرك ، وانطلق بالسيارة ..
كان الطريق أمامه مائزال طويلا ، وسط جليد بلانهاية ، يحيط
به من كل جانب ، كما لو كان أسوارا عالية ، تمنحه الشعور بأنه
مجرد أسير ..
أسير الثلوج .

★ ★ ★

ما هذا بالضبط ؟ .. ؟ .. ؟

نطق طيار الهليكوبتر هذا السؤال فى توتر شديد ، عندما تنهى
إلى مصامحه هدير قوى ، وارتفعت من بعيد سحابة بيضاء كثيفة ،
فالتفتت إليه (ناديا) ، وسألته فى قلق :

- ماذا حدث ؟

قال فى عصبية :

- كارثة .

سألته في صرامة :

- ما الذي تقصده بهذا المصطلح ؟

أجابها وهو يزيد من سرعة الهليكوبتر :

- من الواضح أنك لم تعملي أبدا في دوريات الجليد .. هذا الهدير

الذي سمعناه هو انهيار جليدي .. هل ترين تلك السحابة الكثيفة

هناك ؟ .. إنها قطرات من الثلج ، لا تستغري كثافتها وقتنا طويلا ، بل

تهبط بسرعة ، وينتهي كل شيء في لحظات ، ولكنه لا يعود أبدا كما

كان .

قالت في قلق :

- وما الذي يصنع انهيارا جليديا الآن ؟

أجاب بسرعة :

- هذا يتراوح من منطقة إلى أخرى ، فهناك مناطق لا تحدث فيها

انهيارات جليدية قط ، لأن جبالها تنحدر انحدارا بسيطا ، يمتد

لمسافات طويلة ، وفي مناطق أخرى يكفي إطلاق رصاصة واحدة ،

ليحدث انهيار جليدي عنيف . وبين هذا وذاك ، تختلف درجات

الانهيار ومسبباته .

انعقد حاجباها لحظات ، ثم قالت في حزم :

- أسرع أيها الرفيق .. أسرع .

قال في عصبية :

- وما الذي تتصورين أنني أفعله ؟

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كانت الهليكوبتر تحلق فوق منطقة

الانهيار ، وهتف الطيار في ارتياح :

- الفرقة كلها .. لقد دفن الانهيار الفرقة كلها .

وأشارت هي إلى نقطة في منتصف المكان ، مضيفة :

- أليست هذه هي القاطرة ؟ إنها مقلوبة .. أراهن أن وجودها

يرتبط بسبب الانهيار .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

- لو أنهم استخدموا قنابلهم .. نعم .. ربما .

هبط بالهليكوبتر على الجانب الآخر لشريط القطار ، وأسرع مع

(ناديا) إلى حيث انهيار الجليد ، وراح يحفر الجليد بكفيه ، هتفا :

- باللكارثة ! .. الفرقة كلها انتهت . الفرقة كلها .

أما (ناديا) ، فقد اتجهت مباشرة إلى القاطرة المقلوبة ، وقفزت

صاعدة إليها ، وتطلعت داخلها ، ثم قالت في غضب :

- اللعنة ! .. إنه ليس هنا .

أدارت عينيها في المكان بسرعة ، حتى توقفتا عند آثار أقدام

(أدهم) على الثلوج ، فقفزت من فوق القاطرة ، وراحت تتابع

الآثار ، وهي تقول :

- آثار غائرة . لقد كان يحمل شيئا . أظنه (بوشكا) على

الأرجح .. ولقد عبر شريط القطار ، و ..

توقفت متطلعة إلى آثار السيارة ، التي تبتعد بمحاذاة القضبان ،

ثم التفتت إلى الطيار ، وقالت :

- أسرع أيها الرفيق .. لابد أن نلحق به .

هتف الطيار في انفعال :

- ليس الآن .. شقيقي وكل رفاقي هنا ، تحت الثلوج

صاحت به :

- لقد لقوا مصرعهم جميعاً .. ألا تذكر هذا ؟ .. تخلّ عن غبالك هذا ، وهلم بنا نطارده تلك الجاسوس ونلحق به ، قبل أن يبتعد كثيراً .
قال في حدة :

- لن أتحرّك من هنا ، قبل وصول فريق الإنقاذ .
انعقد حاجباها في غضب ، وهي تقول في صرامة :
- ستطلق بالهليكوبتر على الفور .. هذا أمر .
تجاهلها تماماً ، وهو يواصل الحفر في عصبية ، فقالت :
- فليكن .. سأذهب وحدي .

استدارت متجهة إلى الهليكوبتر ، ولكنه هبّ واقفاً ، وانتزع مسدسه ، قائلاً في حدة عصبية :

- لن أسمح لك .
التفتت إليه في بطء ، وهي تقول في لهجة قاسية :
- هل تجرؤ على مخالفة الأوامر ؟
قال في توتر شديد :

- لست ألتقي الأوامر إلا من قائدي ، وهو مدفون الآن تحت الجليد .

قفزت فجأة تركل مسدسه ، هاتفة :

- فلتلحق به إذن .
حاول الطيار استعادة مسدسه ، ولكنها ركلته في عنقه بعنف ، ثم لكمته في أنفه ، وانتزعت مسدسها تلتصقه بصدغه ، وهو يلهث قائلاً :

- فليكن .. إنني أستحق محاكمة عسكرية .

هزت رأسها نفياً ، وهي تقول :
- كلا يا فتى .. أنا امرأة عملية ، أصدر الأحكام وأنفذها مباشرة
اتسعت عيناه ، وهو يهتف :

- ولكن ...
ولم يتم عبارته قط ..
لقد أخرسته (ناديا) بشكل وحشي مباشر ، عندما ضغطت زناده مسدسها ، ونسفت رأسه بلارحمة .

وفي هدوء ، أعادت مسدسها إلى غمده ، في نفس اللحظة التي سمعت فيها من خلفها صوت تصفيق ، فالتفتت إلى مصدره في سريعة ، وهي تهتم بانتزاع مسدسها مرة أخرى ، ولكنها رأت أمامها (شلينكو) ، يقف إلى جوار سيارته ، وهو يقول ساخرًا :

- باللروعة ! .. أهكذا تتعامل الحارسة الخاصة مع من يرفض طاعة الأوامر ..

انتزعت مسدسها بالفعل ، وصوبته إليه ، قائلة :

- ومع كل من يثير حنقي .
قال في سخرية :

- هل تنوين قتلي أيضاً ؟
قالت في صرامة :

- الفكرة تبدو جذابة .
قال في بطء وحزم :

- بالتأكيد .. ولهذا اتخذت الاحتياطات اللازمة ، وأحضرت هذا

وانتزع بحركة سريعة مدفعا ضخما من سيارته ، وهو يستطرد
- مارأيك ؟.. مسدسك أمام مدفعي .

بدا عليها الغضب لحظة ، قبل أن يستعيد وجهها برودته
التقليدية ، وتعيد مسدسها مرة ثانية إلى غمده ، قائلة :
- ليس لدى وقت لك الآن سننهي مهمتنا ، ثم تصفى حساباتنا
فيما بعد .

واتجهت إلى الهليوكوبتر ، فقفز إلى سيارته ، وقال :
- أما يزال السباق مستمرا ؟

أدارت محرك الهليوكوبتر ، وارتفعت بها ، قائلة في برود :
- سينتهي فوق جنة ذلك الجاسوس ،
انطلقت بالهليوكوبتر ، وانطلق هو بسيارته .
وبدأت مطاردة جديدة ..

★ ★ ★

نسلق القلق إلى أعماق (أدهم) تدريجيا ، وهو ينطلق بالسيارة
نصف المصفحة ، بمحاذاة شريط القطار ..
لم بعد الأمر معكنا ، كما كان من قبل .
لقد كشفوا معاوية (بوشكا) له ، وأصدروا أمرا باعتقالها ،
وطاردوه طوال الطريق ، بكل قوتهم وشراستهم ..
وهذا يعني الكثير .

يعني أن الخطر سيتضاعف في كل خطوة ..
وأن الجميع يعرفون وجهته ..
وهذا يفسد كل شيء أيضا ..

لم بعد من الممكن أن يعضى في طريقه كما كان ، بل عليه أن
يجد طريقا آخر ، ووسيلة جديدة للخروج من هذا الموقف ..

ولكن كيف ؟...

ولين ؟..

راح يسترجع معلوماته الجغرافية عن (الاتحاد السوفيتي)
وحدوده ، ويحاول البحث عن وسيلة جديدة ، أو ...
وفجأة توقفت أفكاره كلها ، وقفرت قدمه إلى فرامل السيارة ،
مع صوت مباغت ، صك مسامعه بلا مقدمات ..

وكان هذا الصوت هو صرخة ..

صرخة انطلقت من الصندوق الخلفي ، حاملة صوت الممثلة
السوفيتية الأولى ..
صوت (بوشكا) .

★ ★ ★

١٧ - عضه الثلج ..

وقف (إيزاك) جامدا كالتمثال ، أمام رجل الأمن السوفيتي ، الذي راجع جواز سفره الدبلوماسي للمرة الخامسة ، قبل أن يهز رأسه في حلق ، قائلا :

- إذن فأنت تحوز حصانة دبلوماسية ، بحكم منصبك .

أجابه (إيزاك) في صلابه :

- هذا صحيح .

مط رجل الأمن شففيه محققا ، وهو يقول :

- كم أكره هذه القواعد الدبلوماسية السخيفة ، التي تعطى وغدا مثلك حق العيث في بلادنا ، وارتكاب مالا يجرو على فعله أى مواطن سوفيتي عادى ، ثم يبرز جواز سفر أحمر ، ويعود إلى سفارته لا مباليا ، دون أن نمتلك حق قطع رقبته ، وإلقائه خلف القضبان .

هز (إيزاك) كتفيه ، وقال :

- الجميع يتمتعون بهذه الحقوق ، فى كل بقاع العالم ، فالقواعد واحدة لكل .

قال رجل الأمن فى حدة ؟

- للأسف .

ثم مال نحو (إيزاك) ، مستطرذا :

- ولكن هذا لا يعنى أنك الرابع .. لقد اتصلت بالروساء فى (موسكو) ، وأخبرتهم بأمرك ، وقلوا : إنهم سيرسلون خطابا

شديد اللهجة إلى سفارتك ، يعلنون فيه أنك شخص غير مرغوب فيه ، مما يحتم رحيلك إلى وطنك بأقصى سرعة .

بقى (إيزاك) صامدا جامدا ، وكأنما لا يعنيه الأمر ، فاعتدل رجل الأمن ، وأشار إلى أحد رجاله فى صرامة ، وهرع إليه الرجل ، فأشار إلى (إيزاك) ، وهو يقول :

- خذ هذا الرجل ، وعد معه إلى (موسكو) مباشرة ، تحت حراسة خاصة ، وسلمه إلى سفارته .

أدى الرجل التحية ، وأسرع بعد السيارة لنقل (إيزاك) ، الذى ابتسم فى سخرية أحنقت رجل الأمن أكثر ، فقال فى حدة :

- أريد أن تعرف أننى لا ألجأ إلى هذا إلا مرة واحدة ، وفى المرة القادمة سنطلق النار عليك مباشرة ، ثم نرسل اعتذارا رقيقا لسفارتك ، نقول فيه : إننا لم نعثر على جواز سفرك الدبلوماسي ، إلا بتفتيش جنتك .. هل تفهم ؟

أجابه (إيزاك) فى برود :

- هذا لو كانت هناك مرة أخرى .

احتقن وجه رجل الأمن السوفيتي ، وهتف برجاله :

- هيا .. خذوه من هنا . لقد منعت النظر إلى وجهه .

اصطحب رجلان من رجاله (إيزاك) إلى سيارة حربية ، يقودها جندي ، ويجلس فى مقعدها الخلفى جنديان ، وجلس (إيزاك) إلى جوار السائق ، الذى انطلق بالسيارة على الفور ، فى حين صوب الجنديان مدفعيهما إلى (إيزاك) .

ولم تكد السيارة تبعد عن مرمى بصر مكتب الأمن ، حتى التفت

(إيزاك) فى هدوء إلى أحد الحديدى خفه . وساله

- أجد لديك سيجارة جيّدة الصنع ؟

أجابه الجندى فى حذر :

- لدى سجانر سوفيتية فقط . إنها أفضل أنواع السجانر . و

قاطعه (إيزاك) :

- لا بأس . احتفظ بوظيفتك لنفسك . وأعطني السيجارة

خلف الجندى فوهة مدفعه لحظة . ليبتلع سجانره من جيبه ، ولم

يكذب . حتى تحرك (إيزاك) فى سرعة ، وارتفعت يده تقبض على

ماسورة مدفع الجندى الآخر ، والصق فوهتها بصدر الجندى الأول ،

فى حركة مباغتة عنيفة ، جعلت الجندى يضغط زناب مدفعه ، لتنتقل

رصاصاته ، وتحترق صدر زميله ، دون أن يقصد

وجحظت عينا الجندى ، الذى لم يجد الوقت لينتقل علبة السجانر

من جيبه ، فى حين انتزع (إيزاك) المدفع من الآخر ، وضربه

بكمبه فى فكه بأقصى قوة ، ثم أداره فى يده ، وأطلق نيرانه لينسف

رأس الجندى ..

وجحظت عينا السائق ، وهو يرى (إيزاك) ، بفنل زميله ، بهذه

السرعة والقسوة ، وهتف فى رعب شديد :

- أنا لم أفعل شيئا .. لست مسئلا .

صاح به (إيزاك) فى صرامة :

- أوقف السيارة .

ضغط السائق (فرامل) السيارة على الفور ، وهو يكرر

- لست مسئلا .. أقسم لك .

توقفت السيارة على جانب الطريق ، فصاح به (إيزاك)

- انزل .

قفز الرجل خارج السيارة ، ووقف يرتجف ، فقال (إيزاك) :

- هيا .. أخرج هاتين الجثتين من هنا .

أسرع الرجل يخرج حتى الحديدى ، وهو يقول مرتجفا :

- كما تأمر أيها الرفيق .. كما تأمر .

انتقل (إيزاك) إلى مقعد القيادة ، ثم صوب مدفعه إلى السائق ،

الذى ارتعد هائقا :

- أرحوك أيها الرفيق . لا تقنسى . أرحوك .

ولكن (إيزاك) أطلق النار بلا تردد ، وقتل الرجل بلا رحمة ، ثم

انطلق بالسيارة فى هدوء ، ودون أن يطرق له رمش ، حتى بلغ أحد

المطاعم الصغيرة ، فى بلدة شبه ريفية ، فأوقف السيارة ، ودخل

المطعم ، الذى توقف رواده عن تناول الطعام ، عندما رأوا سيارته

الحرسية ، وتصوروا أنه أحد رجال الأمن ، وخاصة عندما سأل

صاحب المطعم فى صرامة

- أين الهاتف ؟

أشار الرجل مرتجفا إلى الهاتف ، فأتجه إليه (إيزاك) مباشرة ،

وطلب رقم حجرة (أنثريه) فى السفارة ، ولم تمض لحظة ، حتى

سمع صوت (أنثريه) ، يقول :

- من المتحدث ؟

أجابه بسرعة :

- أه يا ياسيدى (إيزاك) لقد تخلصت من السوقيت .

واستوليت منهم على سيارة ، وسأوصل مطاردة ذلك الجاسوس .

قال (أندريه) فى توتر :

- اختصر حديثك .

ازدرد (إيزاك) لعابه ، وقال :

- فليكن .. قل لى ياسيدى .. ألم ينقل إليك جهازنا الصغير

حديثهم ، حول آخر موقع لنك الـ ...

قاطعه (أندريه) فى حدة :

- اصمت .

أطبق (إيزاك) شفتيه على الفور ، وشاركه (أندريه) صمته

لحظات ، ثم قال :

- دعك من كل هذا ، وعد إلى هنا مباشرة .

قال (إيزاك) فى دهشة :

- ولكن ياسيدى .. ذلك الـ ...

قاطعه (أندريه) مرة أخرى :

- إنه لن يذهب حيث يتوقعون .. لقد درست الأمر جيدا ، ولدى

فكرة مختلفة .

ثم أضاف فى حزم صارم :

- المهم أن تعود على الفور إلى هنا ، قبل موعد الطائرة .

قال (إيزاك) فى حيرة :

- هل سأعود إلى (إسرائيل) ؟

أجابته (أندريه) :

- كلا يا (إيزاك) .. لن تعود إلى (إسرائيل) ، بل ستسافر إلى

منطقة أخرى .. إلى حيث سيذهب الهدف ، وستكون نحن الفائزين

يا (إيزاك) .. نحن سنأكل التفاحة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حسم :

- حتى آخر قضمة ..

لم يكذ (أدهم) بسمع صرخة (بوشكا) المدوية ، حتى ضغط

(فرامل) السيارة بقوة ، جعلت السيارة تنزلق فوق الأرض المغطاة

بالجليد لحظات ، قبل أن تستقر بعرض الطريق الموازى لشريط

القطار ، وقفز منها حاملا المدفع الآلى ، وقنبلة انتزعها من حزام

الجندي السوفيتى ، الذى أفقده الوعي ، واندفع إلى الصندوق

الخلفى ، ووثب داخله ، وهو يقول متحفزا :

- ماذا حدث ؟

كانت (بوشكا) قد استعادت وعيها ، وجلست فى أرضية

الصندوق ، وهى تتطلع إلى كليها ، وتواصل صراخها ، ولم تكذ

تراه ، حتى هتفت :

- كارثة .. كارثة .

كرر سؤاله ، وهو يدبر عينيه فيما حولها حائزا :

- ماذا حدث بالضبط ؟

بدا صوتها غاضبا ثائرا ، وهى تقول :

- لقد فقت إظفرين من أظفارى .. لقد تحطما .

شعر بمزيج من الحنى والغضب ، جعله يصرخ فى وجهها :

- أنت حقا بهذه الحماسة ؟

تطلعت إليه ذاهلة ، وهي تقول :

- حمافة ؟

صاح بها :

- هذا أقل ما يمكن أن توصف به سخافاتك هذه ألا تدركين
ما نحن فيه بالضبط ١٤ إننا نقاتل للبقاء على قيد الحياة ، وسط جليد
لا ينتهي ، وخلفنا فريق كامل من رجال الأمن السوفيت ، يستخدم كل
الوسائل الممكنة ، لتدميرنا ، وانتزاع روحينا من جسدنا ، وأنت
تفكرين في أظفارك المكسورة ١٥

كان يتوقع منها ندما أو تراجعاً ، ولكنه فوجئ بها تصبح في
وجهه :

- بالطبع لأظفار جزء من جمال المرأة ، وإلا فلماذا اخترعوا
طلاء الأظفار ، بكل أنواعه وألوانه ؟

صاح بها :

- هذا لو بقيت على قيد الحياة .

عقدت حاجبها الجميلتين ، وهي تقول في حدة .

- لو لم يكن هناك مفر من الموت ، فأنا أفصل أن أموت جميلة .
تضاعف حبه ، وبارك أنه لا فائدة من مناقشتها ، فشد قامته ،
وقال في صرامة :

- اسمعي يا (بوشكا) . الموقف لا يحتمل حتى مثل هذه
المناقشات إنني أقود الموقف منذ البداية ، وسأقوده حتى آخر
لحظة ، مادام في صدري نفس يتردد ، وليس أمامك سوى طاعتي ،
والا فسألقيك مع كبتك وسط الثلوج ، وأواصل طريقتي وحدي



واندفع إلى الصدوق الخفي ووثب داحداً ، وهو يقول متعظاً

- ماذا حدث ؟

هتفت في غضب :

- بالك من متوحش !

ثم ضمت إليها (ميرا) ، مستردة في استنكار :

- كيف تجرؤ على إلقاء كلبة مسكية وسط الثلوج ؟

شعر أنه سيصاب بارتفاع في ضغط الدم ، لو واصل حديثه معها ،

فهتف في حدة :

- لن نناقش هذا .. إنه أمر .

صاحت محتدة :

- لست جندياً تحت إمرتك ، ولست ..

قطعت حديثها بغتة ، مع ازيز مروحة الهليكوبتر ، الذي اتضح

فجأة ، فهتفت في شحوب :

- إنهم يواصلون مطاردتنا .

تركها (أدهم) قبل أن تتم عبارتها ، وقفز خارج الصندوق ،

ووثب داخل مقصورة القيادة ، واطلق بالسيارة مباشرة ، في حين

هتفت (ناديا) ، عندما لمحته :

- ها هو ذا .

وانتزعت مدفعاً آلياً ، كان الطيار يثبت به إلى جواره ، وأسرعت

نحو السيارة ، وهي تقول في انفعال :

- ارتجف أيها الجاسوس .. لقد جاءت (ناديا) .

قالتها وأطلقت النار .

وزاد (أدهم) من سرعة السيارة ، والرصاصات ترتطم

بجسمها ، وتتناثر من حوله ، و (ناديا) تميل بالهليكوبتر يميناً

ويسارا ، بحثاً عن زاوية مناسبة ، لاصابة (أدهم) داخل السيارة ،

في حين راح هذا الأخير ينطلق في خط متعرج ، ليجعل إصابته أكثر

صعوبة ، ولكن (ناديا) لم تكن بالمقاتلة العادية ..

لقد تعلمت ، منذ نعومة أظفارها ، أن تقاتل خصمها بلا هوادة ،

وأن تستغل كل الظروف والامكانيات المتاحة للظفر به وهزيمته .

لنن التقيد بقواعد سابقة ..

لا قانون ، ولا قواعد ..

ولا رحمة ..

ثم أنها تلقت تدريبات عنيفة قاسية ، علمتها كيف تقتل بأعنف

وسيلة ممكنة ، وكيف تريق الدماء أنهاراً ، دون أن يطرף لها

جفن

ولأنها خبيرة بكل ماهو حربي سوفيتي ، فقد أدركت أنها لن تنجح

في إيقاف السيارة أو إتلافها ، من هذه الزاوية ، لذا فقد زادت من

سرعتها ، حتى تجاوزت السيارة ، ثم استدارت ، لتتقصد عليها من

الأمم . وهي تطلق نيرانها على نقطة ضعفها الوحيدة .

الزجاج الامامي ..

وأدرك (أدهم) ماخطط له (ناديا) فمسك مقود السيارة بيمينه ،

وأخرج يده اليسرى من السفذة المجاورة ، وهي تحمل المدفع الاسي ،

واستعد ..

استعد للمواجهة ..

وفي شراسة ، انقضت (ناديا) بالهليكوبتر على السيارة ،

وأطلقت نيرانها على زجاجها الامامي . هتفة .

- إنها النهاية أيها الجاسوس .

ولكن (أدهم) كان يطلق نيران مدفعه بدوره ..

وتهشم زجاج السيارة الأمامي ، وتتأثر في وجه (أدهم) ، الذي شعر بأحدى الرصاصات تحت كتفه ، وثابتة تجرح عنقه ، ولكنه واصل إطلاق النيران نحو الهليكوبتر بلا توقف .

أما (ناديا) فقد أطلقت رصاصاتها بثقة شديدة في البداية ، ولكنها لم تلبث أن شعرت بالرصاصات ترتطم بالزجاج الأمامي ، والمروحة ، وخزان الوقود ، فدركت أنها تواجه استادا في الرماية ، وانعقد حاجباها في توتر شديد ، وهي تهتف

- اللعنة ! هذه الهليكوبتر لا تصلح للمواجهة

قالتها ، وجذبت عصا القيادة ، فارتفعت الهليكوبتر ، قبل لحظات من ارتطامها بالسيارة وعبرت فوقها ، وهي تصرخ :
- ولكنه لن ينتصر .

إلا أن (أدهم) لم يتوقف عن إطلاق النار ، وإنما رفع فوهة مدفعه الأعلى إلى أعلى ، وهو يطلق رصاصاته على جسم الهليكوبتر ..

واستدارت (ناديا) لتهاجمه مرة أخرى ، وهي تصرخ في غضب ثائر :

- أي شيطان يبارك خطوات هذا الرجل . بل أي شيطان هو ؟

انقضت مرة أخرى على السيارة ، وأطلق (أدهم) نيران مدفعه ، ثم اشتعلت النيران ..

اشتعلت في حراة وقود الهليكوبتر ، الذي ثقبته رصاصات

(أدهم) ، في مواقع عديدة ، وصاحت (ناديا) ، وقد بلغت ثورتها مبلغها :

- لا .. ليس ثانية .

أما (أدهم) ، فقد أطلق صيحة طافرة ساخرة ، وهو يهتف :

- مرحى يبدو أنه موسم ناجح لصيد الطائرات .

قربها وواصل طريقه بأقصى سرعة ، على الرغم من الهواء المثليج ، الذي يرتطم بوجهه ، ويكاد يجمد أطرافه ، في حين ابتعدت (ناديا) بالهليكوبتر ، وامرعت تهبط بها أرضا ، ثم غادرت مقعدها ، وانطلقت تعدو مبتعدة ، و ...

ولوى الانفجار ..

ومعه انفجر بركان جديد من الغضب ، في أعماق (ناديا) ..
لقد فعل بها (أدهم) ما لم يفعله بها أي رجل آخر منذ بدأت عملها ..

لقد هزمها ..

وأكثر من مرة ..

وبكل الغضب الهادر في نفسها ، لوحت (ناديا) بقبضتها ، وهي تصرخ :

- إنها ليست نهاية المطاف أيها الجاسوس .. (لك لن تنتصر ..
لن تنتصر أبداً .

ورذلت الجبال صرختها الغاضبة ، في نفس الوقت الذي هتفت فيه (بوشكا) داخل السيارة ، وهي تحتصن (ميرا) في سعادة :
- لقد انتصرت يا (ميرا) . لقد انتصر الوسيم مرة أخرى .. إنه

رجل رائع يا (ميرا) .. رجل يستحق قلب (بوشكا) .. أليس كذلك ؟

سمع (أدهم) حديثها ، ولكنه تجاهله تمامًا ، وهو يحاول دراسة خط سيره الجديد ..

إنه لن يستطيع الذهاب إلى (لينتجراد) .
لم يعد من الحكمة أن يفعل ، بعد أن عرف السوفيت موضعه واتجاهه ، وخط سيره ..

إنهم سيطاردونه حتمًا طوال الطريق إلى (لينتجراد) ، وسيضاعفون من حراساتهم وأمنهم حول الميناء ، وفي كل نقطة يمكن أن تقود إلى خليج (فنلندا) ..

ثم إنه لا يملك وسيلة مناسبة لتجاوز كل هذا .
أضف إلى ذلك وجود (بوشكا) ..

شعر لأول مرة ، منذ بدأت الأحداث ، أن وجود (بوشكا) يضاعف من العقبات والمشكلات ، فالقافلة تسير بقدر احتمال أصعبها ، وضعف (بوشكا) يفرض عليه المسير بحطة متواضعة ، لا تناسب قدراته الفعلية ، في حين سيطلق السوفيت خلفه بكل قوتهم وطاقاتهم ..

ولكنه لن يتخلى عنها ..

لا يمكنه أبدًا أن يفعل ..

إنها ضعيفة ، ورقيقة ، على الرغم من عنادها وإصرارها الطفولي ..

وهو يشعر نحوها بالكثير من العطف والشفقة ، كما لو كانت طفلة

صغيرة ضائعة ، خُرمت من رعاية أبويها ، ولم يعد لها سواء ..
حاول أن يطرد من ذهنه مشكلة (بوشكا) ، ويركّز تفكيره على خط السير الجديد ، الذي يمكن أن يقوده إلى الحرية ..

وفي حزم ، انحرف بالسيارة يسارًا ، واتخذ طريقه وسط الثلوج ، فهتفت به (بوشكا) ، عبر نافذة صغيرة ، تربط ما بين الصندوق الخلفي والمقصورة :

- إنك تتجاوز الطريق .

أجابها في حزم :

- أعلم هذا .

قالت في حدة :

- وهل تعلم أن هذا التجاوز قد يقودنا إلى الضياع ؟

أجابها في ضجر :

- اطمئني .. إنني أحمل بوصلة صغيرة ، وتلك الخريطة التي أعطيتني إياها .

هتفت :

- ولو .. إنك تتوغل فيما تطلق عليه اسم الصحراء الجليدية ، وهي منطقة مخيفة ، تمتد إلى ما لا نهاية ، ويمكننا أن نضل فيها بمنتهى السهولة ، ولكنها لن تقودنا أبدًا إلى (لينتجراد) .

قال في حزم :

- لن نذهب إلى (لينتجراد) .

بهتت للجواب ، وقالت في قلق .

- إلى أين سنذهب إذن ؟

صمت لحظة ، ثم قال فى صرامة :

- إلى أى مكان آخر .

قالت فى عصبية :

- ولماذا لا تحبرنى ؟

أجابها فى هدوء :

- من الأفضل ألا تعلمى

صاحت فى حلق .

- لماذا ؟.. هل تفودنا إلى الجحيم ؟

كان يشعر بالضجر والملل ، من أسلوبها العصبى المتواصل ،

وإصرارها على مجادلته فى كل مرحلة ، فتجاهل سवालها تماما ، إلا

أن هذا أصابها بالمزيد من الحلق والغضب ، وهتفت :

- لماذا تتجاهلنى ؟

لم تكذب عبارتها ، حتى اصدر المحرك قرقرة خافتة ، ثم زمجر

فى خشونة ، فغمغم (أدهم) :

- اللعنة !

صاحت (بوشكا) غاضبة :

- هل تلعننى ؟.. هل تلعننى بعد كل ما فعلته من أجلك ؟

شعرت بالسبابة تتوقف ، فتراجعت خيفة ، وصمت (ميرا)

إليها ، وهى ترتجف قائلة :

- هل .. هل اعضبتك ؟ (ك لى تتركى هنا وسط الثلوج

أليس كذلك ؟

سمعته يزفر فى عمق ، ويقول :

- بل سنبقى كلنا هنا .

ثم أضاف فى ضيق :

- لقد نفذ الوقود .

اتسعت عيناها فى هلع ، وسرت فى جسدها قشعريرة باردة

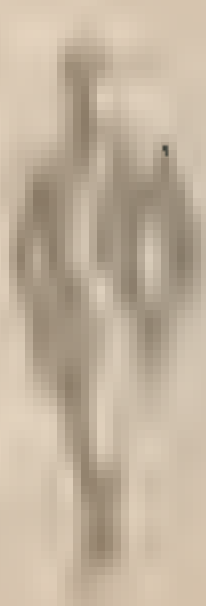
مخيفة .

(إن نفاد الوقود يعنى أنهما أصبحا ضائعين فى هذه المنطقة

المخيفة

فى صحراء الموت الجليدية .

★ ★ ★



١٨ - طريق اليأس ..

عقد الجنرال (فاسيلوف) كفيه خلف ظهره ، وهو يقف أمام نافذة مكتبه الكبيرة ، المطلّة على الساحة الحلفية لمبنى المخابرات ، وذهنه يراجع كل تلك الأحداث ، التي جرت في الساعات القليلة الماضية ، منذ اقتحم (أدهم) مكتبه ، وحتى هذه اللحظة ..
كان يشعر بحرق بالغ ، بسبب عجز رجاله عن اقتناص (أدهم) ، على الرغم من قدراتهم وكل مامنتهم إياه من إمكانيات .
وكان يخشى في الوقت ذاته أن يفلت (أدهم) ، وهو يحمل هذه الوثائق البالغة الخطورة ..

إن هذا يعني نهاية كل شبكاتهم في (مصر) ونهايته بالتبعية ..

إن يغفر له رؤسائه قط ما سيحدث ..

وتصاعد غضب هابر في أعماقه ، وهو يلحن ذلك الإسرائيلي ، الذي تسبّب في كل هذا ، وامتد غضبه إلى (ناديا) ، فغمغم في سخط :
- أين ذهبت هذه اللعينة ؟ . كان من المفروض أن تتصل لاسلكيًا ، كل نصف ساعة ، لتبلغني بتطورات الموقف أولاً فأولاً .
لم يكذب عبارته ، حتى سمع طرقات ، منتظمة على باب مكتبه ، فقال في حدة :

- ادخل يا (سباسكى) .

كان يعلم أن سكرتييره الخاص هو الشخص الوحيد ، الذي يمكنه

أن يطرق باب مكتبه مباشرة ، وكان على حق في هذا ، فقد دلف سكرتييره (سباسكى) إلى الحجرة ، وهو يقول :

- معذرة أيها الرفيق الجنرال ، أعلم أنك طلبت عدم إزعاجك ، إلا في حالة الضرورة القصوى ، ولكنني أعتقد أن الأمر الذي جرت على اقتحام خلوتك من أجله ، يدخل في عداد الضرورة القصوى ، من وجهة نظري .

سأله (فاسيلوف) ، وهو يلتفت إليه بجسده كله :

- ماذا لديك بالضبط ؟

تردّد (سباسكى) ، وهو يتلفت حوله ، ثم حسم أمره ، وقال :

- إنه شيء أحتفظ به في مكتبي المتواضع أيها الرفيق الجنرال .

قال (فاسيلوف) في عصبية :

- ولم لا تأتي به إلى هنا ؟

صمت (سباسكى) لحظة ، ثم أشار بيده إشارة متفق عليها ،

وهو يقول :

- إنه صعب الحمل أيها الرفيق الجنرال .

أدرك (فاسيلوف) ما يرمي إليه سكرتييره ، فانعقد حاجباه في

شدة ، وهو يقول في حذر :

- فليكن .. دعنا نطالعه في مكتبك .

انتقل معه إلى مكتبه الصغير ، الملحق بالمكتب الرئيسي ، ولم

يكذب مستقر بهما المقام هناك ، حتى سأله في توتر :

- ماذا هناك بالضبط ؟ .. إشارتك كانت تعني أنه من الخطر التحدث

داخل مكتبي .. لماذا فعلت هذا ؟

ناوله (سباسكى) شريط تسجيل صغير ، وهو يقول :
- لقد سجل رجالنا محادثة هاتفية ، أجراها الإسرائيلي
(إيزاك) ، من مطعم صغير ، بالقرب من شريط الفطار ، عند
(ياروسلافل) ، مع رئيسه (أندريه رابين) ، فى السفارة
الإسرائيلية ، وهذه المحادثة تحوى أمورا بالغة الأهمية ، كان من
الضرورى أن نستمع إليها بنفسك .

قلها ووضع الشريط داخل جهاز خاص ، وضغط زر التشغيل ،
وراح (فاسيلوف) يستمع بانتباه كامل إلى نص المحادثة ، بين
(إيزاك) و (أندريه) ، حتى انتهت ، فإزداد انعقاد حاجبيه ، وهو
يحك ذقنه بسبابته ، قائلا :

- ما الذى يقصده ذلك الإسرائيلي ، وهو يتحدث عن الجهاز
الصغير ، الذى ينقل إليهم تفاصيل تحركات الجاسوس الهرب ؟
تتحفح (سباسكى) ، وقال :

- معذرة أيها الرفيق الجنرال ، ولكننى اعتقد أن هذا الجهاز هنا .
التفت إليه (فاسيلوف) ، قائلا فى حدة :
- هنا ؟

أجابه (سباسكى) بسرعة :
- هل تسمح لنا بفحص مكتبك أيها الرفيق الجنرال ؟ . إيسى أنتظر
أوامرك .

قال (فاسيلوف) على الفور :
- بكل تأكيد . اتصل بفريق الفحص على الفور ، ولو كشفوا
وجود أية أجهزة تصنت هنا ، فسيدفع (أندريه) الثمن غدا .

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يضيف :
- أغلى مما تتصور ..
وأطل من عينيه الغضب ..
كل الغضب ..

ارتفعت على شفتى (شلينكو) ابتسامة ساخرة ، وهو يوقف
سيارته أمام (ناديا) ، ولوح بكفه متعكفا ، وهو يقول :
- مرحب أيها الرفيق (ناديا) . ماذا أصاب طالرك هذه
المرة ؟ .. أراهن أنها لم تحتل ثقل ظلك ، فهوت أرضا .

أجابته فى برود ، وهى تتجه إلى سيارته :
- وصلت فى الوقت المناسب يا (شلينكو) .
قال متعكفا :

- إننى أصل دائما فى الوقت المناسب أيها الرفيق (ناديا) ،
والأهم أننى أجيد المحافظة على وسيلة مواصلاتى .

ثم مال نحوها ، مستطرذا فى مضربة :
- والآن مارأيك ؟ .. من سيربح السباق ؟
بدا على طرف شفثيها ابتسامة ، وهى تقول :
- مارأيك أنت ؟

قال فى شماعة واضحة :
- رأى أنك خسرت أيها الرفيق ، فلست أنوى اصطحابك معى ،
وكل ماقد أفعله من أجلك ، هو أن أبلغ دوريات الثلوج بموقفك ،
ليرسنوا من يلتقطك من هنا ، وأعدك أن أذكر فى تقريرى ، بعد أن

أقتنص ذلك الجاسوس ، أنك قمت بواجبك خير قيام .

قالت وابتسامتها تبدو أكثر وضوحا :

- ولكنك لم تختبر كل وسائلى بعد .

قال ساخرًا :

- وما الجديد لديك ؟

رفعت فوهة مدفعها الالى فى وجهه بفتة ، وهى تقول :

- هذا .

حنق فى فوهة المدفع لحظة فى دهشة ، ثم انعقد حاجباه فى

غضب ، وهو يقول :

- ماذا تفعلين أيتها الرفيق ؟

قالت فى صرامة :

- لا تحاول التكاثر مدفعك أبها الرفيق القبي ، لأننى سأطلق النار

بدون تردد ، لو بدرت منك بادرة واحدة .

قال غاضبًا :

- لقد أصابك الجنون .

بدت له قاسية صارمة كعادتها ، وهى تقول :

- فليكن .. هنا .. غادر السيارة ، حتى لا تضطرنى إلى سحب

جثتك منها .

قال فى حدة :

- أتعلمين أننى أستطيع تقديمك إلى محاكمة عسكرية ، بسبب هذا

التصرف الأرعن الطائش .

أجابته فى صرامة :

- غادر السيارة .

كان يدرك جيدًا أنها لن تتردد فى إطلاق النار عليه ، لو لم ينفذ

أوامرها ، فعادر السيارة فى سخط ، وهو يقول :

- ستدفعين ثمن هذا غالياً .

أجابته فى برود :

- لا تعتمد على هذا كثيرًا ، فالتقرير الذى سأنتاله حتمًا ، عندما

ألقى القبض على تلك الجاسوس أو أقتله ، وأستعيد منه الوثائق

والأفلام ، سيمحو إلى جواره صرخاتك الغاضبة ، وتقاريرك

السخيفة .

انتهى جنون الغضب ، مع أسلوبها الاستفزازى ، ولم يعد يبالى

بمدفعها الالى ، فانقضَّ عليها صارخًا :

- هذا ماتتوهمينه .

وبركئة قوية ، أزاح مدفعها الالى بعيدًا ، ولكمها فى فكها ، إلا

أنها تفادت لكمته فى مهارة ، ولكمته هى فى معدته ، وهى تقول :

- هل تفضل القتل ؟ .. عظيم .. أيا أيضا أميل إلى هذا .

هاجمها مرة أخرى فى شراسة ، وهو يقول :

- ليس القتال فحسب ، بل والقتل أيضًا ، لو لزم الأمر .

استقبلته بلكمة كالقبلة فى أنفه ، وهى تقول :

- لا تتحدث عن القتل .. إنه هوايتى .

وأعقبت لكمتها بأخرى فى أسنانه ، متابعة .

- وأنا أستاذة فيه .

سقط متألما غاضبا ساخطا ، وقد أحرقه أنه تهزمه امرأة على هذا

النحو ، فصاح في ثورة :

- لن تربحى أيتها المتحذقة المغرورة .. لن تربحى أبداً .
سيثبت لك (شلينكو) أن من يضحك أخيراً يضحك كثيراً . ألا
تدركين لماذا كلّفنى الرفيق الرئيس مهمة مطاردة ذلك الجاسوس ،
ولماذا لم يصدر أمراً بمنعك من هذا ؟

تجاهلته وهى تتخذ مقعد القيادة فى سيارته ، وتدير المحرك ،
ولكنه نهض بألف داء ، وغضب هائر ، مستظرفاً :

- لقد ذهبت لمقابلة الرفيق الرئيس بنفسى ، وانهمكت أنت
والجنرال (فاسيلوف) بالخيانة ، وبأنكما حاولتما قصر المطاردة
عليكما ، ليتمكنكما إخفاء ما تريدان ، دون مراجع أو رقيب ..

توقفت جامدة ، ثم أغلقت المحرك مرة أخرى ، وهو يتابع :
- الرفيق الرئيس أصبح يشك فى أمركما الآن .. لقد أصبحت
أياكما معدودة أيتها الرفيق .. حتى ولو كنتما بريئين - لقد وقعتما
فى خطأ فادح ، وسأبذل قصارى جهدى لكى تدفعا ثمنه غالباً .. هل
تفهمين ؟

غادرت السيارة ، ووقفت أمامه فى برود ، وهى تقول :
- هل تذكر ما الذى فعلته بنفسك ، أيتها الرفيق (شلينكو) ؟
صاح بها :

- لا تقلقى نفسك بشأنى أيتها المتحذقة .. اهتمى بأمرى وأمر
جنرالك المأفون ، الذى سمح لجاسوس أجنبى بسرقة ألقى وأخطر
أسرارنا .. إنها أياكما الأخيرة بيننا أيتها الرفيق ، وسأراكما بنفسى
هناك ، فى (سيبيريا) تقطعان الأخشاب ، و ...

ولم تترك له (ناديا) فرصة إكمال عبارته ..

لقد رفعت فوهة مدفعها الألى بحركة سريعة ، وأفرغت
رصاصاتة فى جسده ..

وجحظت عينا (شلينكو) فى ذهول وذعر وألم ، ثم هوى فاقد
النطق ، فوق طبقة جليدية سمكة ، امتزجت بدمائه ، فصنعت
مزيجاً وردياً عجيباً ، فى حين خفضت (ناديا) فوهة مدفعها فى
برود ، وهى تقول :

- كلا أيها الرفيق (شلينكو) .. لست أظنك تحيا ، حتى ترى هذه
الأوهام .

وفى هدوء ، اسنقلت سيارتها ، وانطلقت لتواصل المطاردة .

★ ★ ★

ضمت (بوشكا) (ميرا) إلى صدرها وراحت تنفخ بخار الثلج
من بين شفتيها الجميلتين ، وهى تراقب (أدهم) ، الذى يلتفت
السيارة ، بحثاً عن وعاء وقود احتياطى ، قبل أن يقول فى أسف :
- لا توجد قطرة واحدة من الوقود - لقد عثرت على ثلاث قنابل

بدوية ، ومسدسين ، وقاذفة لهب صغيرة ، ولكن لا يوجد وقود .
سألته فى يأس :

- أيعنى هذا أننا التهبنا ؟
هز رأسه نفياً ، وقال :

- قلت لك : لست أحب هذه النغمة المتخاذلة .
قالت فى حدة :

- ماذا تقترح إذن أيتها العبقري ؟

أجابها على الفور :

- أن نواصل طريقنا .

اتسعت عيناها في دهشة ، وهي تهتف :

- سيرًا على الأقدام ؟!

هز كتفيه ، قائلاً :

- هل توجد وسيلة أخرى ؟

اعتذلت قائلة في عناد :

- اذهب وحدك .. لن أتحرك خطوة واحدة .

أجابها في هدوء :

- كما يحلو لك .

ثم حمل قاذفة اللهب ، وثبت المصدسين والقبائل الثلاث في

حزامه ، ثم تحرك مبتعداً ، فارتفع حاجباها في دهشة ، وقالت في

عصبية :

- هل ستتركني هنا ؟

أجابها دون أن يلتفت إليها :

- أنا رجل ديموقراطي ، لن أرغمك على فعل ما تكرهين .

قالها وواصل طريقه مبتعداً ، فهتفت في غضب :

- أيها السخيف .

ثم أسرعت تلحق به ، فابتسم في هدوء ، وهو يعلم أن هذا

ما ستقدم عليه ، وسار بخطوات بطيئة نسبياً ، ليسمح لها بالسير إلى

جواره ، ولكنها ظلت غاصبة ، معقودة الحاجبين ، لائحة بالصمت ،

حتى نبحت (ميرا) لتقطع حبل الصمت ، فضممتها إلى صدرها

ثانية ، وقالت :

- أعلم يا (ميرا) .. أعلم يا صغيرتي .

سألها في ضجر :

- ماذا هناك هذه المرة ؟

أجابته في حدة :

- (ميرا) المسكينة جائعة .

ثم خفضت صوتها ، مستطردة :

- وأنا أيضاً .

توقف فجأة ، وأشار إليها بالتوقف ، فقالت في عصبية :

- حسن .. مستحتمل الجوع .

قال بصوت حازم ، يشف عن خطورة الأمر :

- المهم أن يلتزم الجميع بهذا المبدأ ، فليست و (ميرا) وحدكما ،

اللتين تشعران بالجوع .

اشرأبت بعنفها ، لتلقى نظرة على آثار توتره إلى هذا الحد ، ثم

شهقت في ارتباك ، وضمت (ميرا) إليها في رعب ..

فهناك .. على عدة أمتار قليلة منها ، كنت هناك عشرات من

العيون الصغيرة تنظع إليها وإلى (ادهم) في وحشية ..

عيون قطع من الذئاب ..

ذئاب الجليد .

ارتجف جسد (يوشكا) كله ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص

قدميها ، وهي تحذق في قطع الذئاب ، الذي أطلق زعيمه عواغ

خافتا ، ثم زمجر في شراسة ، وكأنه يختبر قوة وشجاعة فريسته ،
في حين انكمشت (ميرا) في رعب ، وراحت تصدر أصواتا خافتة
مضطربة ، وقالت (بوشكا) في رعب :

- إنها .. إنها ذئاب ..

قال (أدهم) في حزم ، دون أن يرفع عينيه عن زعيم القطيع :

- اصمتي .

ولكنها واصلت ، قائلة :

- (إنني لم أشاهدها قط من قبل ، إلا في البرامج الثقافية في
(التليفزيون) .

كرّر (أدهم) في صرامة :

- قلت .. اصمتي .

زمجر زعيم قطيع الذئاب مرة أخرى ، على نحو أكثر وحشية ،
وأطلقت شراسة لا حدود لها من عينيه ، وهو يتحفّز للانقضاض ،
والقطيع كله من خلفه ينتظر انقضاضه ، ليتبعه على الفور ، ويمرل
الفريسة بأنيابيه ، وينهشها بمخالبه ..

و (أدهم) يعلم هذا .

يعلم أن الزعيم هو صاحب القرار ..

ورمز القوة ..

ولكنه لم يتحرك ..

لقد ظل ساكنا ، صامتا ، يتطلع إلى الذئب في تحفز مماثل .

كانا أشبه بدنيين ، يستعدان للاشتباك في قتال عنيف ، لزعامة

القطيع ..

ثم بدأ القتال فجأة .

لقد أطلق الذئب زمجرة تفوق السابقات شراسة ووحشية ، ثم
انقضّ على (أدهم) انقضاضة عنيفة ..

وأطلقت (بوشكا) صرخة رعب هائلة ، ولكن (أدهم) دفعها
جانبا بحركة سريعة ، ثم رفع ماسورة قاذفة اللهب نحو الذئب ،
وأطلقها ..

وانطلق لسان اللهب بضرب جسد الذئب ، الذي تحول في لحظة
إلى كرة من النار ، وسقط أرضا ، وهو يطلق عواجا رهيبا ، وراح
بعدو مبتعدا ، والنيران تنصاعد من جسده ، وتتطاير على نحو بشع
مخيف .

ودون تردد ، لحق به أفراد القطيع ، وقد أيقن كل منهم أن السلاح
الذي يحمله (أدهم) يمثل خطورة حقيقية .

بل أخطر ما يخشاه أي حيوان على وجه الأرض ..
النار ..

وارتجف جسد (بوشكا) وهي تهتف :

- أنت متوحش .

التفت إليها (أدهم) في دهشة ، وهو يقول

- لقد ابصر القطيع كله ، وشطب اسمنا من قائمة طعامه ..

أليس كذلك ؟

هتفت غاصبة .

- وماذا عن تلك الذئب المسكين ، الذي أشعلت فيه النيران ؟

ألم تجد وسيلة أقل وحشية لقتله ؟

قال في بروه :

- ماذا كنت تفضلين ؟ .. أن يلتهمنا هو ورفاقه ؟

قالت في حدة :

- كان يمكنك أن تكتفى بإطلاق النار عليه .

هز رأسه نفيا ، وهو يقول :

- لم يكن هذا ممكنا ، فلقد رأيت بنفسك عدد الذئاب .. كانوا أكثر

من ستين ذلبا ، والرصاصات ستقتل ثمانية عشر ذلبا ، ثم يسترد

الباقون شجاعته ، ويهاجمونا بشراسة أكبر .

انحدرت الدموع من عينيها ، وهي تقول :

- ولكن ذلك كان بشفا .

أوما برأسه ، قائلا في إشفاق :

- أعلم هذا .. ودينى بأمرنى إذا ما قتلت ، بأن أحسن القتل ،

ولكنه يقول أيضا : إن الضرورات تبيح المحظورات . وأعنف أن

كلمة الضرورات تنطبق ، وبشدة ، على هذا الموقف ..

وصدقيني .. لقد درست كل الاحتمالات في ذهنى ، وأنا أقف في

مواجهة قطع الذئاب . وكان من الضروري أن ألتجأ إلى وسيلة

حاسمة وقوية ، تفجر كل الخوف في أعماق هذه الحيوانات

المتوحشة ، وتدفعها إلى الفرار بأقصى سرعة ، دون أن تفكر في

معاودة الهجوم .. ولم أجد سوى هذا الحل ، على الرغم من

بشاعته .. هذا هو المقصود بالضرورات التى تبيح المحظورات في

شريعته .

لم تناقشه هذه المرة ، وإنما انخرطت في بكاء حار ، جعله يشعر

نحوها بشفقة كبيرة ، فاقترب منها ، وهو يقول في خفوت :

- هل استوعبت الأمر ؟

أومت برأسها إيجابيا في صمت ، فقال مبتسما

- حمدا لله

رفعت رأسها إليه ، وهمت بالابتسام ، ولكنها فوجئت به يزيحها

جانبا ، ثم ينتزع مسدسه ، ويطلق النار ..

وشهقت (بوشكا) فى هلع ، ولكن (أدهم) وضع يده على

كتفها ، وهو يقول فى صوت ، حاول أن بدفع إلى نبراته أكبر قدر

ممكن من الهدوء والحنان :

- اطمئنى .. إنها وجبة الغداء .

استدارت بسرعة إلى حيث أطلق النار ، ونهلت أسنانه ، وهي

تصفق بكفيها فى جنل ، هائفة :

- أرنب كبير عظيم ستتول الطعام . ساكل يا (ميرا)

ابتسم (أدهم) فى إشفاق ، وسار إلى حيث سقط الأرنب الكبير .

وحمله من الديه ، وهو يرفع ماسورة قاذفة اللهب ، قائلا :

- والأجمل أننا نمتلك وسيلة الشواء .

وعادت تصفق بكفيها فى سعادة .

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كان ثلاثهم قد انهموا الأرنب

الكبير ، وهتفت (بوشكا) فى ارتياح وسعادة :

- ما أعظم الشعور بالشبع ؟

قال (أدهم) مبتسما ، وهو يراقب الأفق ، حيث بدأت الشمس

رحلة المغيب :

- وخاصة بالنسبة لمن لم يذق طعم الجوع قط .

التفتت إليه ، قائلة :

- لو أنك تقصصتي أنا ، فأنت مخطي لقد ذقت طعم الجوع طويلا .

سألها :

- ومتى كان هذا ؟

تنهدت ، وشاركته نظراته الى القروب ، وهي تقول .

- بعد اعتقال أبي مبشرة . كان هذا حزنا من العقاب ان

جوع وتشتد ، ونصبح عبدة لمن يعتبر ، بحيث لا يحرواى مخلوق بعدها على الاعتراض أو المناقشة ، أو حتى إبداء الرأي ، حتى ولو كان شيوعيا وطنيا مخلصا . لقد ذقت الجوع طوال عام كامل ، وبعدها عملت أمتي في المسرح ، واصبح لها عشرات المعارف والاصدقاء ، وانتهى الجوع ، وكنا فقدنا الأب

زفرت مرة أخرى ، وتركت دموعها تتساب على وجنتيها ، ثم رفعت عينيها الى (ميرا) ، التي ابتعدت ، وراحت تلهو بقايا العظام . بعد أن ملأت معدتها بالطعام ، وقالت في رقة عجيبة - (ميرا) .. لا تتعدى يا صغيرتي ، فستغرب الشمس بعد قليل ، وأخشى أن أفقدك .

نهضت منجهاة الى (ميرا) ، و (ادهم) يتابعها ببصره مشفقا ، وهو يغمغم :

- يا بها من مسكينة ! لقد عانت الكثير بالفعل ، وهذا يبرر معاونتها لي ، على الرغم مما تتمتع به من امتيازات

راقبها وهي تعدو خلف (ميرا) هاتفة :

- كفى لهما يا (ميرا) . اننا لن نبقى هنا طويلا ، ومن الضروري أن ...

وفجأة ، رآها تهوى الى أسفل ، وتختفي داخل حفرة جديدية ، وهي تطلق صرخة مفزعة ..
صرخة إنسان يحتضر .

★ ★ ★



١٩ - الجيش ..

رفع قائد الفرقة العاشرة من دوريات الثلوج حاجبيه في دهشة ومراة ، وهو يتطلع إلى أكوام الثلوج ، التي تبرز من بينها القاطرة المقلوبة ، وقال في أسى :

- لقد أهدت الفرقة التاسعة كلها .. يالها من كارثة !. كيف لم ينهبوا إلى أن قنابلهم ستسبب هذا الانهيار ؟

هز رأسه أسفا متأسيا ، وهو يتابع رجاله ، الذين انهمكوا في إزاحة الجليد ، واستخراج جنث رفدهم ، من الفرقة التاسعة ، ثم التفت إلى معاونه ، وسأله :

- هل عاد فريق البحث ؟

تطلع المعاون إلى ساعته ، وهو يقول :

- لقد منحناهم نصف ساعة للبحث في اتجاه قطار (لينجراد) ،

وهذا يعني أنهم في طريقهم إلى هنا الآن

عاد القائد بهز رأسه ، قائلا :

- لا يمكنني أن أصدق أننا نطلق جميعا خلف رجل واحد . وأنه

المسلول وحده عن كل هذا .

قال المعاون في خفوت :

- من الواضح أنه ليس بالرجل العادي ، فهم يولونه اهتماما

بالغا ، ويرفعون من أجله درجات الطوارئ إلى الحد الأقصى .

قال القائد ، وهو يقلب كفيه في حيرة :

- انتهى لم أر شيئا كهذا قط من قبل .

تتأهى إلى مسامعه صوت محرك سيارة دورية البحث ، وهي تقترب ، فاستدار مع معاونه إليها ، وتابعاها ببصريهما حتى توقفت أمامهما ، وقفز سائقها يؤدي التحية العسكرية ، قائلا :

- لقد عثرنا على هليكوبتر الفرقة التاسعة أيها الرفيق القائد ، ولكنها محطمة ، وملينة بالثقوب ، وقد اشتعلت فيها النيران .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يتعمق :

- اللعنة !.. وكيف وصل بها الأمر إلى هذا الحد ؟

هز الجندي رأسه نفيا ، وقال :

- لا أحد يدري ياسيدى ، ولكننا عثرنا على مقربة منها ، على ضابط من ضباط المخابرات .

سأله القائد .

- هل قتلوه أيضا ؟

أجاب الجندي :

- لقد أطلقوا عليه كمية ضخمة من الرصاصات أيها الرفيق

القائد ، وإصاباته بالغة الخطورة ، ولكن من العجيب أنه لم يلق

مصرعه بعد

هتف القائد في دهشة

- إذن فهو حي .

أجابه الجندي بالإيجاب ، وأضاف :

- ولقد أحضرناه معنا .

أسرع القائد إلى السيارة ، وتطلع في دهشة إلى (شلينكو) ،

الذي يلتقط أنفاسه في صعوبة ، وقال :

— ماذا حدث أيها الرفيق العقيد ؟

رفع (شلينكو) يده في صعوبة ، وقال في ضعف :

— أريد التحدث إلى الرفيق الرئيس .

حُبل القائد أنه لم يحسن سماع الكلمة ، فقال :

— من ؟

أجابه (شلينكو) متهاكاً :

— الرفيق الرئيس .. وأسرع يارجل .. إنه أمر بالغ الخطورة ..

أمن دولة .. أسرع .

لم يصدق القائد أذنيه في البداية ، إلا أنه أسرع يحاول إجراء

الاتصال ، خشي أن يتهم بالتقصير فيما بعد ..

ولم يكن ذلك سهلاً ..

ولكنه لم يكن أيضاً مستحيلاً ..

لقد تم الاتصال عن طريق قنوات خاصة ، ذات صفة شديدة

الرسمية والمصرية ، فلم تمض دقائق معدودة ، حتى كان الرئيس

يتحدث مع (شلينكو) مباشرة ، عبر موجة لاسلكية مصرية ، وهو

يقول :

— ماذا هناك هذه المرة أيها الرفيق (شلينكو) ؟

التقط (شلينكو) أنفاسه بصعوبة بالغة ، وهو يحيب :

— (ناديا مينوفيتشي) قتلتي أيها الرفيق الرئيس .. إنها مدانة

مع رئيسها حتى النخاع . لقد نجح ذلك الجاسوس في تدمير الفرقة

التاسعة ، وطائرتي هليكوبتر ، وقاطرة قطار (لينجراد)

السريع .. إنهما المسئولان أيها الرفيق الرئيس . (فاسيلوف)

و (ناديا) .. إنهما ...

بتر عبارته بعثة ، وأطلق شهقة مكتومة ، ثم سقط رأسه على

صدره ، وهمدت أنفاسه تماماً ، في حين راح الرئيس يقول في

توتر :

— إنهما ماذا أيها الرفيق (شلينكو) ؟ .. أجب ؟

مضت لحظة أخرى من الصمت ، ثم اتاه صوت قائد الفرقة

العاشرة ، وهو يقول مرتبكاً :

— لقد .. لقد مات أيها الرفيق الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس في شدة ، وهو يقول :

— ماذا ؟

ثم التقط أنفاسه ، واستطرد :

— واصل المطاردة أيها الرفيق ، وأرسل جثة الرفيق (شلينكو)

إلى أسرته على الفور .

أنهى المحدث ، وتراجع في مقعده ، وأمسك ذقنه بسببته

وابهامه ، وهو يغمغم في صوت خافت :

— (فاسيلوف) و (ناديا) .. من يصدق هذا ؟

ثم عاد حاحا يبعثان ، وهو يستطرد في صرامة :

— ولكنه أمر بالغ الخطورة ، إلى حد لا يمكن تجاهله ، أو السكوت

عنه .

واعتدل في حزم ، والتقط سماعة هاتفه الخاص ، وهو يقول

لمدير مكتبه :

— (فيشر) . اتصل فوراً بوزير الدفاع ، واستصدر أمراً بإطلاق

خمس فرق مسلحة ، خلف ذلك الجاسوس .. أريد جيشا كاملا لمطارنته ، وتمشيط المنطقة كلها ، من (موسكو) إلى (ليننجراد) شبرا شبرا .

وانهى المحادثة الداخلية ، وهو يقول لنفسه فى صرامة :

- من الواضح أننا نحتاج إلى ثورة جديدة .. وعنيفة .

واستقر أمره على عدد جديد من القرارات ..

ومن الأحكام ..

لم يكد (أدهم) يلمح (بوشكا) ، وهى تختفى داخل حفرة الجليد ، ويسمع صرختها المذعورة المدوية ، حتى هب من مكانه ، وانطلق يعدو إلى حيث أخفت ، ولم يكد يصل إلى هناك ، حتى انعقد حاجباه فى شدة وفوتر ..

لقد كان يعدو فوق سطح متجمد لبحيرة صغيرة ، انهار جزء متجمد منه ، فسقطت معه (بوشكا) إلى المياه الباردة .. واختفت ..

وعلى حافة الفجوة ، التى انتشرت فيها الشروخ والشقوق ، راحت (ميرا) تنبح فى زعر وأسى ، وكأنها تنادى سيدتها الغائبة ، وهتف (أدهم) :

- (بوشكا) .. أين أنت ؟

كان سطح الماء ، الذى يبدو من الفجوة ، يتموج فى ببطء ، ولكن (بوشكا) لم تظهر على السطح .

ولم يتردد (أدهم) لحظة واحدة .

ولم يكن هناك وقت يضيعه ..

لقد قلز مباشرة إلى الفجوة ، وغص جسده فى مياه باردة كالثلج ، راح يضربها بذراعيه فى قوة ، بحثا عن (بوشكا) ..

وكانت الشمس قد مالَت إلى المغيب كثيرا ، وانخفض الضوء إلى أقصى حد ، وصار البحث عن (بوشكا) أشبه بالبحث عن إبرة ، فى كومة من القش ..

ولكن رحمة الله (سبحانه وتعالى) واسعة .

لقد عثر (أدهم) على (بوشكا) مصادفة ، وهو يضرب الماء بذراعيه ، وشعر بأصابعه تلامس شعرها ، فأطبق يده عليه فى قوة ، وجذبها منه إلى أعلى ، وهو يعود معها إلى السطح ..

وأخيرا برز رأسها فوق سطح الماء ..

ولكن هذا لم يكن يعنى انتهاء المشكلة ..

لقد كانت (بوشكا) ساكنة صامتة متخاذلة ، كما لو أنها قد لفظت أنفاسها الأخيرة ..

ثم إن الخروج من حفرة فى الجليد ليس بالأمر السهل ..

الاطراف تكون دائما متشققة هشة ، تتحطم مع الثقل والضغط ، بحيث لا يجد المرء وسيلة للتعلق بها ، والخروج من الفجوة ..

كما أن (أدهم) يحمل (بوشكا) ، ويجهد للتعلق بجسده فى ماء بارد كالثلج ، تكاد تتجمد له أطرافه ..

وفى سرعة ، درس عقل (أدهم) الموقف ، واتخذ القرار ، ووضع موضع التنفيذ ..

وانقبضت عضلات (أدهم) ، وهو يرفع (بوشكا) من الماء



و غصت غصلا ادهم ، وهو يرفع بوشكا من الماء ذراعه ويحملها على
وساقاه تقالان في الماء الملح

بذراعيه ، ويحملها عاليا ، وساقاه يقالان في الماء الملح ،
لمعدلة هذا الثقل ، وهو يجمع قوته كلها في ذراعيه ، ثم يدفع جسده
(بوشكا) بعيدا ، في دقة مدروسة ..

وتجاوز الحسد الصيل لمنطقة اصبقة من الجليد ، وهبط بزاوية
منخفضة فوق الحليد القوي ، وانزل في فوفه لمترا أو مترين ، ثم
استقر ساكنا ، فسرعت (مبرا) تعدو نحوه ، وأخذت تعلق وجه
سيدتها بلسانها في لهدة ، ثم تطلق عواء حزينا طويلا

أما (ادهم) ، فقد سبح في هدوء حتى الحافة ، وتعلق بها في
حذر ، وشعر بها تشقق أكثر وأكثر ، كلما حاول ان تثبت بها ، ولكنه
استجمع قوته كلها ، ودفع جسده إلى أعلى ..

وانفصلت الحافة ، واطفت قرعة قوية ، ولكن جسده كان قد
وثب خارج الماء ، ثم دار حول نفسه دورة رأسية أمامية ، بدت
كنحلة مائية ، في المروية والرشاقة والدقة ، جعلته يتجاوز
المنطقة الصعبة ، وينزل في عصف فوق المنطقة القوية

وما ان استقر حسد (ادهم) فوق الحليد ، حتى هب واقفا ،
واندفع نحو (بوشكا) ، التي تحمدت قطرات الماء على وجهها
اشاحب المرق ، الذي حلا من كل دلائل الحياة ، وهنف وهو يلطم
خديها في رفق :

- (بوشكا) .. (بوشكا) .. استيقظي .

ولكنها طلت صممة ساكنة ، فسرع بقلها على وجهها ، ويضغط
حاسب صدرها من الحنف في قوة وحكمة ، في محاولة لاتعاش
رنتيها ، ودفع مركز تنفسها للعمل مرة أخرى .

ومضت نصف دقيقة ، بدت له أشبه بدهر كامل ، ثم سعلت
(بوشكا) ..

ومع سعالها ، خفق قلبه فى ارتياح ..
وأفرغت (بوشكا) كل الماء المتلجج ، الذى استنشقتة وبلعته ،
عندما غاصت فى العجوة ، وراحت تسعل وتسعل ، ثم هتفت فى
إعياء وتهالك ..
- أين أنا ؟

التمسم (أدهم) وهو يقول فى حنان :
- أنت هنا بخير حال .

قلبها على ظهرها ، لتستنشق الهواء النقي ، ولكنها عدت
تسعل ، وهى تسبل جفניה ، وقالت فى صوت أقرب إلى البكاء .
- إننى أشعر ببرد شديد للغاية .. لكاد أتجمد من شدة البرد . لماذا
لم تشعلوا المدفأة .. إننى أموت برذا .

كان يدرك جيدًا مدى الآلام ، التى تسببها لها تلك البرودة
القارصة ، فهو نفسه ، بكل قوته وقدرته على الاحتمال ، كان يشعر
بالآلام شديدة فى أطرافه ، ويرتجف مع عضلة البرد القسوية
وفى انهيار مرير ، بكى (بوشكا) ، وانكمشت قلة
- أشعلوا المدفأة .. أرجوكم .. أتوسل إليكم ..

كانت الشمس قد اختفت فى الأفق ، وبدأت سمعت ليل الشتاء
البارد الطويل ، ولكنه أقسم فيما بينه وبين نفسه ، أن يبذل قصارى
جهده ، مهما كلفه هذا ، حتى يمنحها بعض الدفء .
وفى حماس ، اندفع نحو الأشجار القريبة ، وراح يقطع أغصانها

فى سرعة ، ويجمعها بذراعيه ، حتى تكونت لديه كومة كبيرة ،
و ...

وفجأة تحجرت كل مشاعره ..
تحجرت مع مرأى تلك الأضواء الآتية من بعيد .
أضواء توحى بأنه لا يواجه فرقة عادية هذه المرة ، وإنما يواجه
جيشًا بأكمله .
جيشًا جرارًا .

قرأ قائد المطار الفرعى التفويض الخاص ، الذى تحمله
(ناديا) ، مرتين ، ثم طواه وأعادته إليها ، وهو يقول فى هدوء :
- أعتمد أن التفويض صحيح رسميًا ، أيتها النقيب (ناديا) ،
ولكنك نطلبين هليوكوبتر حربية مسلحة ، تقوديلها بنفسك ، وهذا
أمر بالغ الخطورة ، ومسئولية مخيفة ، بالنسبة لرجل فى مثل
منصبى ، وأعتمد أنه لن يعضبك أن أتصل بالجنرال (فاسيلوف)
شخصيًا ، لتأكد من صحة التفويض بشكل أكثر دقة .
لوحث بأصابعها فى برود ، قائلة :

- لا مانع هذا أفضل ، ولكن أعطني سيجارة أولاً
ناولها سيجارة قصيرة مكتنزة ، فأشعلتها فى هدوء ، ونفثت
دخانها ذا الرائحة السادة فى عمق ، فى حين أدار هو قرص
الهاتف ، وطلب التحدث إلى الجنرال (فاسيلوف) شخصيًا ، ولم يكده
بسمع صوته ، حتى قال فى احترام :
- معذرة للاتصال أيها الرفيق الجنرال ، ولكن هناك أمر أحب

التيقن منه .. هل منحت تفويضاً شاملاً للرفيق (ناديا
مينوفيتش) ؟

اعتدل (فاسيلوف) خلف مكتبه ، وقال :

- نعم . هذا صحيح . إنه تفويض شامل عام ، بمنحها كل
الصلاحيات الممكنة ، ويلزمك بالتعاون معها ، ومنحها كل ما تطلب

قال الرجل في حذر :

- مهما كان أيها الرفيق الجنرال ؟

أجابه في حزم :

- نعم أيها الرفيق .. مهما كان .

ثم سأله في لهفة :

- المهم .. هل الرفيق (ناديا) بصحبك الآن ؟

قال الرجل في دهشة لئلا تلك اللفظة :

- نعم أيها الرفيق الجنرال .. إنها هنا .

قال (فاسيلوف) بنفس اللفظة :

- دعني أتحدث إليها إذن .

ناول الرجل السماعة إلى (ناديا) ، وهو يغمغم

- الرفيق الجنرال يرغب في التحدث إليك ، اينها الرفيق

(ناديا) .

التقطت منه سماعة الهاتف ، ورمقته بنظرة حزمة صارمة ،

فنهض من خلف مكتبه ، وهو يقول :

- أعتقد أنه من الأفضل أن . (حم .. أن اعد الهنيوكوبتر

راقبه حتى غادر المكتب وأغلقه خلفه . ثم وضعت السماعة على

أفنها ، وقالت :

- رهن إشارتك ياسيدى الجنرال .

سألها (فاسيلوف) في اهتمام :

- ما آخر الأخبار ؟ .. ماذا حدث عندك ؟

أجابته في لهجة حاسمة :

- الرجل ليس عادياً .. إنه يقاتل كفرقة حربية كاملة ، وأنا في

طريقي إليه الآن ، وسيفتحي كل شيء على ما يرام .

سألها في اهتمام :

- أنت واثقة ؟

قالت في حزم :

- اطمئن ياسيدى الجنرال .

قال في صرامة :

- الأمر بالغ الخطورة يا (ناديا) .

كررت في ثقة :

- اطمئن .

تتهدد وقال :

- أتمنى لك حظاً سعيداً .

أنهى المحادثة معها ، وتطلع في صرامة إلى جهاز التصنت

الصغير ، الذي كشف رجاله وجوده ، ثم التفت سماعة الهاتف مرة

أخرى ، وأدار رقم السفارة الإسرائيلية ، ثم أضاف إليه رقماً زائداً ،

فسمع صوت (أندريه) يقول :

- (أندريه رابين) .. من المتحدث ؟

ابتسم (فاسيلوف) ، وهو يقول :

- واصدقنى (أندريه) .. عدى لك أخبار سارة .

سأله (أندريه) فى لهفة :

- ماهى ؟

قال (فاسيلوف) فى خبث :

- لا يا عزيزى (أندريه) .. من الخطأ أن ينقل المرء أسراراً بهذه
الخطورة ، عبر أسلاك الهاتف .. سلتنى أنا . اسمع .. إننى أنتظرك
فى مكتبى .

هتف (أندريه) :

- سأحضر على الفور .

ابتسم الجنرال (فاسيلوف) ، وهو ينهى هذه المحادثة ، والتقط
جهاز التصنت الصغير ، وهو يقول :

- صدقنى يا عزيزى (أندريه) .. إننى أنتظرك بالفعل على أحر

من الجمر ، لتدفع الثمن .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطرداً :

- وهو ثمن عادل .. عادل للغاية ..

★ ★ ★

توقف (أدهم) لحظات يراقب الجيش الصغير ، الذى يتجه

لجوه ، وهو يفكر فى الأمر بمرعة كبيرة ..

من الواضح أنهم يبخنون عنه بالدات ، فهم يقتلون الآثار ، على

الأضواء الكاشفة ، ويفحصون كل شبر من الأرض ، ويحملون

مدافعهم الآلية فى تحفّز واضح .

وهناك وسيلة واحدة للإفلات منهم ..

التستر بالظلام ..

ولكن (بوشكا) تحتاج إلى التدفئة حتماً ، وإلا لقيت مصرعها من
شدة البرد ..

والوسيلة الوحيدة لديه لتدفئتها هى النيران ..

وفى مثل هذه الحالة ، يكون إشعال النيران أشبه بالانتحار ..

وعليه أن يتخذ القرار ..

إما أن يسعف (بوشكا) ، أو يفلت بعنقه من هذا الجيش
الصغير ..

واتخذ (أدهم) قراره ..

وفى حزم ، واصل جمع الأغصان ، ثم اتجه بها حيث ترقد

(بوشكا) ، ووضعها إلى جوارها ، ثم التقط قاذفة اللهب ، وأشعل

بها النيران فى الأغصان ..

ومن بعيد ، هتف أحد الجنود :

- ها هو ذا .

توقف الجنود كلهم عن البحث ، عندما رأوا النيران ، واتجهوا

كلهم فى حزم إليها ..

ولكن النيران اشتعلت بفتة فى مكان آخر .

وتوقف الجنود ، وراحوا يلقون أبصارهم من نقطة إلى أخرى ،

فقال قائدهم فى حزم ، وهو يشير إلى بقعة النيران :

- انقسموا إلى فريقين ، وليذهب كل منهما إلى اتجاه ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، اشتعلت بقعة نيران ثالثة ، فهتف الرجل فى

توتر :

- اللعنة !.. ماذا يحدث هنا بالضبط ؟

لم يكن أحدهم يعلم أن (أدهم) كان يدعو بأقصى سرعة ، من نقطة إلى أخرى ، في مساحة واسعة ، ويشعل النيران في أماكن متفرقة ، ليشتت انتباه الجيش الصغير وأفراده ..
كان يطبق - بمنتهى البساطة - تلك القاعدة الشهيرة ..
فرق تسد ..

ومع كل بؤرة نيران جديدة يشعلها (أدهم) ، كان قائد الجيش الصغير يقسم جيشه ، إلى عدد أكبر من الفرق ، بقدر عدد بؤر النيران ، حتى صاح في النهاية في غضب :
- أي عبث شيطاني هذا ؟.. تلك الرجل يسخر منا .
وفي نفس اللحظة ، التي نطق فيها هذه العبارة ، كان (أدهم) قد عاد إلى نفس النقطة ، التي ترك عندها (بوشكا) ، وكانت النيران التي أشعلها إلى جوارها قد خبت أو كانت ، في حين لم تغير هي من رقدتها ، وقد بدت وكأنها قد استسلمت لنوم عميق ، فالتحنى إلى جوارها ، وهمس :

- (بوشكا) .. كيف حالك الآن ؟

فتحت عينيها في ضعف ، وتطلعت إليه ، ثم قالت بصوت واهن متهاك :

- مازلت أشعر بالبرد .

ابتسم وهو يقول :

- ولكنك أفضل من الأول .. هذا يبدو واضحاً .. لقد جفت ملايك

إلى حد ما .. أليس كذلك ؟

قالت وهي تسبل جنتيها مرة أخرى :

- لست أرى .. أشعر وكأنني كنتوت سقط في وعاء شرابه .
لم تكذب عبارتها ، حتى انتبه (أدهم) إلى وقع أقدام فرقة من الجنود ، تقترب من موقعه ، فربّت على كتف (بوشكا) في حنان ، وقال :

- انتظريني قليلاً ، ولا تقلقي .. سأتم عملاً صغيراً ، وأعود إليك على الفور ، لنبتعد عن هذا المكان .
أومات برأسها مستسلمة ، ثم استكانت مرة أخرى ، وكأنها استغرقت في النوم ، فنهض هو بسرعة ، وابتعد عنها بقدر الإمكان ، وهو يستعد للعب دور جديد ..
كان كل هدفه هو أن يبعد الجنود عن موقعها ، ويقتلهم بعيداً عنها ، ليمنحها فرصة استعادة قوتها وصحتها ، قبل أن يستعد معها لبدء جولة جديدة من المطاردة ..
والمحاولة ..

ولكن رجال الفرقة الصغيرة ، المكونة من خمسة عشر رجلاً ، كانت تتجه مباشرة إلى حيث ترقد (بوشكا) ..
لقد اختاروا بقعة الديران الحايبة ، المجاورة لها ، كهدف أول لهم ..

وفجأة ، هتف (أدهم) :

- من هنا أيتها الأوغاد ؟

استدار خمسة عشر جندياً دفعة واحدة إلى حيث هتف (أدهم) .

ثم ارتفعت فوهات مدافعهم الآلية نحوه ، ولكنه انطلق يعدو فجأة مبتعداً ، فصاح قائد الفرقة :

- خلفه يا رجال .

انطلقوا جميعاً خلف (أدهم) ، وهم يطلقون نيران مدافعهم الآلية ، ولكنه جرى في خط متعرج ، حتى بلغ نقطة اختارها مسبقاً ، ثم توقف ، وانتزع من حزامه قبلة يدوية واحدة ، واستدار يواجه الفرقة كلها ..

كان يواجه خمسة عشر رجلاً ..

وبقبلة ..

قبلة واحدة .

★ ★ ★

مدير
الفرقة
قائد
الفرقة
مدير
الفرقة
قائد
الفرقة

٢٠ - رجل واحد ..

طرق النقيب (حازم) باب حجرة مدير المخابرات في هدوء ، وانتظر حتى سمع هذا الأخير يقول في صوت يحمل رنة شاردة :

- ادخل يا (حازم) .

دخل (حازم) إلى حجرة المدير ، وهو يقول :

- النقيب (حازم) في خدمتك ياسيدي . لقد حصرت فور أن ... قاطعه المدير ، وهو يشير إلى المقعد المقابل لمكتبه .

- اجلس يا (حازم) .

سأله (حازم) في اهتمام وهو يتخذ مجلسه .

- ماذا هناك ياسيدي ؟

شبك المدير أصابع كتفيه أمام وجهه ، وظل يتطلع إليه لحظة في صمت ، ثم سأله :

- هل تعرف (أدهم صبرى) جيداً ؟

هز (حازم) كتفيه ، وقال :

- أعتقد هذا .

اعتدل المدير ، وهو يسأله في اهتمام :

- ماذا تفعل إذن لو كنت مكانه .. إلى أى مكان تذهب ؟

سأله (حازم) في دهشة :

- لماذا هذا السؤال ياسيدي ؟ ألم يجتمع الخبراء ، و ..

قاطعه المدير :

- دعك من آراء الخبراء .. إننى أسألك عن (أدهم) بالذات ، وهو ليس شخصاً نمطيًا ، يمكنك أن تطبق عليه آراء المحترفين .. أليس كذلك ؟

أوماً (حازم) برأسه ، وقال :
- هذا صحيح تمامًا .

نهض المدير من خلف مكتبه ، وأشار إلى خريطة العالم الضخمة ، التى تحتل - تقريبًا - أحد جدران مكتبه ، وقال :
- صحيح أن المنطق يؤيد ذهابه إلى (ليننجراد) ، فى محاولة لعبور خليج (فنلندا) ، والفرار من (الاتحاد السوفيتى) ، ولكن الأعمال التى قام بها (أدهم) قديمًا ، تشير كلها إلى أنه لا يتبع الخط المنطقى فى معظم الأحيان ، وهذا ما يثير دهشة وتوتر خصومه دائمًا ، وهذا يعنى أنه لن يتجه حتمًا إلى حيث يتوقع الجميع .

ابتسم (حازم) ، وقال :

- إننى أشاركك هذا الرأى ياسيدى .

قال المدير :

- عظيم .. فى هذه الحالة ، أين تتوقع أن يذهب (أدهم) ؟

صمت (حازم) لحظات ، وهو يتطلع إلى الخريطة ، ثم أشار إلى (ستوكهولم) فى (السويد) ، وقال :
- هنا .

ابتسم المدير فى ارتياح ، وكأنما جاء اختيار (حازم) متفقًا معه فى الرأى ، ولكنه ، على الرغم من هذا ، سأله فى اهتمام :
- ولماذا (ستوكهولم) بالذات ؟

أجابه (حازم) :

- إنه يستطيع تغيير مساره إلى الغرب قليلًا ، ويتجه إلى (نالين) أو (أستونيا) ، ومنها يبحر مباشرة إلى (ستوكهولم) ، وهناك مسجد شقيقه .

قال المدير :

- الدكتور (أحمد صبرى) ؟

قال (حازم) :

- نعم .. إنه طبيب شاب ، ولكنه حصل هناك على درجة علمية رفيعة ، فى جراحات المخ والأعصاب ، و (أدهم) يستطيع أن يتجه إليه مباشرة ، عند وصوله إلى هناك .

هز المدير رأسه متفهمًا وموافقًا ، ثم عاد يتطلع إلى الخريطة ، وهو يقول :

- هذا ما توقعته بالضبط . ارسل إنى برقية أخرى ، لمندوبنا فى (ستوكهولم) ، مثل تلك التى أرسلتها إلى رجلنا فى (هلسنكى) .. ولنستعد لاستقبال (أدهم) فى أى من العاصمتين

وشدد ببصره لحظة ، ثم أضاف :

- هذا لو أنه ما يزال على قيد الحياة .

وكان المدير على حق ..

هذا لو أن (أدهم) ما يزال على قيد الحياة ..

لو ..

★ ★ ★

عندما رأى رجال الفرقة (أدهم) أمامهم ، يحمل قنبلة يدوية .

ويهم بالقها نحوهم ، استعداد كل منهم لتفادي انفجارها ، ومواصلة القتال والمطاردة ..

وألقى (أدهم) قنبلته ..

وأدهشهم أنه لم يلقيها تجاههم مباشرة ، وإنما على بعد عدة أمتار منهم ، وتصوروا أنهم يواجهون رجلاً لا خبرة له بالقنابل اليدوية واستخداماتها ، و ...

وانفجرت القنبلة ..

ومع انفجارها ، أترك الرجال أنهم أخطئوا ..

إن غريمهم خبير باستخدام القنابل ..

بل هو ذاهية ..

لقد انفجرت القنبلة على بعد متر واحد ، فوق السطح المتجمد للبحيرة ، التي قادهم إليها دون أن ينتبهوا .

ومع الانفجار ، تشقق الحليد كله دفعة واحدة ، وتحطم .. وسقط الجنود ..

سقطوا في البحيرة المتجمدة ، بكل الأسلحة والعتاد الذي يحملونه ..

وعندئذ ، نسي أفراد الفرقة (أدهم) ..

سوا كل شيء ، إلا القتال من أجل أرواحهم .

ولم ينتظر (أدهم) حتى يتذكروه ..

لقد انطلق يشق طريقه وسط الأشجار والثلوج ، متفادياً كل يؤر النيران التي اشعلها ، ليدور حولها كلها ، في مناورة التكافية ذكية ، وبارعة ..

فصوت انفجار القنبلة وإطلاق النيران ، جذب الفرق الأخرى كلها إلى اتجاه البحيرة ، في حين تحرك هو نحو آخر فرق الجيش الصغير في المؤخرة ..

وفجأة ، وبون سابق إندار ، انقض (أدهم) على آخر سيارة في القافلة ..

كان هناك سائق وجندي واحد ، يجلسان في مقصورة السيارة ، عندما هبط عليها (أدهم) بفتة ، وانتزع السائق من مقعده ، وهو يقول :

- نهاية الخط يا صاح .

وأعقب قوله بكلمة كالقنبلة ، هشمت أنف السائق ، وألقته فقد الوعي ..

وبسرعة ، حاول الجندي الآخر أن يدير قوهة مدفعه الالى تجاه (أدهم) ، ولكنه فوجئ بهذا الأخير ينتزع منه مدفعه كله ، وهو يقول :

- لا يا صديقى . من الخط أن تلهو بالأسلحة النارية في المساء . وهوى بكعب المدفع على فك الجندي ، وأسقطه بدوره فقد الوعي ، ثم انتزع معطفه وقبعته الرسميين ، وأبدلهما بمعطفه الميلل ، ثم انتزع معطف السائق ، وهو يدير محرك السيارة ، مغمغماً في سخرية ، ومستعيداً غلبة القسمة والميكرو فيلم من معطفه :

- مرحى يا (بوشكا) .. لقد حصلت على معطف جديد .

وأطلق العنان للسيارة ، وهو يخترق صفوف الجنود ، هاتفا بلعة روسية سليمة :

- تراجعوا جميعاً .. هناك أمر من القيادة بالانسحاب .
تردد الجنود ، وارتبكوا إزاء هذا النداء ، الذى لم يلبث أن بلغ قائدهم ، فعقد حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :
- أمر بالانسحاب . من قل هذا ؟ .. ولماذا لم يتصل بى القائد الأعلى مباشرة ؟
هتف به (أدهم) ، وهو يبتعد بالسيارة ، متجها إلى حيث ترك (بوشكا) :
- إنه ليس اتصالاً لاسلكياً . لقد أرسلوا مندوباً شخصياً فى المؤخرة ..
ثم عاد يكرر الهتاف :
- تراجعوا .. انسحبوا .. تراجعوا .
توقف الجنود فى أماكنهم ، وقد أصابت الحيرة معظمهم ، فى حين انهمك البعض فى انتشال زملائهم من البحيرة المتلجة ، وقال القائد فى حدة :
- ما الذى يعنيه بالانسحاب الآن ؟ .. إننا نكاد نضع أيدينا على الجاسوس دعونى أعِد إلى المؤخرة ، وألتقى بذلك المأفون ، الذى حمل الأمر .
قالها وعاد فى خطوات سريعة إلى المؤخرة ، ليلتقى بذلك المبعوث الوهمى ، فى حين أوقف (أدهم) السيارة إلى جوار (بوشكا) ، وهبط يحملها فى رفق ، ويضعها داخل الصندوق الخلفى ، وهو يقول فى ضعف :

- (مير) .. لا تنس (مير) .
التقط الكلبة ، ووضعها بين ذراعيها ، وهو يقول :
- اطمئنى .. ها هى ذى .
ثم ناولها معطف السائق ، وهو يقول :
- أهدلى بمصطفك المبتل هذا .
اعتذلت وكأنها استعانت نشاطها بغثة ، وأمسكت معطف السائق فى استكثار ، وهى تقول :
- هذا المعطف ؟! .. أنا (بوشكا) ، أرتدى هذه الأسمال .
زفر فى حلق ، وهو يغمغم :
- يا للنساء !!
وهنا نبحت (مير) فى وجهه بغضب ، وكأنها تعلن وقوفها مع سيئتها ضده ..
ومع نباحها ، التفت الجميع إلى السيارة فى دهشة ، وتوقف القائد ، قبل أن يواصل طريقه نحو المؤخرة ، واستدار بسرعة ، قائلاً :
- أهو صوت نباح ؟
وصاح أحد الجنود :
- هذا الرجل ليس أحد سائقينا .. إنه الجاسوس
انعقد حاجبا القائد فى غضب ، وقد فهم الخدعة بغثة ، وصرخ :
- أوقفوا هذا الرجل .
انطلق كل الجنود يجرون نحو (أدهم) ، وهم يطلقون النار ، فوثب داخل مقصورة القيادة ، وهو يهتف بـ (بوشكا) :

- تشبّثي أيتها الرفيق العنيدة ، فأمامنا رحلة جديدة .

وانطلق بالسيارة ، فصاح القائد :

- كل السيارات خلفه .

قفز الجنود إلى سياراتهم ، وصحبهم القائد ، و ...

وبدأت المطاردة من جديد .

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفّتي الجنرال (فاسيلوف) . وهو

ينهض لاستقبال (أندريه) في مكتبه ، قائلاً :

- مرحباً يا صديقي (أندريه) .. كنت أخشى ألا تأتي .

ابتسم (أندريه) ، وهو بصافحه قائلاً :

- مستحيل يا عزيزي الجنرال .. كان الفضول سيقتلني لو لم

أفعل .

رفع (فاسيلوف) حاجبيه ، في حركة مسرحية مصطنعة ، وهو

يقول :

- حقاً ؟

اتخذ (أندريه) أحد المقاعد ، وهو يقول :

- ما الجديد لديك يا جنرال ، بشأن ذلك الجاسوس ؟

نهض (فاسيلوف) من خلف مكتبه ، وهو يقول :

- رويدك يا عزيزي (أندريه) قليتناول كاساً من (الفودكا)

أولاً ..

وصب كأسين من (الفودكا) ، وهو يسأل (أندريه) :

- هل ترغب في إضافة بعض الثلج ؟

هز (أندريه) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- كلا .. يكفيني مايحيط بنا من ثلوج .

ناولته (فاسيلوف) كأسه ، وهو يقول :

- ولكن هذه الثلوج تختلف .. فالمشروبات المتلّجة تبعث في

أجسادنا الدفء في الشتاء (*) .

النقط (أندريه) كأسه ، وارتشف منه رشقة كبيرة ، وهو يقول :

- يكفيني دفاً صداقتكم يا جنرال ،

راقبه (فاسيلوف) وهو يرتشف كأسه ، وابتسم في غموض ،

قائلاً :

- أهذا ما تشعر به حقاً يا عزيزي (أندريه) ؟

هتف (أندريه) في حماس مصطنع :

- بالطبع يا جنرال .. هل تشك في هذا ؟

اتسعت ابتسامة (فاسيلوف) ، وهو يعود ليستقر خلف مكتبه ،

وجرع (أندريه) ما تبقى من كأسه ، ثم وضعه على المنضدة

الصغيرة أمامه ، وهو يسأل في اهتمام :

- والان ما الجديد حول ذلك الجاسوس ؟

رمقه الجنرال بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

- ألا تعرف حقاً يا (أندريه) ؟

ابتسم (أندريه) في مكر ، وهو يقول :

- وكيف لي أن أعرف يا جنرال ؟

(*) حقيقة علمية ، فالمشروبات العسبة المتلّجة ، تؤدي إلى حدوث ارتجافة خاصة .

تبعث على الدفء .

فتح (فاسيلوف) درج مكتبه ، والتقط منه جهاز التصنت الصغير ، ورفع أمام وجهه ، وهو يقول فى برود :
 - بوساطة هذا الشيء ، الذى زرعت فى مكتبى ، ايمكنك التصنت على كل أحاديثى . إنه يخصك .. أليس كذلك ؟
 امتنع وجه (أندريه) لحظة ، وهم يقول شيء ما ، ولكن (فاسيلوف) أضاف فى سرعة :
 - لا تحاول الإنكار يا عزيزى (أندريه) ، فقد وجدنا بصماتك عليه ، ثم إنه من نفس الطراز الذى تستخدمونه عادة .
 نقل (أندريه) بصره لحظات ، ما بين وجه (فاسيلوف) وجهاز التصنت ، ثم اعتدل فى مجلسه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :
 - فليكن يا جنرال .. أنا وضعته هنا ،
 ثم استترك فى عصبية :
 - وهذا ليس بالأمر العجيب .. كل الدول تسعى لهذا .. لا توجد دولة لم تحاول التجسس على دولة أخرى ، مهما بلغت درجة صداقتها ، وأنت تعلم هذا .
 هز (فاسيلوف) كتفيه ، وقال :
 - بالتأكيد .. إنه عرف دولى .
 ثم مال إلى الأمام ، مضيفا :
 - ولكن لكل دولة أسلوبها ، فى الاعتراض على هذا ، أو القضب منه .
 وعاد يتراجع فى مقعده ، وهو يلوح بكفه ، مستطرذا :
 - نحن أيضا نستخدم أسلوب التصنت والتجسس . خذ سفارة

بولتك مثلا .. لو أنك فتشناها ، فستجد جهازين للتصنت ، أحدهما فى حجرة السفير ، والأخرى فى حجرة المستشار العسكرى .. إنه أمر حتمى كما قلت .
 هتب (أندريه) :
 - رأيت ؟
 ثم انعقد حاجباه بغتة ، مع ذلك الدوار ، الذى شعر به ، وهو يقول فى توتر :
 - ولكن .. لماذا تخبرنى بهذا يا جنرال ؟ ما الذى يعنيه كشفك لهذا السر ؟
 ابتسم (فاسيلوف) ، وهو يعتدل ، ويستند بمرفقيه إلى سطح مكتبه ، ثم بضغط زر سكرتيره الخاص ، وهو يقول :
 - يعنى أنه لم يعد من الخطر أن تعلم يا عزيزى (أندريه) ، لأنك لن تحيا حتى تخبر الآخرين .
 اتسعت عينا (أندريه) فى ذعر ، وهو يقول :
 - جنرال (فاسيلوف) .. لا يمكنك أن ...
 أشار إليه (فاسيلوف) بالصمت ، وهو يقاطعه قائلا :
 - لا يوجد ما لا يمكننى فعله يا عزيزى (أندريه) .. أعلم أنك تحمل جواز سفر أحمر ، ولكنك لست أحد العاملين الرسميين بالسفارة .. ثم إتنا لن نفكك بوسيلة تقليدية سخيفة .. سيكون مصرعك فى شكل حادث عرضى تماما .. مجرد أزمة قلبية ، وأنت تقود سيارتك .
 بدأ (أندريه) يشعر بألم فى كتفه وذراعه اليسرى ، وتلاحقت أنفاسه على نحو عجيب ، وهو يقول :

- ولكن .. ولكن كيف ؟

هز (فاسيلوف) كتفيه ، وقال :

- كأس (الفودكا) الذى شربته الآن .

جحظت عينا (أندريه) ، وهو يقول :

- ولكنك .. ولكنك شربت من الزجاجاة نفسها .

ابتسم (فاسيلوف) فى شيء من الزهو ، وهو يقول :

- ليس الزجاجاة ، ولكن الكأس . لقد ظلمناها بعقار خاص ، بذوب

فى الكحول ، ويتحول الى مادة تتسبب فى حدوث أزمات قلبية قاتلة ،

ولا يمكن كشف وجودها فى الدم . وعندما جفت الكاس ، لم يعد

هناك أثر للعقار ، حتى أصفنا إليه قليلاً من (الفودكا) .

وأطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

- فكرة عبقرية .. أليس كذلك ؟

أمسك (أندريه) صدره بيده ، وهو يحاول النهوض ، قائلاً :

- أيها الوغد الحقيقى ...

بتر عبارته بغتة ، واحتقن وجهه فى شدة ، ثم تروح ، وهوى جثة

هالمة .. وفى هدوء ، تحرك (سباسكى) ، الذى كان يقف صامئاً

عند الباب ، منذ استدعاه (فاسيلوف) ، وانحنى بفحص نبض

(أندريه) ، ثم نهض قائلاً فى هدوء :

- لقد مات .

مط (فاسيلوف) شفثيه ، وقال :

- مسكين .. كن ينبغي أن يهتم أكثر بقلبه المريض .. ولكنه

قدره .. هيا .. انقلوه إلى سيارته ، ونفذوا الخطة التى وضعناها

وتنهذ فى ارتياح ، ثم تراجع فى مقعده ، واتسعت ابتسامته .

وهو يستطرد :

- والآن لم يتبق لنا سوى ذلك الجاسوس ، وبعدها تكون قد ربحتنا

اللعبة .

وتألفت عينا ، وهو يضيف فى حزم :

كلها

استطاع (أدهم) بالسيارة فى قلب الثلوج ، بأقصى سرعة

ممكنة ، وخلفه ثلاث سيارات مكنظة بالجنود

وتطايرت الرصاصات من حول السيارة ، وأصابت جسمها فى

مواضع شتى ، إلا أن (أدهم) كان يناور بمهارة مذهشة . اثار

ذهول خصومه ، وهم يبذلون قصارى جهدهم للحاق به ..

وكان الجليد زلقاً كثيفاً ، ولكنه لم يحاول التحفيف من سرعته .

بل سيطر على عجلة القيادة فى قوة ، واتجه مباشرة نحو منطقة

تكاثفت عندها الأشجار ، فهتف قائد الجنود فى دهشة .

- أى جنون هذا .. إنه ينتحر .

صاح أحد الجنود :

- ينبغي أن نمنعه من بلوغها .

هتف القائد :

- فليكن .. أطلقوا صواريخكم .

كان هذا الأمر يسعدهم كثيراً ، فهو يمنحهم حق القنال بأقصى

إمكانية متوفرة . وأحدث ما أضافه الحبراء السوفيت إلى السيارات

نصف المصفحة ..

الصواريخ ..

وانطلقت ثلاثة صواريخ خلف سيارة (أدهم) ، ولكن المسار المتعرج ، الذي يتخذه هذا الأخير ، جعل أحد الصواريخ الثلاثة انفجر إلى يمينه ، على مسافة مترين ، في حين انفجر الصاروخ الثاني خلفه بمتر واحد .

أما الثالث ، فقد أصاب الهدف إلى حد ما ..

أصاب الجزء الأيمن من مقصورة القيادة ، وانترع رفرقها في عنف ، ثم انفجر أمام السيارة بمترين لحسب ، حتى أن شظاياها ارتطمت بالزجاج الأمامي لها ، وأحدثت إصابات واضحة فيه ، فعقد (أدهم) حاجبيه ، وقال :

- إذن فقد استقلنا إلى مرحلة القتال بالصواريخ

وألقى نظرة فاحصة سريعة على لوحة القيادة ، ثم ابتسم في سخرية ، قائلاً :

- عظيم .. هذه السيارة أيضا تحمل صاروخين

وضغط الفرامل بغتة ، وهو يستطرد :

- لماذا لا نشترك في القتال إيجابياً إذن ؟

وأدار عجلة القيادة إلى اليمين في قوة ، مع ضغطة الفرامل ، فدارت السيارة حول نفسها في عنف ، وأصبحت فجأة تواجه السيارات الثلاثة المطاردة ، التي أصيب سائقوها بالدهشة والجزع ، فهتف أحدهم :

- ما هذا بالضبط ؟

وصاح الثاني :

- هل أصيب الرجل بالجنون ؟

أما قائدهم وحده ، فقد أدرك ما يحاوله (أدهم) ، وصاح برجاله :

- تفرقوا .. إنه ...

ولكن (أدهم) ضغط زر الإطلاق ، قبل أن يتم القائد صيحته ..

وانطلق الصاروخ ..

ونوى الانفجار ..

انفجرت واحدة من السيارات الثلاث في عنف ، في حين انفصلت السيارتان الأخريان عن بعضهما ، وصرخ القائد داخل أحدهما - أطلقوا الصاروخ الثاني .

وفي نفس اللحظة ، مرقت سيارة (أدهم) بين السيارتين ، اللتين استدارتا لتواجهاه مرة ثانية ، ولكنه لم يكد ويتعد عدة أمتار ، حتى عاد يستدير لمواجهتهما ..

وانطلق صاروخ من كل سيارة ..

واحد من سيارة (أدهم) ، وصاروخين من سيارتي الجيش .

وانحرف (أدهم) جانباً ، وتجاوز أحد الصاروخين ، في حين

أصاب صاروخه سيارة القائد ، ونسفها نصفاً ..

أما صاروخ الجيش الثاني ، فقد لحق بسيارة (أدهم) ، وارتطم بصندوقها الخلفي ..

وانفجر ..

وسمع (أدهم) نوى الانفجار من خلفه ، يمتزج بصرخة

(بوشكا) ، ونياح (ميرا) ، وشعر بالسيارة تففر الى الامام ،
وتكاد تنقلب رأس على عقب ، فبدل جهدا خرافيا للسيطرة عليها ،
وهو يهتف :

- (بوشكا) .. أنت بخير ؟

صاحت به من الداخل :

- لقد تحطم جانب من هذا الصندوق امامى فحوة مخيفة ،
ولكننى و (ميرا) بخير .. اطمئن .

تنفس الصعداء لنحتهما ، واولى اهتمامه الى الميرة الثالثة
والاخيرة ، اتى برز منها خمسة من الجنود ، راحوا يطلقون النيران
نحوه فى غضب وحشى شرس ..

وفى نفس اللحظة ، برز ما قلب الأمور رأسا على عقب .
لقد ارتفعت فى السماء طائرة هليكوبتر حربية
هليكوبتر تقودها (ناديا مينوفيتشى) ..

ومن اللحظة الاولى ، ادركت (ناديا) ان (ادهم) يقود تلك
السيارة ، التى تناور فى مهارة مذهشة ، فانقضت عليها مباشرة .
و ..

وتضاعف الخطر .

★ ★ ★

٢١ - الصواريخ ..

شيك الرئيس السوفيتى اصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يراقب
هاتفه فى سرود ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :
- لا .. لا يمكن التهاون فى هذا .

سأله وزير الدفاع ، الذى يراقبه فى صمت ، منذ ربع ساعة
كاملة :

- أى إجراء تتوى اتخذه ، ايها الرفيق الرئيس ؟

التفت إليه الرئيس ، وقال :

- ما زلت لا أجد أى تفسير منطقى ، لوجود قسمة كاملة بأسماء
عملاننا فى (مصر) ، مع أفلام (ميكرو فيلم) تحوى صورهم
جميعا ، فى مكتب (فاسيلوف) ، فى لحظة نادرة ، يتصادف أن
يقفح فيها جاسوس اجنبى ، لأول مرة فى تاريخنا ، مبنى ال (كى
حى . بى) ، الذى لايجرو سوفيتى واحد على العنور امامه ثم
يختطف ذلك الجاسوس القسمة وافلام (الميكرو فيلم) ، وينجح فى
الفرار من المبنى الحصين وكده يعبر أسوار مدرسة ثانوية
قريبة ، وبعدها يسد (فاسيلوف) مهمة مطاردة ذلك الجاسوس الى
حارسه الخاصة .. هل تدرى كم من الاخطاء فى كل هذا ايها الرفيق
الوزير ؟

مط الوزير شففيه ، وقال :

- هناك اخطاء تكفى لإعدام فرقة حربية كاملة

لوح الرئيس بكفه ، وهو يقول فى حدة :

- ثم إن القصة كلها لا تبدو لى منطقية .

وافقه الوزير بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- إنها تبدو أشبه بفيلم من الأفلام الهزلية الأمريكية ، التى تسخر

من رجال مخابراتنا .. أكاد أقسم إن كل هذا ملفق .

قال الرئيس فى حزم :

- أنا أشاركك هذا رأى .

ثم مال نحوه ، مستطرذا فى اهتمام :

- ولكن ما الذى تقترحه فى هذا الشأن ؟

أجابه الوزير بلا تردد :

- (فاسيلوف) يحتل مصبا شديد الخطورة والحساسية .

ولا يصح أبدا أن تحيط به ذرة واحدة من الشك .

هز الرئيس رأسه ، وقال :

- أنت على حق .

وأشار بسبابته أمام وجهه ، وهو يتابع :

- ولكن عزل مدير المخابرات أيضا ليس بالقرار الهين . أليس

كذلك ؟

قال الوزير :

- بالتأكيد .. لابد من دليل قوى .. لن تقبل اللجنة المركزية بأقل

من هذا .

قال الرئيس فى حزم :

- يمكنك أن تقول : إننى أمتلك مثل هذا الدليل

اعتدل الوزير فى مقعده ، وهو يقول :

- حقا ؟ وماذا تنتظر إذن ؟ أصدر أمرا باعتقاله على الفور .

هز الرئيس رأسه نفثا ، وقال :

- لا .. ليس الآن .

وأسند ظهره كله إلى مسند مقعده ، وشرذ ببصره مرة أخرى .

قبل أن يتابع :

- إننى أنتظر النهاية ، فهى وحدها ستحدد قوة هذا الدليل

وأطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

- وسيدعشك أيها الرفيق الوزير ، أن مصير (فاسيلوف)

وحارسته الخاصة أصبح يتعلق الآن بأمر شخص يمكنك أن

تصوره .. بالجاسوس .. الجاسوس الهارب نفسه .

وعقد الوزير حاجبيه ، وهو يتطلع إليه فى حيرة ، وقد بدت له

ابتسامته غامضة ..

غامضة جدا ..

★ ★ ★

لم يكذبصر (ناديا) يقع على السيارة الحربية ، التى يقودها (أدهم)

وسط الثلوج ، حتى تفجر فى أعماقها كل الغضب والثورة الكامنين ،

منذ مواجهتها الأولى معه ، وانقضت على السيارة فى شرسة

وحشية ، وراحت تمطرها برصاصات الهليوكوبتر بلا هوادة ..

ومال (أدهم) بالمسيارة يمنا ويسارا ، متفاديا الرصاصات

والمسيارة الأخرى ، ولكن الكثير من الرصاصات ارتطم بجسم

سيارته ، وجعل (بوشكا) تصرخ ، وتصرخ ، وتصرخ .

ثم ضغطت (ناديا) أزرار الاستعداد لإطلاق احد صاروحي الهليوكوبتر ، وهي تهتف :

- أقسم أن أسحقك هذه المرة ، أيها الجاسوس القدر
ولكن (أدهم) واصل انطلاقة ومراوغته ، متجها نحو منطقة
الأشجار الكثيفة ، التي رأى فيها الأمل الوحيد في النجاة ، من
هليوكوبتر (ناديا) ..

وفي إصرار ، طارسته السيارة الأخرى ..

وأطلقت (ناديا) صاروخها ..

وكان الصاروخ مصوبا نحو سيارة (أدهم) تماما ، (إلا أن هذا
الأخير تحج في الانحراف يسارا ، في اللحظة الأخيرة ، ورأى
الصاروخ يمرق إلى جواره ، ويتفجر بين الأشجار
وهنا ضغط (أدهم) دواسة الوقود بكل قوته ، حتى بلغ منطقة
الأشجار المتشابكة ، ولحقت به السيارة الأخرى ، التي تطارده في
إصرار ..

وصرخت (ناديا) ، عندما راتهما يختفيا وسط الأشجار

- لا .. لن أسمح له بالفرار هذه المرة أيضا .

حاولت إطلاق رصاصاتها ، ولكن السيارتين اختفتا وسط
الأشجار ، فهتفت :

- اللعنة !

ثم زادت من سرعة الهليوكوبتر ، حتى تحاورت منطقة الأشجار ،
واستدارت تستظر خروج (أدهم) منها ، لتقصص سيارته بصاروخها

الثاني ...

أما (أدهم) ، فقد انطلق بين الأشجار ، في مهارة مذهشة ، وهو
بحاور وياور السيارة المطاردة ، التي أفرغ ركبائها كل غضبهم
وثورتهم عليه ، عبر قوهت مدافعهم الآلية ، في شكل سيل من
الرصاصات ، راحت ترتطم بجسم السيارة ، وجدرانها الداخلية
والخارجية ، فهتفت (بوشك) في خوف وعصبية

- ماذا ستفعل هذه المرة ؟

سألها في سخرية :

- ماذا تقترحين ؟

صاحت محنقة :

- كيف يمكنك أن تسخر ، في مثل هذه الظروف ؟

هز كتفيه ، قائلا :

- أديك وسيلة أخرى ؟

ثم انحرف فجأة بالسيارة ، واسطلق عبر شجرتين كبيرتين ،
فقدت توارسها ، وارتطمت بالجدار الداخلي للسيارة ، وصاحت
غاضبة :

- احترس .. كدت تقتلني .

عبرت بعض الرصاصات الجزء المحطم من جانب الصندوق ،
وارتطمت بالحدار الداخلي ، على قيد سستيمترات منها ، فصرحت
في رعب ، وقال (أدهم) :

- حسن . لن أقتلك أنا . ستوقف وأترك هذه المهمة لهم

صاحت :

- لا .. لا .. انطلق بأقصى سرعة .. لا تتوقف .

انحرفت السيارة الأخرى خلفه ، ولكن جانبها ارتطم بأحدى الشجرتين فى عنف . قبل أن تعبرهما وتواصل المطاردة ، و (أدهم) يدور حول الأشجار ، ويباور فى مهارة مدهشة . وفى الخارج ، كانت (ناديا) تنتظر بالهليكوبتر . وسبابتها متحيرة ، فوق زر إطلاق الصاروخ ، وهى تغمغم :

- هيا أيها الجاسوس اخرج من تلك المتاهة .. إننى أنتظر لم تكن تحتمل الانتظار هذه المرة ، على الرغم من طبيعتها الباردة المتأنية ، فراحت تدور بالهليكوبتر فى دوائر قريبة ضيقة .. ثم فجأة ، تحطرت عضلاتها كلها ، وتألقت عيناها ببريق ظافر عجيب ..

لقد شاهدت سيارة متدفع خارج الأشجار ، وخلفها أخرى تطاردها ، فنخلت عن برودها الشهير ، وصرخت فى فرح جنونى - مرجباً أيها الجاسوس .. خذها من (ناديا) . وضغطت زر الإطلاق بكل قوتها ..

وانطلق الصاروخ .. وفى هذه المرة ، أصاب صاروخها هدفه تماماً ، و .. وانفجرت السيارة .

★ ★ ★

تطلع (إيزاك) إلى ساعته فى اهتمام ، وهو يقف فى انتظار قيام طائفة الخطوط السوفيتية ، المسافرة إلى (ستوكهولم) ، وراح يزفر فى قلب ، ويلتقط أنفاسه فى عصبية ، وهو يغمغم :

- لماذا تأخر إقلاع هذه الطائرة النعينة ؟ .. تباً لشركة الطيران الشيوعية السخيفة هذه .. إنهم بضيعون وقتنا ثميناً .

زفر مرة أخرى ، ثم راح يسترجع آخر كلمات (أندريه) : - لقد أعدت دراسة الموقف كله مرة ثانية يا (إيزاك) ، ووجدت أنه ليس من المنطقى ، فى ظل هذه الظروف ، أن يواصل ذلك الجاسوس طريقه إلى (ليننجراد) ، فى محاولة لعبور خليج (فنلندا) .. إنه ليس شبيهاً ، حتى يتخذ خطوة بتوقعها الجميع .. لقد أصبح هذا الاتجاه محفوفاً بمخاطر لا حصر لها ، بعد أن أدرك الجميع وجهته ، ومن المحتمل أنهم سيحيطون (ليننجراد) والخليج كله بمسوار فولاذى من الأمن ، تعجز فرقة حربية كاملة عن اختراقه .. المنطقى إذن يقول : إنه سينخذ طريقاً آخر .. ولهذا الطريق الآخر شروط أيضاً ، فهو لن يتجه إلى منطقة بعيدة ، حتى لا يتعرض للمزيد من المخاطر ، داخل الأراضى السوفيتية ، بل سيختار منطقة أخرى فى الشمال .. وأفضل مكان يتجه إليه فى رأيى ، هو (ستوكهولم) .. أو أى مكان آخر فى (السويد) ولهذا أريد منك أن تستقل أول طائرة إلى هناك يا (إيزاك) ، وأن تنتظره حيث لا يتوقع .. إننا سنبقى الجميع كالمعتاد بافتى ، وعندما تحين لحظة النهاية ، ستكون نحن من ينزل الستار ..

ترنحت هذه الكلمات الأخيرة فى ذهن (إيزاك) ، وهو يتطلع إلى لوحة المواعيد الضخمة فى المطار ، والتى تعلن عن تأخر موعد إقلاع الطائرة ، لأسباب لم تعلن بعد ، وكرّر فى حلق - تباً لهم .

لم يكذبتم كلمته ، حتى شعر بيد ثقيلة توضع على كتفه ، مع صوت خشن يقول :

- أنت (إيزاك) .. من السفارة الإسرائيلية ؟

التفت في سرعة الى مصدر الصوت ، ورأى امامه رجلين ضخمي الجثة ، تبدو ملامحهما عبيظة صارمة ، وكل منهما يرتد معطفا أزرق داكنا ، فقال في توتر :

- نعم .. أنا (إيزاك) .

ثم استدرك في حدة :

- ولكنني أحمر حواز سفر دبلوماسي ، ولا يحق لكما أن قاطعه أحدهما في لحظة :

- نريد أن نتحدث إليك فحسب .

قال في عصبية :

- بشأن ماذا ؟

أجابه الثاني :

- مجرد اسئلة عادية هل تصحبنا الى الخارج قليلا ؟

قال في حدة :

- مستحيل .. سنقلع ظالرتي بعد ..

قاطعه الرجل في صرامة :

- اطمئن .. لقد أجلتنا إقلاعا من أجلك .

تطعم إليهما في قلق شديد ، وتحسس مسدسه بحركة غريزية ،

ولكن أحد الرجلين قال في قسوة :

- هيا أيها الرفيق (إيزاك) .

٣٠٢

دفعاه في قوة الى الخارج ، وما إن وصلا الى سيارتهما ، حتى جذبهم أحدهم بحركة مباغتة ، وانتزع المسدس من جيب معطفه ، فهتف (إيزاك) معترضاً :

- هذا المسدس مرخص ، ومن حقى أن ..

هوئى الثاني على فكه بكلمة كالفنبلة ، قبل أن يدفعه داخل السيارة ، قائلاً :

- اصمت :

حاول (إيزاك) أن يقاوم ، إلا أن رجلاً تاساً استقبله داخل السيارة بضربة عنيفة على مؤخرة رأسه . جعلته يفقد الوعي على الفور ..

ولم يدر (إيزاك) كم ظل فاقد الوعي بالضبط ، ولكنه استعاد وعيه وجسمه يرتطم بالجلد في منطقة مظلمة ، لا ينبعث فيها الاضواء

مصباحى السيارة ، وحاول أن ينهض ، ولكنه لاحظ أنه مقيد الذراعين خلف ظهره ، وهناك شيء ثقيل معلق بقدميه ، فهتف :

- ماذا ستفعلون بى ؟

أجابه أحدهم في برود :

- لقد سمع الرفيق الجنرال (فاسيلوف) تدخلك أنت وربيسك في شنوتنا الداخلية ، لذا فقد قرر إنهاء خدمتكما في السفارة الإسرائيلية .

هتف (إيزاك) :

- ليس هذا من حقه .

تبادل الرجال الثلاثة ، نظرة ساخرة ، وقال أحدهم :

- لقد انتهى أمر ربيسك بالفعل ، أما بالنسبة إليك ، فلن نحرمك

٣٠٣



انتبه (إيرك) ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أن قدميه مقيدان بسلسلة حديدية إلى
حجر ضخمة ثقيل ، وأن أمامه فجوة كبيرة في الجبل

القيام بالرحلة ، ولكننا غيرنا خط السير فحسب .. إنك لن تسافر إلى
(ستوكهولم) .

وجعله آخر ، وهو يضيف :

- بل إلى الجحيم .

انتبه (إيرك) ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أن قدميه مقيدتان
بسلسلة حديدية إلى حجر ضخمة ثقيل ، وأن أمامه فجوة كبيرة في
الجليد ، تبدو منها مياه البحيرة الباردة الثلج ، فصرخ :

- ليس هذا من حقكم أنا أحمل جواز سفر أحمر .. إتنى ...

ولكن الرجل لم يمنحه فرصة إتمام عبارته ..

لقد ألغاه داخل الفجوة .

وارتطم جسد (إيرك) بالماء المثلج ، وأراد أن يصرخ أو

يقاوم ..

ولكن هبّات ..

لقد جذبه الحجر الثقيل ، المعلق بقدميه ، إلى أعماق البحيرة ،

لتبدأ رحلته الأخيرة ..

رحلة الجحيم ..

انفجرت السيارة بدوى عنيف وسط الجليد ، أثر إصابتها

بالصاروخ ، واشتعلت فيها النيران ، وهي تتقلب ، وتنزلق قليلا ، ثم

تستقر كأتون مشتعل ، في حين تفادت السيارة التالية ذلك الانفجار ،

وتوقفت على قيد أمتار قليلة من السيارة المقلوبة المشتعلة ..

وفي فرحة ظافرة عارمة ، أطلقت (ناديا) صرخة :

.. انتصرت .. قتلتك أيها الجاسوس .

ودارت بالهليكوبتر دورة واسعة ، أشبه بدورة نسر ظافر ، نال على أنتو فريسة دسمة سمينة ، وأخذت تطلق ضحكات هستيرية قوية ، وهي تلوح بقبضتها في نشوة ، ورأت قائد السيارة الأخرى يشير إليها بسبابته ووسطاء علامة النصر ، فدارت دورة أخرى ، ثم هبطت بالهليكوبتر بين السيارتين ..

كانت شديدة الشغف لرؤية ما تبقى من جسد (أدهم) ، بعد أن التهمته الطيران ، فلم تكذ الهليكوبتر تستقر على الأرض ، حتى حلت حرام مقعدها . وابتضفت تعدو نحو السيارة المحترقة ، ووقفت أمامها ترتجف في انفعال

ولكن فجأة ، انبهت إلى أمر عجيب .

لم تكن هناك جثة واحدة محترقة فحسب ..

بل كانت هناك عدة جثث ..

ومن خلفها ، سمعت وقع خطوات تعدو نحوها ..

وفهمت (ناديا) الأمر كله دفعه واحدة ، فانتزعت مسدسها في

سرعة ، واستدارت إلى حيث وقع الأقدام ، صارخة :

.. لا .. مستحيل !

وبوئية رائعة ، ركل (أدهم) مسدسها ، وأطاح به بعيدا ..

وتراجعت (ناديا) كالمصعوقة ، وهي تهتف :

.. مستحيل ! .. إذن فقد أطلقت النار على السيارة الخطأ .

رأت (بوشكا) تغادر السيارة الأخرى من بعيد ، وهي تحمل

(ميرا) ، في حين قال (أدهم) في سخرية :

.. بل أطلقت صاروخك على السيارة الأولى دون تفكير .

ياعزيزتى الرفيق (ناديا) .. وكنت أعلم هذا ، لذا فقد خدعت السيارة الأخرى ، ودرت حولها دورة واسعة ، لأطلق النار على موخرتها ، كما يفعلون في معارك الطائرات ، قبل أن تغادر منطقة الأشجار المتشابكة تماما . ورأيت أنت سيارة تغادر منطقة الأشجار ، وخلفها أخرى ، فتصورت تلقيا أن الأولى هي التي أقودها أنا ، ونسفتها على الفور .

انفقد حاجباها في غضب ، وهو يستطرد :

.. وهكذا نجحت أنا في خداعك ، وجعلت منك أداة لتخليصى من مطاردي .

صرخت في ثورة :

.. هذا لا يعنى أنك انتصرت .

قالتها وانقضت عليه في شراسة ..

واشتبك الاثنان في قتال عنيف ..

والعجيب أن (ناديا) كانت قوية بالفعل ، تقاتل في مهارة وحكمة

وشراسة ، وعضلاتها لا تنقل قوة عن عضلات مقاتل صنديد

إلا أن هذا لا يقارن بقوة (أدهم) ومهارته ..

وخصوصا في اشتباك فردي ..

لقد قاتلت (ناديا) بكل غصصها وثورتها وقوتها ، إلا أنها وجدت

نفسها أخيرا بين ذراعى (أدهم) ، الذى يقول فى سخرية :

.. لا ياعزيزتى الرفيق (ناديا) . ينبغي أن تتضاعف قوتك

مرتين على الأقل ، حتى يمكنك هزيمتى فى قتال يدوى مباشر

قاومته في شراسة وحشية ، وهي تصرخ :

- لا .. لا يمكنني السماح لك بالانتصار .

جذبها في قوة الى السيرة ، ثم قيد معصميه بحبل غيظ .

ودفعها داخل مقصورة القيادة ، وهو يقول :

- ومن ينتظر موافقتك .

صاحت في غضب :

- (ك لن تذهب بعيدا سبطاردوث بكز قوتهم

هز كتفيه في لامبالاة ، وقال :

- دعهم يفعلون لا يمكنني ان احرصهم من لعبتهم الاليرة .

ولكنني سابدل وسيلة المواصلات فحسب .

اتعقد حاجباها في شدة ، وهي تقول :

- ماذا تعنى ؟

ابتسم وهو يشير الى الهليوكوبتر ، قائلا :

- الهليوكوبتر .. هر نسيت انك اهديتي واحدة ؟

شعرت بسخط هائل في أعماقها ، وقالت :

- لن تذهب بها بعيدا (سا نعرف وجهتك ، ولن نسمح لك

ببلوغها .

مال نحوها ، قائلا :

- لذا فساند وجهتي هذه يا عيررتي . (اني لن اذهب الى

(فلندا) . وس احه انذا اسي (لينجراد) بل سننطلق على

الغور الى (استونيا) ، ثم اعبر البحر البلطي (مستوكهولم) .

خط سير بسيط ومباشر ، ويوصلني الى منطقة امه .. أليس كذلك ؟

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهي تتطلع إليه غاضبة ساخطة ، ثم

رفعت عينيها الى نقطة ما خلف ظهره ، فالتفت ليري ما تتطلع إليه ،

ورأى (بوشكا) تقترب منهما في ببطء ، وهي تحمل (ميرا) ،

وأدهشه تلك النظرة العجيبة ، التي تنظر بها (بوشكا) الى

(ناديا) ، واستدار الى تلك الأخيرة ، ورأى نظرة مفعمة بالكراهية

تطل من عينيها ، قبل أن تقول (بوشكا) في صوت بارد :

- أهلا يا (ناديا) .

مطت (ناديا) شفيتها ، وقالت في مفت واضح :

- أما زلت تتحدثين مثل الرأساليات يا (بوشكا) ؟

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

- هل تعرف إحداكما الأخرى ؟

مضت لحظة من الصمت ، وكل منهما تتطلع الى الأخرى ، ثم

أجابت (بوشكا) :

- نعم .. وأكثر مما تتوقع .

وأشاحت (ناديا) بوجهها ، قبل أن تضيف (بوشكا) في توتر :

- (ناديا) هي شقيقتي .

واتسعت عينا (أدهم) ، من فرط المفجأة .



٢٢ - المرحلة الأخيرة ..

نظر مدير المخابرات المصرية على سطح مكتبه في توتر ، وهو يرفع عينيه إلى (حازم) ، ويسأله في اهتمام :

- هل أعددت كل شيء ؟

أوما (حازم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم ياسيدى .. لقد اتصلت بسفارتنا ، في (هلسنكي) و (ستوكهولم) ، وستقوم كل منهما باتخاذ الإجراءات اللازمة ، لاستقبال (أدهم) فور وصوله إلى أى من العاصمتين ، وتأمين سلامته ، وإرسال ما لديه بأقصى سرعة إلينا .

تنهّد المدير ، وقال :

- عظيم .. لم يبق أمامنا إذن سوى الانتظار

قال (حازم) :

- المهم أن السوفيت لم يعلنوا إلقاء القبض عليه ، أو التخلّص منه بعد ، وهذه علامة جيدة ، فهي تعنى أنه ما يزال الفأر حتى الآن .

غمغم المدير :

- المهم أن يربح في النهاية .

قال (حازم) :

- (أدهم) ليس بالخصم الهين .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وقال :

- هذا صحيح ، ولكن الفرار داخل حدود الاتحاد السوفيتى شيء ، وعبر هذه الحدود شيء آخر . صدقنى يا فتى .. ما أن يبلغ (أدهم) صبرى (حدود الاتحاد السوفيتى ، من أية نقطة ، حتى تبدأ المعركة .

وتنهّد مرة أخرى ، مستطرداً :

- المعركة الحقيقية ..

انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يتطلع في دهشة إلى (بوشكا) و (ناديا) ، قبل أن يقول :

- شقيقتك !!

أومات (بوشكا) برأسها إيجاباً ، وترقرقت في عينيها دموع كبيرة ، وهي تقول :

- نعم أيها الوسيم . كان هذا جزءاً من الصفقة .. أن يرفع المسؤولون أيديهم عنا ، ويسمحون لأمى بالعمل ، لإطعام أفواه أطفالها الحائسين ، مقابل انضمام الابنة الكبرى إلى فرق التدريب الخاصة ، التى تصنع منها فى النهاية وحشاً بلا رحمة ، تقتصر مهمته على القتل والتدمير .

التفت إليها (ناديا) في وحشية ، وهي تقول :

- اصمتى أيتها الخائنة .. إنك تسيئين إلى الدولة ، التى تبذل قصارى جهدها لترعى مواطنيها ، وتمنحهم متطلباتهم الأساسية ، دون أن يضطروا إلى الخضوع لرأسمالى بشع حقير ، يسعى لاستغلالهم وتكوين ثروات طائلة على حساب عملهم ومجهوداتهم .

هتفت بها (بوشكا) :

- وماذا عن الطموح ؟.. هل نسيت القاعدة هنا ؟.. كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته .. إنهم بطاليونك هنا بهذا أقصى ما يمكنك من جهد ، مقابل الحد الأدنى من الحياة .. لقد فهمت الحياة بشكل عكسي يا (ناديا) .. الاستغلال الحقيقي يحدث هنا لا هناك .. إنهم يستغلون المواطن العادي ، ليرفلوا هم في الرفاهية والترفيه .. صدقيني .. لقد رأيت هذا بنفسى .

صرخت بها (ناديا) :

- لخرسى .. أنت خائنة .. خائنة .

جذب (أدهم) (بوشكا) ، وهو يقول :

- هيا بنا .. ليس لدينا وقت كاف ، لمناقشة أوجه الاختلاف الجوهرية ، بين الرأسمالية والشيوعية .

ألق (بوشكا) نظرة أخيرة على (ناديا) ، وقالت :

- الوداع .. الوداع يا شقيقتى اللعينة .

صرخت بها (ناديا) :

- اذهبي أنت وهذا الجاسوس إلى الجحيم .

أولتها (بوشكا) ظهرها ، واتجهت مع (أدهم) إلى الهليوكوبتر ، وأدار (أدهم) محركاتها ، و (ناديا) تواصل صراخها :

- لا تتصور أنك ستعبر الحدود بسهولة لمجرد أنك تستقل

هليوكوبتر حربية .. إنهم مسلحون بك ، وسينسفونك نفسا .

ولكن (أدهم) تجاهلها تماما ، وارتفع بالطائرة ، ثم انطلق بها مبتعدا ، وهي تصرخ :

- أقسم لك إنك لن تربح .. أقسم لك .

رأته يختلج في الأفق ، وهو ينطلق بأقصى سرعة ، فانتقد حاجبها في غضب هائل ، ثم قالت في عصبية :

- إنه يتصور نفسه ذكيا ، ولكنه غبي . أغبي جاسوس رأيت في حياتى كلها ، ولا لما قيد معصى أمام جسدى ، بدلا من أن يقدمها خلفى .

ومالت إلى الأمام ، لتضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكى فى السيارة ، وقالت فى صوت يمزج بالانفعالات :

- إلى كل الوحدات .. نداء إلى كل الوحدات .. الجاسوس الهارب استولى على هليوكوبتر حربية ، وهو ينطلق بها نحو (أستونيا) ، فى محاولة لعبور البحر البلطى إلى (ستوكهولم) أكرر .. الجاسوس الهارب يتجه بهليوكوبتر حربية إلى (أستونيا) .. اتخذوا كل الإجراءات اللازمة لاعتراض طريقه ..

وتراجعت فى حدة ، متطلعة إلى الأفق ، حيث اختلج (أدهم) ، وقالت فى عصبية ، لم تعرف طريقها إليها ، قبل هذا اليوم :

- هيا .. واصل طريقك أيها الجاسوس ، وستدرك بعد فوات الأوان أن الراح الحقيقى هو من يربح الجولة الأخيرة .. هل تصملى ؟.. من يربح الجولة الأخيرة .

وتلاشت صرختها هذه المرة ، وسط الثلوج .

★ ★ ★

.. خطأ .. أكبر خطأ ..

نظمت (بوشكا) هذه العبارة فى حنى ، وهي تجلس إلى جوار

(أدهم) داخل الهنيوكوبتر ، فسألها هذا الأخير ، دون أن يلتفت إليها :

- ماهو الخطأ ؟

قالت في عصبية :

- ما فعلته .

ابتسم وهو يسألها :

- وما الذي فعلته بالضبط ؟

لوححت بذراعها ، قائلة :

- لقد شرحت لها كل شيء .. اتجاهنا ، ووجهتنا ، وحتى النقطة

التي ننوي عبور الحدود منها .. أهذا ما علموك إياه ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- أهذا هو الخطأ إذن ؟

هتفت :

- وهل تحتاج إلى ماهو أكثر من هذا ؟ .. إنها ستجد حتما وسيلة

للاتصال بهم ، وستبلغهم بكل شيء .. إنك لا تعرف شقيقتي (ناديا)

كما أعرفها .. لقد جعلوا منها شيطانة حقيقية .

أ بدا صوته لامبالا ، وهو يقول :

- وماذا سيفعلون ؟ عندما تبلغهم هذه الشيطانة ماسمعه مني ؟

قالت في عصبية :

- سيكتفون قوتهم وجهودهم ، لملاقاتك في (أستونيا) ، وربما

وجدنا سلاح الطيران كله يحيط بنا هناك .

ابتسم أكثر ، وهو يقول :

- عظيم .

التقى حاجباها ، وهي تلتفت إليه في دهشة ، وقالت

- ما الذي يدعوك إلى الابتسام هكذا ؟

أطلق ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

- إنني أحاول أن أتخيل وجوههم ، عندما يطول بهم الانتظار في

(أستونيا) ، دون أن نصل إلى هناك .

هتفت :

- هل تعني أن ...

قطعها ضاحكا .

- بالطبع يا عزيزتي (بوشكا) . هل تصوّررتي ساذجا إلى هذا .

الحد ؟ . لماذا إذن تعمدت أن أقيد معصمي شقيقتك العزيزة أمامها ،

بدلا من أن أقيدهما خلف ظهرها ؟ .. لقد وضعتها بنفسى داخل

مقصورة السيارة أيضا ، وأمام جهاز الاتصال اللاسلكى مباشرة .

فلماذا .. في رأيك - فعلت كل هذا ؟ . إننى أمنحها الفرصة للاتصال

بكل من يمكنها الاتصال به ، وتحذيرهم من محاولة فرارى عبر

(أستونيا) .. صدقيني يا (بوشكا) .. إننى أجعلهم يتصورون أنهم

هم الذين يديرون اللعبة ، في حين أننى أنا الذى أديرها فى الواقع .

قالت في حرارة :

- إذن فلنبدأ نتجه إلى (أستونيا) .

هز رأسه نفيا ، وهو يقول :

- مطلقا .

ثم أضاف بابتسامة ساخرة :

- إننا نتجه إلى نفس الهدف الأول .. إلى (فنلندا) .

صفت بكفيها في جنل ، وهي تقول :

- عظيم .. عظيم .. أنت عبقرى أيها الوسيم .

ثم ذهب حماسها ، وتلاشت سعادتها بفتة ، وهي تستطرد :

- ولكن .. هل مسموحون لنا بعبور الحدود ؟ .. أعنى ألن تطاردنا الطائرات الحربية ، أو تطلق علينا وسائل الدفاع الجوى الصواريخ والنيران ؟

هز كتفيه ، وقال :

- ربما وجدنا وسيلة لمنعهم من هذا .

سألته في لهفة .

- كيف ؟

أجابها في غموض :

- فلنترك هذا لوقت .

رأى عليهما الصمت طويلاً بعدها ، واحتضنت (بوشكا) كليتها (ميرا) ، التي استسلمت لنوم عميق بين ذراعيها ، فأسبلت هي جفניה بدورها ، وغمفت :

- كم أحتاج إلى النوم .

قال (أدهم) في خفوت :

- ولماذا تقاومين ؟

تمتت في تهالك :

- أنت على حق .. لماذا أقاوم ؟

لم تدر ماذا أصابها ، فور نطقها لهذه العبارة ..

لقد قالها . وهوت في اعماق بحر النوم السحيقة

هكذا بلا مقدمات ..

وعندما استيقظت ، بعد ما يقرب من الساعتين كى (أدهم)

مايرال جالس الى جوارها ، يفود الهليوكوبتر في صمت ، فهضت

جالسة ، وهي تتعاب قائلة :

- هل استغرقت في النوم ؟

أجابها مبتسماً :

- نعم .. لقد تركتك تماماً طوال ساعتين تقريباً

اعتدت في مقعده ، وتطعت أمامي محاولة احراقى حجب

الظلام ، قائلة :

- وأين نحن الآن ؟

أجابها في هدوء :

- بالقرب من حبيج (فسد) هذه الأصواء اسى تريكي

بأسفل ، هي مشارف (لينتجراد) .

هتلت في لهفة :

- إذن فقد اقتربنا .

ثم اخرجت عبة ادوات ريسنها من حجب المعطف وهي

تستطرد :

- من ضمن انشط اسى أحصرت هذه معي . وبفسها اسى ذلك

المعطف الرث . عندما تخبث عن معطفى انتمين

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- هل تهتمين بزيقتك إلى هذا الحد ؟

هزت كتفها ، قائلة :

- بالطبع .. إنها جزء من رأس مالى .

وأخرجت من العلبه مرآة صغيرة ، وضعتها أمام وجهها ، ثم شهقت فى ذعر :

- رباه .. هل رأيت ما أصابنى بسببك ؟ .. لقد زال طلاء الشفاه ، وأفسدت المياه شعرى الجميل ، وانتفخت عيناى ، واحاطت بهما هالات سوداء ، و ...

بترت عبارتها بفتة ، وهى تحدقه فى المرآة ، التى نقلت إليها صورة تلك الاجسام ، التى تقترب من الهليوكوبتر .. وكانت هذه الاجسام عبارة عن طائرات .. طائرات حربية سوفيتية .

★ ★ ★

ظلت (بوشكا) جامدة لحظات ، تحديق فى الصورة المنعكسة على المرآة ، قبل أن يصدر صوت صارم ، عبر جهاز اللاسلكى بالهليوكوبتر ، قائلاً :

- إلى الهليوكوبتر الدخيلة .. حدد هويتك ووجهتك ، وإلا اضطررنا إلى إطلاق النار .

وعندئذ شهقت (بوشكا) ، وهتفت فى ارتباك - إنهم خلفنا مباشرة .

ولكن (أدهم) بدا شديد الهدوء ، وهو يقول : اطمئننى .. لا داعى للقلق .

ثم التقط مسماع جهاز الاتصال اللاسلكى ، وقال

- من الهليوكوبتر إلى المعاتلات الحربية . هذا الجنرال (تيبو فاسيلوف) ، رئيس إدارة المخابرات الصوفيتية .. هذه مهمة رسمية .. حذار من اعتراض طريق الهليوكوبتر . أكرر .. إنها مهمة رسمية ، تتعلق بأمن الدولة .

حدقت (بوشكا) فى وجهه بذهول ، وهى تغمغم

- مستحيل !

فذلك الصوت الذى سمعته ، والذى ابعدت من بين شفتى (أدهم) ، لم يكن هو صوته الذى تعرفه ..

لقد كان صوت (فاسيلوف) ..

الجنرال (فاسيلوف) بنفسه .

ولم تمض لحظات ، حتى عاد الصوت الصارم يقول ، عبر الجهاز :

- من السلاح الجوى للحدود إلى الهليوكوبتر . انت تقترب من حدود الإقليمية أبها الرفيق الجنرال . نريد تأكيد الهوية والمهمة

أجاب (أدهم) على الفور ، مستخدماً صوت (فاسيلوف)

- أنا الجنرال (فاسيلوف) . رقمى الكودى السرى (٣١٢٢٢٣) تحت حرفى (ت ف) .. اما بالنسبة للمهمة ،

فيكفى أن تعلم انها مهمة بالغة السرية ، وتخص أمن الدولة الاعلى

صمت صاحب الصوت الصارم قليلاً ، ثم قال :

- سنعرض الأمر على القيادة أبها الرفيق الجنرال .

وهناك ، فى مبنى قيادة السلاح الجوى للحدود ، استمع قائد

السلاح إلى تلك الحوار ، وقال فى اهتمام :

- إنه صوت (فاسيلوف) . لا يمكننى أن أحظى تحديده .. لقد كنا زميلين فى سلاح الطيران .. ثم إن هذا بالفعل رقمه الكودى السرى . واحترهين اللذين ذكرهما يعنىان أنه ليس مهتدا ، أو مضطرا لقول هذا .

قال معاونه :

- هل نسمح له بعبور الحدود إذن أيها الرفيق القائد ؟

مط الرجل شففيه لحظة ، ثم قال :

- هل سجلت المحادثة ؟

أوما المعاون براسه إيجاب ، فهز قند السلاح كنفه . وقال

- أتركه يرحل إذن ، وسيتحمل هو المسؤولية الكاملة لاي خطأ .

فلست مستعدا للتعرض إلى المساءلة ، لو أتى اعقت مهمة تنعق بأمن الدولة بالفعل .

ولم تمض لحظة أخرى ، حتى تلقى (أدهم) رسالة عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، تقول :

- تمت الموافقة على عبور الحدود .

وهنا استدارت المفنلات الحربية ، وتراجعت مبتعدة ، فصرخت

(بوشكا) فى سعادة :

- لقد فعنتها أيها لوسيم . لقد حققت معجزة جديدة

وصفقت بكفها فى فرح طفولى ، مسطردة

- لقد عبرنا الحدود .. عبرناها بالفعل .

ابتسم (أدهم) فى ارتياح ، وهو يقول :

- نعم يا (بوشكا) . لقد عاودنا (الاتحاد السوفيسى) منذ

لحظات .

التقطت عتبة أدوات زيتها بسرعة ، وقالت :

- ينبغى أن أهتم بزيتنى إذن ، فليس من اللائق أن نذهب إلى

سفارة لولايات المتحدة الامريكية ، وأنا بهذه الهيئة المزرية .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

- ولماذا نذهب إلى هناك ؟

ابتسمت فى دلال ، وهى تقول :

- من الطبيعى أن نفعل ، فهناك سيحسنون استقبالنا ، وأحصل أنا

على حق اللجوء السياسى إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

قال ساخرا :

- وماذا لو رفضوا منحك حق اللجوء ؟

مطت شففيه ، لنصبعهما بطلاء شفاء وردى . وهى تقول :

- إنه أسخف مزاح سمعته فى حياتى .. انت تعلم أنهم لن يرفضوا

منحى هذا الحق ؟

قال مبتسما :

- ونعازا ؟ ألائك ممثلة الاتحاد السوفيسى الأولى ؟

التفتت إليه فى دهشة ، وقالت :

- كلا بالطبع . (نهم سيمحونى إياه) لأن هذا ما وعدونى به ..

أيا مكافاة بهية خدمة طبيعية .. ألسنت اعمل لحسابهم ؟

وكانت مفاجأة جديدة لـ (أدهم) ..

مفاجأة مذهلة .

٢٣ - إلى (سيبيريا) ..

زفرت (ناديا) فى عصبية وتوتر ، وهى تجلس داخل مقصورة السيارة ، وسط الظلام والثلوج ، وجاهدت مرة أخرى للتخلص من قيودها ، فلما عجزت عن هذا عادت تضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وتقول فى حدة :

- هنا (ناديا مينوفيتشى) . لماذا لم يحضر أحدكم لإخراجي من هنا ؟

أجابها صوت صارم عبر جهاز الاتصال :

- إنهم فى الطريق إليك بالفعل .

لم يكذبت عبارة ، حتى لاحظت لها أصواء سيارة تقترب من بعيد ، فقالت قبل أن تنهى الاتصال :

- نعم .. إنتى أراهم .

جلست تتابع الأصواء ، التى تقتربت منها فى سرعة ، ثم توقفت على قيد متر واحد من سيارتها ، ورأت أمامها سيارة كبيرة ، قفز منها عدد من الجنود المسلحين ، أحاطوا بسيارتها ، وانفصل أحدهم ليفتح باب المقصورة ، ويجذبها خارجها ، فقالت فى غضب صارم :

- رويدك أيها الرفيق الجندى .. إنك تتعامل مع ضابط سوفيتى . أوقفها الجندى أمام السيارة ، وتراجع لينضم إلى زملائه . فصاحت به :

- حل قيودى أولاً أيها القبي .

سمعت صوتاً صارماً يقول من خلفها :

- ليس الآن ، أيتها الرفيق (ناديا) .

التفتت إلى الضابط السوفيتى ، الذى جاء مع الجنود ، وقالت فى صرامة :

- بل الآن أيها الرفيق الضابط هذا أمر . إنتى أحمل تفويضا

عاماً شاملاً ، من الجنرال (فاسيلوف) ، و ...

قاطعها فى برود :

- لقد تم إلغاء هذا التفويض .

حدقت فى وجهه بدهشة ، ثم قالت فى حدة :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

اعتدل ، وهو يقول :

- أيتها الرفيق (ناديا) . لدى أمر مبشر ، من الرفيق الرئيس ،

بالقاء القبض عليك .

اتسعت عيناها لحظة فى دهشة ، قبل أن تهتف :

- بأية تهمة ؟

قال فى صرامة :

- الخيانة العظمى

تراجعت كالمصعوقة ، ثم صاحت :

- كذب .. أنت كاذب ومخادع .. أريد الجنرال (فاسيلوف) .. هو

سيخبركم بكل شيء .. اتصل به فوراً .

بدت على شفثيه ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

- لمعت أعنف أن الجنرال (فاسيلوف) سيهنم كثيراً بتبرنتك

الآن ، فسوف يجند كل ماله لحماية نفسه بحسب .

تراجعت مرة أخرى في حدة ، واتسعت عينها بشدة ..
لقد فهمت ما يعنيه ..
وهذا أسوأ ما في الأمر .

★ ★ ★

شحب وجه الجنرال (فاسيلوف) في شدة ، وهو يجلس أمام
الرئيس السوفيتي ، ولوح بكفه ، قائلاً
- أي قول هذا أيها الرفيق الرئيس ؟ هل تتهمني أنا
(تينوفاسيلوف) بالخيانة العظمى ؟
أجابه الرئيس في برود :

- الفران والدلائل هي التي تتهمك أيها الرفيق الجنرال .. فلماذا
احتفظت في مكتبك بهذه الوثائق الخطيرة ؟
قال (فاسيلوف) في حدة :
- لم أكن أحتفظ بها ، لقد أحضرها ذلك الحقيب (أندريه
رابين) ، في محاولة لإقناعي بصداقة الإسرائيليين لنا .
سأله وزير الدفاع :

- وهل يمكن أن يشهد (أندريه) بهذا ؟

عاد الشحوب إلى وجه (فاسيلوف) ، وهو يقول :

- مستحيل ! .. لقد .. لقد مات

تبادل وزير الدفاع نظرة قصيرة مع الرئيس ، ثم سأله الأخير .

- ولماذا اسندت إلى حارستك مهمة مطردة ذلك الحاسوس

يا (فاسيلوف) ؟ .. لماذا لم تلجأ إلى فرقة خاصة كالمعتاد ؟

أجابه (فاسيلوف) في عصبية :

- نصورت أنها تساوي وحدها فرقة كاملة .. ثم أننى أثق بها ثقة
مطلقة .

غمغم الوزير :

- خطأ ؟! كيف تفسر لنا هذه المحادثة إذن ؟

قالها وضغط زر جهاز التسجيل ، الموضوع أمامه على مكتبه ،
فانبعث منه صوت (ناديا) ، وهي تقول :

- الرجل ليس عادياً .. إنه يقتل كفرقة حربية كاملة ، وأنا في
طريقى إليه ، وسينتهى كل شيء على مايرام .

ثم سمع تسجيلًا كاملاً ودقيقاً ، للمحادثة الهاتفية التي دارت بينه
وبين (ناديا) ، قبل أن يوقف الرئيس جهاز التسجيل ، وهو يقول :

- كيف تبدو لك هذه المحادثة ، أيها الرفيق الجنرال ؟ لقد
استمعنا إليها ثلاث مرات ، أنا والرفيق وزير الدفاع ، ووجدنا أن

معناها الوحيد هو أنك وحارستك كنتمما تعملان لحماية ذلك
الجاسوس ، لا للإيقاع به .

صرخ (فاسيلوف) :

- مستحيل أيها الرفيق الرئيس ! .. لقد أسأت فهم المحادثة تماماً

تدخل وزير الدفاع ، قائلاً :

- وماذا عن محاولة حارستك لتضليلنا ؟ .. لقد أبلغت كل الوحدات

أن ذلك الجاسوس في طريقه إلى (استونيا) ، ثم منحته طائرة

هليوكوبتر خاصة ، حصلت عليها من القاعدة الجوية ، بتفويض

خاص منك ، وهي تعلم أنه لن يتجه إلى (استونيا) ، بل إلى خليج

(فنلندا) !

صاح (فاسيلوف) :

- ولماذا تركوه يعبر الحدود هناك ؟

أجابه الرئيس :

- أنت أمرتهم بذلك ، ولدى تسجيل واضح لهذا .

زاغت عينا (فاسيلوف) ، وهو ينقل بصره بين الرئيس ووزير الدفاع ، ثم قال فى حدة :

- مستحيل ... هذه خدعة .. خدعة حقيرة .. لست أذكر أبدا أنتى أصدرت مثل هذا الأمر .. سلوا (ناديا)

تبادل الرئيس والوزير نظرة أخرى ، ثم قال الأول فى صرامة :
- (ناديا) الان فى طريقها إلى (سيبيريا) ، وسأرسلك للحاق بها هناك ، فتلوح (سيبيريا) هى أفضل وسيلة ، لإنعاش الذاكرة الضعيفة .

صرخ (فاسيلوف) :

- لا أيها الرفيق الرئيس .. إنك لن تفعل بى هذا .

ضغط الرئيس زراً فوق مكتبه ، وهو يقول :

- هناك أمور لا يمكن التهاون بشأنها أيها الرفيق (فاسيلوف) .

وإثر ضغطته ، دخل خمسة من الجنود إلى حجرته ، وصوبوا

أسلحتهم إلى (فاسيلوف) ، الذى قال فى انهيار :

- أرجوك أيها الرفيق الرئيس .. أرجوك .

أشار الرئيس إلى الرجال فى صرامة ، فحملوه عنوة ، وكفموا

فمه ، وراحوا يجرونه إلى الخارج ، وما أن أغلقوا الباب خلفهم ،

حتى غمغم الوزير :

- (تينو فاسيلوف) .. من يصنق هذا ؟

مط الرئيس شفتيه ، وقال :

- لم يعد هناك ما يدهشنى .. ثم إننا لم نفقد (فاسيلوف) وحده

هذه المرة أيها الرفيق الوزير .. لقد خسرنا كل شبكتنا فى

(مصر) ، وهذه خسارة كبيرة .

وشرد ببصره لحظات ، قبل أن يهز رأسه فى أسى ، مستطرداً .

- بل هى كارثة .. كارثة فاحشة .

حنق (أدهم) فى وجه (بوشكا) فى دهشة ، وهو يهتف :

- أنت يا (بوشكا) ؟ .. أنت جاسوسة أمريكية ؟

عقبت حاجبيها ، وهى تقول :

- لماذا تستخدم هذا المصطلح السخيف ؟ .. إننى أتعاون مع

الأمريكيين فحسب .. كنت أصادق القادة السوفيت ، وأقيم لهم

الحفلات الأنيقة ، ثم أسجل أحاديثهم كلها ، وأنقل التسجيلات إلى

رجل بارد الملامح ، وهو يتولى مهمة نقلها إلى الأمريكيين .

أطلق (أدهم) ضحكة طويلة ، قبل أن يسألها .

- ومنذ متى تعملين لحساب الأمريكيين ؟

تطلعت إليه فى شك ، وهى تقول :

- ألا تعرف حقاً ؟ .. إننى أعمل معكم منذ عشرة أعوام

أطلق ضحكة أخرى ، وهو يقول :

- تفصدين معهم :

جاء دورها لتحقق فى وجهه ، قبل أن تهتف .

- معهم ؟!.. أليست أمريكيا ؟

هز رأسه نفيا ، وقال في سخرية :

- لا .. لست أمريكيا أيتها الرفيق (بوشكا) .. إننى مصرى ..

مصرى أنا عن جد .

هتفت ذاهلة :

- مستحيل !

ثم استدركت بسرعة :

- أعنى أننى أظن منذ البداية أنك أمريكى .

وابتسمت متابعة فى دلال :

- ولكنك رائع فى كل الأحوال .. هل تدرك أنك فعلت كل هذا ، فى

أقل من أربع وعشرين ساعة ؟

غمغم مبتسما :

- أشكرك .

أتمت زينتها فى اهتمام ، ثم سألته فى خفوت :

- قل لى أيها الوسيم ، أيا كانت جنسيتك : هل سنلتقى مرة

أخرى ؟

تطلع إليها مبتسما ، وهو يقول :

- لا .. لا أعتقد هذا .

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله :

- لماذا ؟.. ألن تأتى لزيارتى ؟.. إنك تروى لى ، و ...

قاطعها ضاحكا :

- للأسف يا (بوشكا) .. لست الطراز الذى أفضله .

صرخت :

- ماذا ؟.. ماذا تقول أيها الوقح ؟.. أنا لست الطراز الذى

تفضله ؟!.. هل تعلم أن نصف سكان الأرض يتمنون أن أطلب منهم

مقابلتى ؟.. بل إنهم يطيطرون سعادة ، إذا ما منحتهم ابتسامة واحدة .

قال فى سخرية :

- أنا من النصف الآخر إذن .

هتفت :

- أيها الـ ...

قبل أن تتم هتافها ، انبعث صوت عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ،

يقول :

- حذد هويتك أيها الهليوكوبتر .. إنك تدخل المجال الجوى

الفنلندى .

قال (أدهم) فى سرعة :

- الهليوكوبتر غير مسلحة ، ونحن نطلب الإذن بالهبوط ،

ونرجوكم الاتصال بالسفارة المصرية والسفارة الأمريكية على

الفور .

مضت لحظة من الصمت ، ثم عاد ذلك الصوت ينبعث من جهاز

الاتصال ، قائلا :

- حذد اسمك وهويتك ، وهوية كل الركاب معك .

أجابته (أدهم) :

- اسمى (أدهم صبرى) .. مصرى .. وبصحبتي راكبة واحدة ،

وهى الممثلة الموفيتية (بوشكا) .

قالت (بوشكا) فى حدة :

- لا تنس (ميرا) .

ابتسم قائلاً :

- وكلية صغيرة جميلة .

ضمت (بوشكا) (ميرا) إلى صدرها فى اعتداد ، فى حين جاء ذلك الصوت ليقول فى اهتمام :

- هناك بالفعل مندوبان ، أحدهما من السفارة المصرية ، والآخر من السفارة الأمريكية ، وهما ينتظرانكما .. إتنا نمنحكما الإنن بالهبوط .

تنهد (أدهم) فى ارتياح ، وهو ينهى الاتصال ، ويقول - (بوشكا) :

- الآن فقط يمكنك القول بأننا قد نجونا .

هزت كتفيها ، ومطت شفتيها ، قائلة :

- لن أتحدث إليك .

ثم استدركت فى سرعة ، وهى تتطلع إليه فى دلال :

- سأنتظر حتى تغير رأيك الخاص بطرازي .

انفجر ضاحكاً هذه المرة ، وشاركتة هى ضحكته فى مرح صاف ، والهليوكوبتر تهبط بهما نحو (هلسنكى) ..

ونحو الحرية ..

والنصر .

★ ★ ★

٢٤ - الختام ..

شدت (منى) قامتها ، وهى تنهض واقفة ، وقالت لـ (قدرى) :
- إتنى أعلم ما حدث بعد ذلك ، فما زلت أنكر تلك الضجة ، التى أحدثتها وصول (بوشكا) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وإعلان كونها جاسوسة أمريكية منذ عشر سنوات .
قال (قدرى) :

- أما أنا ، فأذكر ما حدث ، عندما عاد (أدهم) مع القائمة و (الميكروفيلم) إلى هنا .. لقد كانت قضية ضخمة ، تحدثت عنها صحف العالم كله طويلاً ، عندما تم إلقاء القبض على عشرات من الجواسيس والعلماء السوفيت ، فى عملية عُرفت أيامها باسم (الحصاد) .. لقد تلقى الشكر من رئيس الجمهورية مباشرة .
ابتسمت ، قائلة :

- إنه يستحقه .

ثم استطردت فى حماس :

- ولكن هل لاحظت أن (أدهم) لم يهدأ لحظة واحدة ، طوال هذه العملية ، وأن كل هذه الأحداث ، على الرغم من كثرتها وعنفها ، قد دارت خلال أربع وعشرين ساعة أو أقل ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

- هذا هو (أدهم) .

ابتسمت فى هيام ، مغفمة :

- نعم .. هذا هو (أدهم) .

ثم سأله :

- ولكن ماذا فعلت (بوشكا) ؟ بعد ذهابها إلى الولايات المتحدة .

أجابها في بساطة :

- ما زالت تعمل في السينما .. ولقد أرسلت عدة بطاقات تهنئة

إلى (أدهم) ؟ طوال الأعوام الماضية ، في ذكرى صراعهما المشترك .

انعقد حاجبا (منى) ، وهي تقول :

- وهل أرسل إليها (أدهم) بطاقات معاتلة ؟

ضحك وهو يقول :

- كلا بالطبع .. ألم يخبرها بنفسه ، أنها ليست الطراز الذي

يفضله ؟

ثم غمز بعينه ، مستطرذا :

- أنت وأنا نعلم أنه يفضل طرازا آخر .

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وهي تنغم :
- نعم .. أعتقد هذا .

ثم أطلقت ضحكة قصيرة ، لتتغلب بها على خجلها ، قبل أن تلوح

بيدها ، قائلة :

- أشكرك يا (قدرى) .. لقد قضيت معك وقتا ممتعا .. إلى اللقاء

عندما تحفظ مغامرة جديدة ، من مغامرات (أدهم صبرى) .

لوح بيده ، وهو يبتسم قائلا :

- في القريب بانن الله .

ولم تكذ تغلق الباب خلفها ، حتى ذابت ابتسامته ، وهو يغمغم :

- صدقيتي يا عزيزتي (منى) .. هذه هي المرة الأولى ، التي

أختلف فيها مع (أدهم) .

وفتح درج مكتبه ، والتقط منه صورة صغيرة ، تطلع إليها في

هيام ، مستطرذا :

- أنا أفضل هذا الطراز .

كانت صورة لممثلة أمريكية شهيرة ، سوفيتية المنشأ ..

صورة (بوشكا) .

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للحديث

أسير التلوج

أسير التلوج

كانت مجرد رحلة تدريبية
عادية، إلى (الاتحاد السوفيتي)،
في منتصف السبعينات ..

د. نيل فاروق

ولكن (أدهم) حوّلها إلى كارثة ..
ولارت لائحة السوفيت، وراحوا يطاردون
(أدهم) بكل الوسائل الممكنة، وهو يقاتلهم
بكل قوته ومهارته، وقد انضمت إليه الممثلة
السوفيتية (بوشكا) ..

ولم يكن من السهل أن يقاتل
(أدهم) وحده قوات دولة بأكملها،
خاصة وهو يشعر أنه أسير في أرضها ..
أسير التلوج ..

التمن في مصر ٢٠٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الترجمة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع

دار الهلال للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر